أظنه عن عامر عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله (ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم) قال « الأمن والصحة » وقال زيد بن أسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم) يعني شبع البطون وبارد الشراب وظلال المساكن واعتدال الخلق ولذة النوم ، رواه ابن أبي حاتم بإسناده المتقدم عنه في أول السورة . وقال سعيد ابن جبير حتى عن شربة عسل . وقال مجاهد : عن كل لذة من لذات الدنيا ، وقال الحسن البصري من النعيم الغداء والعشاء وقال أبو قلابة : من النعيم أكل السمن والعسل بالخبز النقي وقول مجاهد أشمل هذه الأقوال . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم) قال النعيم صحة الأبدان والأسماع والأبصار يسأل الله العباد فيما استعملوها وهو أعلم بذلك منهم وهو قوله تعالى (إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا) وثبت في صحيح البخاري وسنن الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث عبد الله بن سعيد بن أبي هند عن أبيه عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ » ومعنى هذا أنهم مقصرون في شكر هاتين النعمتين لا يقومون بواجبهما ومن لا يقوم بحق ما وجب عليه فهو مغبون . وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا القاسم بن محمد بن يحيى المروزي حدثنا علي بن الحسين بن شقيق حدثنا أبو حمزة عن ليث عن أبي فزارة عن يزيد بن الأصم عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « ما فوق الإزار وظل الحائط وجر ، يحاسب به العبد يوم القيامة أو يسئل عنه » ثم قال لا نعرفه إلا بهذا الإسناد . وقال الإمام أحمد حدثنا بهز وعفان قالا حدثنا حماد قال عفان في حديثه قال إسحق ابن عبد الله عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « يقول الله عز وجل ـ قال عفان يوم القيامة ـ : يا ابن آدم حملتك على الخيل والإبل وزوجتك النساء وجعلتك تربع وترأس فأين شكر ذلك ؟ » تفرد به من هذا الوجه . آخر تفسير سورة التكاثر ولله الحمد والمنة

﴿ تفسير سورة العصر وهي مكية ﴾

ذكروا أن عمرو بن العاص وفد على مسيلمة الكذاب وذلك بعد ما بعث رسول الله ﷺ وقبل أن يسلم عمرو فقال له مسيلمة ماذا أنزل على صاحبكم في هذه المدة ؟ فقال لقد أنزل عليه سورة وجيزة بليغة فقال : وما هي ؟ فقال (والعصر إن الإنسان لفي خسر * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) ففكر مسيلمة هنيهة ثم قال وقد أنزل على مثلها ، فقال له عمرو وما هو ؟ فقال : يا وبر يا وبر وإنما أنت أذنان وصدر وسائرك حفر نقر ، ثم قال كيف ترى يا عمرو فقال له عمرو ، والله إنك لتعلم أني أعلم أنك تكذب . وقد رأيت أبا بكر الخرائطي أسند في كتابه المعروف ﴿ بمساوى الأخلاق ﴾ في الجزء الثاني منه شيئا من هذا أو قريبا منه . والوبر دويبة تشبه الهر أعظم شيء فيه أذناه وصدره وباقيه دميم فأراد مسيلمة أن يركب من هذا الهذيان ما يعارض به القرآن . فلم يرج ذلك على عابد الأوثان في ذلك الزمان . وذكر الطبراني من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن عبيد الله بن حفص قال كان الرجلان من أصحاب رسول الله إذا التقيا لم يفترقا إلا على أن يقرأ أحدهما على الآخر سورة العصر إلى آخرها ثم يسلم أحدهما على الآخر ، وقال الشافعي رحمه الله : لو تدبر الناس هذه السورة لوسعتهم .

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ وَٱلْعَصْرِ * إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ * إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴾

العصر : الزمان الذي يقع فيه حركات بني آدم من خير وشر ، وقال مالك عن زيد بن أسلم : هو العصر ، والمشهور الأول فأقسم تعالى بذلك على أن الإنسان لفي خسر أي في خسارة وهلاك (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فاستثنى من جنس الإنسان عن الخسران الذين آمنوا بقلوبهم وعملوا الصالحات بجوارحهم (وتواصوا بالحق) وهو أداء

الطاعات ، وترك المحرمات (وتواصوا بالصبر) أى على المصائب والأقدار وأذى من يؤذى ممن يأمرونه بالمعروف وينهونه عن المنكر . آخر تفسير سورة العصر ولله الحمد والمنة

﴿ تفسير سورة ويل لكل همزة ، وهى مكية ﴾

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ * ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ * يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ * كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ * نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ * ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ * إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ * فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴾

الهماز بالقول واللماز بالفعل يعنى يزدرى الناس وينتقص بهم ، وقد تقدم بيان ذلك فى قوله تعالى (هماز مشاء بنميم) قال ابن عباس : همزة لمزة ، طعان معياب . وقال الربيع بن أنس الهمزة يهمزه فى وجهه واللمزة من خلفه . وقال قتادة الهمزة واللمزة لسانه وعينه ويأكل لحوم الناس ويطعن عليهم . وقال مجاهد الهمزة باليد والعين واللمزة باللسان وهكذا قال ابن زيد . وقال مالك عن زيد بن أسلم همزة لحوم الناس ، ثم قال بعضهم المراد بذلك الأخنس بن شريق وقيل غيره وقال مجاهد هى عامة . وقوله تعالى (الذى جمع مالا وعدده) أى جمعه بعضه على بعض وأحصى عدده كقوله تعالى (وجمع فأوعى) قاله السدى وابن جرير وقال محمد بن كعب فى قوله (جمع مالا وعدده) ألهاه ماله بالنهار هذا إلى هذا فإذا كان الليل نام كأنه جيفة منتنة . وقوله تعالى (يحسب أن ماله أخلده) أى يظن أن جمعه المال يخلده فى هذه الدار (كلا) أى ليس الأمر كما زعم ولا كما حسب . ثم قال تعالى (لينبذن فى الحطمة) أى ليلقين هذا الذى جمع مالا فعدده فى الحطمة وهى اسم صفة من أسماء النار لأنها تحطم من فيها ولهذا قال (وما أدراك ما الحطمة ؟ نار الله الموقدة * التى تطلع على الأفئدة) قال ثابت البنانى : تحرقهم إلى الأفئدة وهم أحياء ثم يقول لقد بلغ منهم العذاب ثم يبكى وقال محمد بن كعب : تأكل كل شىء من جسده حتى إذا بلغت فؤاده حذو حلقه ترجع على جسده ، وقوله تعالى (إنها عليهم مؤصدة) أى مطبقة كما تقدم تفسيره فى سورة البلد . وقال ابن مردويه حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا على ابن سراج حدثنا حماد بن حرزاد حدثنا شجاع بن أشرس حدثنا شريك عن عاصم عن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ (إنها عليهم مؤصدة) قال : مطبقة . وقد رواه أبو بكر بن أبى شيبة عن عبد الله بن أسد عن إسماعيل ابن خالد عن أبى صالح قوله ولم يرفعه . وقوله تعالى (فى عمد ممددة) قال عطية العوفى عمد من حديد ، وقال السدى من نار ، قال شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس (فى عمد ممددة) يعنى الأبواب هى الممددة ، وقال قتادة فى قراءة عبد الله بن مسعود إنها عليهم مؤصدة بعمد ممددة ، وقال العوفى عن ابن عباس أدخلهم فى عمد ممددة عليهم بعماد فى أعناقهم السلاسل فسدت بها الأبواب ، وقال قتادة كنا نحدث أنهم يعذبون بعمد فى النار واختاره ابن جرير وقال أبو صالح (فى عمد ممددة) يعنى القيود الثقال . آخر تفسير سورة ويل لكل همزة ولله الحمد والمنة

﴿ تفسير سورة الفيل وهى مكية ﴾

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾

هذه من النعم التى امتن الله بها على قريش فيما صرف عنهم من أصحاب الفيل الذين كانوا قد عزموا على هدم الكعبة ومحو أثرها من الوجود فأبادهم الله وأرغم آنافهم وخيب سعيهم وأضل عملهم وردهم بشر خيبة وكانوا قوما نصارى

وكان دينهم إذا ذاك أقرب حالا مما كان عليه قريش من عبادة الأوثان ولكن كان هذا من باب الارهاص والتوطئة لمبعث رسول الله ﷺ فانه فى ذلك العام ولد على أشهر الأقوال ولسان حال القدر يقول : لم ننصركم يا معشر قريش على الحبشة لخيريتكم عليهم ولكن صيانه للبيت العتيق الذى سنشرفه ونعظمه ونوقره ببعثة النبي الأمى محمد صلوات الله وسلامه عليه خاتم الأنبياء . وهذه قصة أصحاب الفيل على وجه الايجاز والاختصار والتقريب ، قد تقدم فى قصة أصحاب الأخدود أن ذا نواس وكان آخر ملوك حمير وكان مشركا وهو الذى قتل أصحاب الأخدود وكانوا نصارى وكانوا قريبا من عشرين ألفا فلم يفلت منهم إلا دوس ذو ثعلبان فذهب فاستغاث بقيصر ملك الشام وكان نصرانيا فكتب له إلى النجاشى ملك الحبشة لكونه أقرب إليهم فبعث معه أميرين أرياط وأبرهة بن الصباح أبا يكسوم فى جيش كثيف فدخلوا اليمن فجاسوا خلال الديار واستلبوا الملك من حمير وهلك ذو نواس غريقا فى البحر واستقل الحبشة بملك اليمن وعليهم هذان الأميران أرياط وأبرهة فاختلفا فى أمرهما وتصاولا وتقاتلا وتصافا فقال أحدهما للآخر إنه لا حاجة بنا إلى اصطلام الجيشين بيننا ولكن ابرز إلى وأبرز إليك فأينا قتل الآخر استقل بعده بالملك فأجابه إلى ذلك فتبارزا وخلف كل واحد منهما قناة فحمل أرياط على أبرهة فضربه بالسيف فشرم أنفه وفمه وشق وجهه وحمل عتودة مولى أبرهة على أرياط فقتله ورجع أبرهة جريحا فداوى جرحه فبرأ واستقل بتدبير جيش الحبشة باليمن فكتب إليه النجاشى يلومه على ما كان منه ويتوعده ويحلف ليطأن بلاده ويجزن ناصيته فأرسل إليه أبرهة يترفق له ويصانعه وبعث مع رسوله بهدايا وتحف وبجراب فيه من تراب اليمن وجز ناصيته فأرسلها معه ويقول فى كتابه ليطأ الملك على هذا الجراب فيبر قسمه وهذه ناصيتى قد بعثت بها إليك فلما وصل ذلك إليه أعجبه منه ورضى عنه وأقره على عمله وأرسل أبرهة يقول للنجاشى إنى سأبنى لك كنيسة بأرض اليمن لم يبن قبلها مثلها فشرع فى بناء كنيسة هائلة بصنعاء رفيعة البناء عالية الفناء مزخرفة الأرجاء سماها العرب القليس لارتفاعها لأن الناظر إليها تكاد تسقط قلنسوته عن رأسه من ارتفاع بنائها ، وعزم ابرهة لأشرم على أن يصرف حج العرب إليها كما يحج إلى الكعبة بمكة ونادى بذلك فى مملكته فكرهت العرب العدنانية والقحطانية ذلك وغضبت قريش لذلك غضبا شديدا حتى قصدها بعضهم وتوصل إلى أن دخلها ليلا فأحدث فيها وكر راجعا فلما رأى السدنة ذلك الحدث رفعوا أمره إلى ملكهم أبرهة وقالوا له إنما صنع هذا بعض قريش غضبا لبيتهم الذى ضاهيت هذا به فأقسم أبرهة ليسيرن إلى بيت مكة وليخربنه حجرا حجرا . وذكر مقاتل بن سليمان أن فتية من قريش دخلوها فأججوا فيها نارا وكان يوما فيه هواء شديد فاحترقت وسقطت إلى الأرض فتأهب أبرهة لذلك وصار فى جيش كثيف عرمرم لئلا يصده أحد عنه واستصحب معه فيلا عظيما كبير الجثة لم ير مثله يقال له محمود وكان قد بعثه إليه النجاشى ملك الحبشة لذلك ويقال كان معه أيضا ثمانية أفيال وقيل اثنا عشر فيلا غيره فالله أعلم ، يعنى ليهدم به الكعبة بأن يجعل السلاسل فى الأركان وتوضع فى عنق الفيل ثم يزجر ليلقى الحائط جملة واحدة ، فلما سمعت العرب بمسيره أعظموا ذلك جدا ورأوا أن حقا عليهم المحاجبه دون البيت ورد من أراده بكيد فخرج إليه رجل من أشراف أهل اليمن وملوكهم يقال له ذو نفر فدعا قومه ومن أجابه من سائر العرب إلى حرب أبرهة وجهاده عن بيت الله وما يريده من هدمه وخرابه فأجابوه وقاتلوا أبرهة فهزمهم لما يريده الله عزوجل من كرامة البيت وتعظيمه وأسر ذو نفر فاستصحبه معه ثم مضى لوجهه حتى إذا كان بأرض خثعم اعترض له نفيل بن حبيب الخثعمى فى قومه شهران وناهس فقاتلوه فهزمهم أبرهة وأسر نفيل ابن حبيب فأراد قتله ثم عفا عنه واستصحبه معه ليدله فى بلاد الحجاز فلما اقترب من أرض الطائف خرج إليه أهلها ثقيف وصانعوه خيفة على بيتهم الذى عندهم الذى يسمونه اللات فأكرمهم وبعثوا معه أبا رغال دليلا فلما انتهى أبرهة إلى المغمس وهو قريب من مكة نزل به وأغار جيشه على سرح أهل مكة من الإبل وغيرها فأخذوه وكان فى السرح مائتا بعير لعبد المطلب ، وكان الذى أغار على السرح بأمر أبرهة أمير المقدمة وكان يقال له الأسود ابن مقصود فهجاه بعض العرب فيما ذكره ابن إسحاق وبعث أبرهة حناطة الحميرى إلى مكة وأمره أن يأتيه بأشرف

قريش وأن يخبره أن الملك لم يجىء لقتالكم إلا أن تصدوه عن البيت فجاء حناطة فدل على عبد المطلب بن هاشم وبلغه عن أبرهة ما قال : فقال له عبد المطلب والله ما نريد حربه وما لنا بذلك من طاقة ، هذا بيت الله الحرام وبيت خليله إبراهيم فان يمنعه منه فهو بيته وحرمه ، وإن يخلى بينه وبينه فوالله ما عندنا دفع عنه فقال له حناطة فاذهب معى إليه فذهب معه فلما رآه أبرهة أجله ، وكان عبد المطلب رجلا جسيما حسن المنظر ، ونزل أبرهة عن سريره وجلس معه على البساط ؟ وقال لترجمانه قل له ما حاجتك ؟ فقال الترجمان : إن حاجتى أن يرد على الملك مائتى بعير أصابها لى فقال أبرهة لترجمانه قل له لقد كنت أعجبتنى حين رأيتك ثم قد زهدت فيك حين كلمتنى أتكلمنى فى مائتى بعير أصبتها لك وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه لا تكلمنى فيه، فقال له عبد المطلب :إنى أنا رب الإبل وإن للبيت ربا سيمنعه . قال ما كان ليمتنع منى قال أنت وذاك ، ويقال إنه ذهب مع عبد المطلب جماعة من أشراف العرب فعرضوا على أبرهة ثلث أموال تهامة على أن يرجع عن البيت فأبى عليهم ورد أبرهة على عبد المطلب إبله ورجع عبد المطلب إلى قريش فأمرهم بالخروج من مكة والتحصن فى رءوس الجبال تخوفا عليهم من معرة الجيش ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرون على أبرهة وجنده، فقال عبد المطلب وهو آخذ بحلقة باب الكعبة

لا هم إن المرء يمـ * ـنع رحله فامنع رحالك
لا يغلبن صليبهم * ومحالهم أبدا محالك

قال ابن إسحاق ثم أرسل عبد المطلب حلقة الباب ثم خرجوا إلى رءوس الجبال ، وذكر مقاتل بن سليمان أنهم تركوا عند البيت مائة بدنة مقلدة لعل بعض الجيش ينال منها شيئا بغير حق فينتقم الله منهم فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة وهيأ فيله وكان اسمه محمودا وعبأ جيشه فلما وجهوا الفيل نحو مكة أقبل نفيل بن حبيب حتى قام إلى جنبه ثم أخذ بأذنه وقال ابرك محمود وارجع راشدا من حيث جئت فانك فى بلد الله الحرام ثم أرسل أذنه فبرك الفيل وخرج نفيل بن حبيب يشتد حتى أصعد فى الجبل وضربوا الفيل ليقوم فأبى فضربوا فى رأسه بالطبرزين وأدخلوا محاجن لهم فى مراقه فنزعوه بها ليقوم فأبى فوجهوه راجعا إلى اليمن فقام يهرول ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك ووجهوه إلى مكة فبرك . وأرسل الله عليهم طيرا من البحر أمثال الخطاطيف والبلسان مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها : حجر فى منقاره وحجران فى رجليه أمثال الحمص والعدس لا يصيب منهم أحدا إلا هلك وليس كلهم أصابت وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق ويسألون عن نفيل ليدلهم على الطريق، هذا ونفيل على رأس الجبل مع قريش وعرب الحجاز ينظرون ماذا أنزل الله بأصحاب الفيل من النقمة ، وجعل نفيل يقول :

أين المفر والإله الطالب * والأشرم المغلوب ليس الغالب

قال ابن إسحاق وقال نفيل فى ذلك أيضا :

ألا حييت عنا يا ودينا * نعمنا كم منع الاصباح عينا
ودينة لو رأيت ولا ترينه * لدى جنب المحصب ما رأينا
إذا لعذرتنى وحمدت أمرى * ولم تأسى على ما فات بينا
حمدت الله إذ أبصرت طيرا * وخفت حجارة تلقى علينا
فكل القوم تسأل عن نفيل * كأن على الحبشان دينا

وذكر الواقدى باسناده أنهم لما تعبئوا لدخول الحرم وهيئوا الفيل جعلوا لا يصرفونه إلى جهة من سائر الجهات إلا ذهب فيها فإذا وجهوه إلى الحرم ربض وصاح ، وجعل أبرهة يحمل على سائس الفيل وينهره ويضربه ليقهر الفيل على دخول الحرم وطال الفصل فى ذلك ، هذا وعبد المطلب وجماعة من أشراف مكة فيهم المطعم بن عدى وعمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم ومسعود بن عمرو الثقفى على حراء ينظرون ما الحبشة يصنعون وماذا يلقون من أمر الفيل

وهو العجب العجاب ، فبينما هم كذلك إذ بعث الله عليهم طيرا أبابيل أى قطعا قطعا صفرا دون الحمام وأرجلها حمر ومع كل طائر ثلاثة أحجار وجاءت فحلقت عليهم وأرسلت تلك الأحجار عليهم فهلكوا . وقال محمد بن إسحاق جاءوا بفيلين فأما محمود فربض وأما الآخر فشجع فحصب . وقال وهب بن منبه كان معهم فيلة فأما محمود وهو فيل الملك فربض ليقتدى به بقية الفيلة وكان فيها فيل تشجع فحصب فهربت بقية الفيلة وقال عطاء بن يسار وغيره ليس كلهم أصابه العذاب فى الساعة الراهنة بل منهم من هلك سريعا ومنهم من جعل يتساقط عضوا عضوا وهم هاربون وكان أبرهة ممن تساقط عضوا عضوا حتى مات ببلاد خثعم . وقال ابن إسحاق فخرجوا يتساقطون بكل طريق ويهلكون على كل منهل وأصيب أبرهة فى جسده وخرجوا به معهم يسقط أنملة أنملة حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه فيما يزعمون . وذكر مقاتل بن سليمان أن قريشا أصابوا مالا جزيلا من أسلابهم وما كان معهم وأن عبد المطلب أصاب يومئذ من الذهب ماملأ حفرة قال ابن إسحاق وحدثنى يعقوب بن عتبة أنه حدث أن أول مارؤيت الحصبة والجدرى بأرض العرب ذلك العام وأنه أول مارؤى به مراثر الشجر الحرمل والحنظل والعسر ذلك العام وهكذا روى عن عكرمة من طريق جيد . قال ابن إسحاق فلما بعث الله محمدا ﷺ كان فيما يعد به على قريش من نعمته عليهم وفضله مارد عنهم من أمر الحبشة لبقاء أمرهم ومدتهم فقال (ألم تركيف فعل ربك بأصحاب الفيل* ألم يجعل كيدهم فى تضليل * وأرسل عليهم طيرا أبابيل * ترميهم بحجارة من سجيل * فجعلهم كعصف مأكول) (لإيلاف قريش * إيلافهم رحلة الشتاء والصيف * فليعبدوا رب هذا البيت * الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) أى لئلا يغير شيئا من حالهم التى كانوا عليها لما أراد الله بهم من الخير لو قبلوه قال ابن هشام الأبابيل الجماعات ولم تتكلم العرب بواحدة قال وأما السجيل فأخبرنى يونس النحوى وأبو عبيدة أنه عند العرب الشديد الصلب . قال وذكر بعض المفسرين أنهما كلتان بالفارسية جعلتهما العرب كلمة واحدة وإنما هو سنج وجل يعنى بالسنج الحجر والجل الطين يقول الحجارة من هذين الجنسين الحجر والطين قال والعصف ورق الزرع الذى لم يقصب واحدته عصفة انتهى ما ذكره ، وقد قال حماد بن سلمة عن عامر عن زر عن عبد الله وأبو سلمة بن عبد الرحمن (طيرا أبابيل) قال الفرق وقال ابن عباس والضحاك أبابيل يتبع بعضها بعضا وقال الحسن البصرى وقتادة الأبابيل الكثيرة وقال مجاهد أبابيل شتى متتابعة مجتمعة وقال ابن زيد الأبابيل المختلفة تأتى من ههنا ومن ههنا أتتهم من كل مكان وقال الكسائى سمعت بعض النحويين يقول: واحد الأبابيل إبيل

وقال ابن جرير حدثنى عبد الأعلى حدثنى داود عن إسحاق بن عبد الله بن الحارث بن نوفل أنه قال فى قوله تعالى (وأرسل عليهم طيرا أبابيل) هى الأقاطيع كالإبل المؤبلة وحدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن ابن عون عن ابن سيرين عن ابن عباس (وأرسل عليهم طيرا أبابيل) قال لها خراطيم كخراطيم الطير وأكف كأكف الكلاب وحدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا هشيم أخبرنا حصين عن عكرمة فى قوله تعالى (طيرا أبابيل) قال كانت طيرا خضرا خرجت من البحر لها رءوس كرءوس السباع ، وحدثنا ابن بشار حدثنا ابن مهدى عن سفيان عن الأعمش عن أبى سفيان عن عبيد بن عمير (طيرا أبابيل) قال هى طيور سود بحرية فى مناقيرها وأظافيرها الحجارة وهذه أسانيد صحيحة وقال سعيد بن جبير كانت طيرا خضرا لها مناقير صفر تختلف عليهم وعن ابن عباس ومجاهد وعطاء كانت الطير الأبابيل مثل التى يقال لها عنقاء مغرب ورواه عنهم ابن أبى حاتم . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عبيد الله بن محمد ابن أبى شيبة حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبى سفيان عن عبيد بن عمير قال لما أراد الله أن يهلك أصحاب الفيل بعث عليهم طيرا أنشئت من البحر أمثال الخطاطيف كل طير منها يحمل ثلاثة أحجار مجزعة حجرين فى رجليه وحجرا فى منقاره قال فجاءت حتى صفت على رءوسهم ثم صاحت وألقت ما فى أرجلها ومناقيرها فما يقع حجر على رأس رجل إلا خرج من دبره ولا يقع على شىء من جسده إلا خرج من الجانب الآخر وبعث الله ريحا شديدة فضربت الحجارة فزادتها شدة فأهلكوا جميعا ، وقال السدى عن عكرمة عن ابن عباس: حجارة من سجيل، قال طين فى حجارة

سنك وكل وقد قدمنا بيان ذلك بما أغنى عن إعادته ههنا ، وقوله تعالى (فجعلهم كعصف مأكول) قال سعيد بن جبير يعنى التبن الذى تسميه العامة هبور وفى رواية عن سعيد ورق الحنطة ، وعنه أيضا العصف التبن والمأكول القصيل يجز للدواب وكذلك قال الحسن البصرى ، وعن ابن عباس العصف القشرة التى على الحبة كالغلاف على الحنطة

وقال ابن زيد العصف ورق الزرع وورق البقل إذا أكلته البهائم فراثته فصار دريا ، والمعنى أن الله سبحانه وتعالى أهلكهم ودمرهم وردهم بكيدهم وغيظهم لم ينالوا خيرا وأهلك عامتهم ولم يرجع منهم مخبر إلا وهو جريح كما جرى لملكهم أبرهة فانه انصدع صدره عن قلبه حين وصل إلى بلده صنعاء وأخبرهم بها جرى لهم ثم مات فملك بعده ابنه يكسوم ثم من بعده أخوه مسروق بن أبرهة . ثم خرج سيف بن ذى يزن الحميرى إلى كسرى فاستعانه على الحبشة فأنفذ معه من جيوشه فقاتلوا معه فرد الله اليهم ملكهم وما كان فى آبائهم من الملك وجاءته وفود العرب بالتهنئة . وقد قال محمد بن إسحاق : حدثنا عبد الله بن أبى بكير عن عمرة بنت عبدالرحمن بن أسعد بن زرارة عن عائشة قالت : لقد رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة أعميين مقعدين يستطعمان . ورواه الواقدى عن عائشة مثله ، ورواه عن أسماء بنت أبى بكر أنها قالت كانا مقعدين يستطعمان الناس عند أساف ونائلة حيث يذبح المشركون ذبائحهم ﴿ قلت ﴾ كان اسم قائد الفيل أنيسا . وقد ذكر الحافظ أبو نعيم فى كتاب دلائل النبوة من طريق ابن وهب عن ابن لهيعة عن عقيل بن خالد عن عثمان بن المغيرة قصة أصحاب الفيل ولم يذكر أن أبرهة قدم من اليمن وانما بعث على الجيش رجلا يقال له شمر بن مقصود وكان الجيش عشرين ألفا وذكر أن الطير طرقتهم ليلا فأصبحوا صرعى وهذا السياق غريب جدا وإن كان أبو نعيم قد قواه ورجحه على غيره والصحيح أن أبرهة الأشرم الحبشى قدم مكة كما دل على ذلك السياقات والأشعار . وهكذا روى عن ابن لهيعة عن الأسود عن عروة أن أبرهة بعث الأسود بن مقصود على كتيبة معهم الفيل ولم يذكر قدوم أبرهة نفسه ، والصحيح قدومه ولعل ابن مقصود كان على مقدمة الجيش والله أعلم . ثم ذكر ابن إسحاق شيئا من أشعار العرب فيما كان من قصة أصحاب الفيل فمن ذلك شعر عبدالله بن الزبعرى :

تنكلوا عن بطن مكة إنها ... كانت قديما لا يرام حريمها
لم تخلق الشعرى ليالى حرمت ... إذ لا عزيز من الأنام يرومها
سائل أمير الجيش عنها ما رأى ... فلسوف ينبى الجاهلين عليمها
ستون ألفا لم يؤوبوا أرضهم ... بل لم يعش بعد الإياب سقيمها
كانت بها عاد وجرهم قبلهم ... والله من فوق العباد يقيمها

وقال أبو قيس بن الأسلت الأنصارى المدنى :

ومن صنعه يوم فيل الحبو ... ش إذ كل ما بعثوه رزم ... محاجنهم تحت أقرابه
وقد شرموا أنفه فانخرم ... وقد جعلوا سوطه مغولا ... إذا يمموه قفاه كلم
فولى وأدبر أدراجه ... وقد باء بالظلم من كان ثم ... فأرسل من فوقهم حاصبا
يلفهم مثل لف القزم ... يحض على الصبر أحبارهم ... وقد ثأجوا كثؤاج الغنم

وقال أبو الصلت بن ربيعة الثقفى ويروى لأمية بن أبى الصلت بن ربيعة :

إن آيات ربنا باقيات ... ما يمارى فيهن إلا الكفور ... خلق الليل والنهار فكل
مستبين حسابه مقدور ... ثم يجلو النهار رب رحيم ... بمهاة شعاعها منشور
حبس الفيل بالمغمس حتى ... صار يحبو كأنه معقور ... لازما حلقه الجران كما قطر
من ظهر كبكب محذور ... حوله من ملوك كندة أبطال ... ملاويث فى الحروب صقور
خلفوه ثم ابذعروا جميعا ... كلهم عظم ساقه مكسور
كل دين يوم القيامة عند ا ... له إلا دين الحنيفة بور

وقدقدمنا فى تفسير سورة الفتح أن رسول الله ﷺ لما أطل يوم الحديبية على الثنية التى تهبط به على قريش بركت ناقته فزجروها فألحت فقالوا خلأت القصواء أى حرنت فقال رسول الله ﷺ « ماخلأت القصواء وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل — ثم قال — والذى نفسى بيده لا يسألونى اليوم خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أجبتهم إليها » ثم زجرها فقامت . والحديث من أفراد البخارى ، وفى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال يوم فتح مكة « إن الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين وإنه قد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس ألا فيبلغ الشاهد الغائب » . آخر تفسير سورة الفيل ولله الحمد والمنة .

﴿ تفسير سورة لايلاف قريش وهى مكية ﴾

﴿ ذكر حديث غريب فى فضلها ﴾ قال البيهقى فى كتاب الخلافيات حدثنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا بكر بن محمد ابن حمدان الصيرفى بمرو حدثنا أحمد بن عبد الله الزينبى حدثنا يعقوب بن محمد الزهرى حدثنا إبراهيم بن محمد بن ثابت ابن شرحبيل حدثنى عثمان بن عبد الله بن أبى عتيق عن سعيد بن عمرو بن جعدة بن هبيرة عن أبيه عن جدته أم هانئ بنت أبى طالب أن رسول الله ﷺ قال « فضل الله قريشا بسبع خلال : إنى منهم وإن النبوة فيهم والحجابة والسقاية فيهم ، وإن الله نصرهم على الفيل وإنهم عبدوا الله عزوجل عشر سنين لايعبده غيرهم وإن الله أنزل فيهم سورة من القرآن — ثم تلا رسول الله ﷺ — (بسم الله الرحمن الرحيم * لإيلاف قريش * إيلافهم رحلة الشتاء والصيف * فليعبدوا رب هذا البيت * الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) »

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ * إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَآءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ الَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾

هذه السورة مفصولة عن التى قبلها فى المصحف الامام كتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم وإن كانت متعلقة بما قبلها كما صرح بذلك محمد بن إسحاق وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم لأن المعنى عندهما حبسنا عن مكة الفيل وأهلكنا أهله لإيلاف قريش أى لائتلافهم واجتماعهم فى بلدهم آمنين وقيل المراد بذلك ما كانوا يألفونه من الرحلة فى الشتاء إلى اليمن وفى الصيف إلى الشام فى المتاجر وغير ذلك ثم يرجعون إلى بلدهم آمنين فى أسفارهم لعظمتهم عند الناس لكونهم سكان حرم الله فمن عرفهم احترمهم بل من صوفى اليهم وسار معهم أمن بهم وهذا حالهم فى أسفارهم ورحلتهم فى شتائهم وصيفهم وأما فى حال إقامتهم فى البلد فكما قال الله تعالى (أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم) ولهذا قال تعالى (لإيلاف قريش إيلافهم) بدل من الأول ومفسر له ولهذا قال تعالى (إيلافهم رحلة الشتاء والصيف) ، وقال ابن جرير : الصواب أن اللام لام التعجب كأنه يقول اعجبوا لإيلاف قريش ونعمتى عليهم فى ذلك ، قال وذلك لإجماع المسلمين على أنهما سورتان منفصلتان مستقلتان . ثم أرشدهم إلى شكر هذه النعمة العظيمة فقال (فليعبدوا رب هذا البيت) أى فليوحدوه بالعبادة كما جعل لهم حرما آمنا وبيتا محرما كما قال تعالى (قل إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذى حرمها وله كل شىء وأمرت أن أكون من المسلمين) وقوله تعالى (الذى أطعمهم من جوع) أى هو رب البيت وهو الذى أطعمهم من جوع (وآمنهم من خوف) أى تفضل عليهم بالأمن والرخص فليفردوه بالعبادة وحده لا شريك له ولا يعبدوا من دونه صنما ولا ندا ولا وثنا ولهذا من استجاب لهذا الأمر جمع الله له بين أمن الدنيا وأمن الآخرة ومن عصاه سلبهما منه كما قال تعالى (ضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون * ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون) ، وقد قال ابن أبى حاتم حدثنا عبد الله ابن عمرو الغزى حدثنا قبيصة حدثنا سفيان عن ليث عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد قالت سمعت رسول الله

ﷺ يقول « ويل لكم قريش لئلاف قريش ثم قال حدثنا أبي حدثنا المؤمل بن الفضل الحراني حدثنا عيسى يعني ابن يونس عن عبد الله بن أبي زياد عن شهر بن حوشب عن أسامة بن زيد قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف ويحكم يا معشر قريش اعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمكم من جوع وآمنكم من خوف » هكذا رأيته عن أسامة بن زيد وصوابه عن أسماء بنت يزيد بن السكن أم سلمة الأنصارية رضي الله عنها فلعله وقع غلط في النسخة أو في أصل الرواية والله أعلم . آخر تفسير سورة لإيلاف قريش ، ولله الحمد والمنة

﴿ تفسير السورة التي يذكر فيها الماعون وهي مكية ﴾

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِالدِّينِ * فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ * وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ * فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ * ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴾

يقول تعالى أرأيت يا محمد الذي يكذب بالدين وهو المعاد والجزاء والثواب (فذلك الذي يدع اليتيم) أي هو الذي يقهر اليتيم ويظلمه حقه ولا يطعمه ولا يحسن إليه (ولا يحض على طعام المسكين) كما قال تعالى (كلا بل لا تكرمون اليتيم * ولا تحاضون على طعام المسكين) يعني الفقير الذي لا شيء له يقوم بأوده وكفايته ، ثم قال تعالى (فويل للمصلين * الذين هم عن صلاتهم ساهون) قال ابن عباس وغيره يعني المنافقين الذين يصلون في العلانية ولا يصلون في السر ولهذا قال (للمصلين) الذين هم من أهل الصلاة وقد التزموا بها ثم هم عنها ساهون ، إما عن فعلها بالكلية كما قاله ابن عباس وإما عن فعلها في الوقت المقدر لها شرعا فيخرجها عن وقتها بالكلية كما قاله مسروق وأبو الضحى وقال عطاء بن دينار : الحمد لله الذي قال (عن صلاتهم ساهون) ولم يقل في صلاتهم ساهون ، وإما عن وقتها الأول فيؤخرونها إلى آخره دائما أو غالبا ، وإما عن أدائها بأركانها وشروطها على الوجه المأمور به ، وإما عن الخشوع فيها والتدبر لمعانيها ، فاللفظ يشمل ذلك كله ولكن من اتصف بشيء من ذلك قسط من هذه الآية ، ومن اتصف بجميع ذلك فقد تم له نصيبه منها وكمل له النفاق العملي كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « تلك صلاة المنافق ، تلك صلاة المنافق ، تلك صلاة المنافق ، يجلس يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرني الشيطان قام فنقر أربعا لا يذكر الله فيها إلا قليلا » فهذا آخر صلاة العصر التي هي الوسطى كما ثبت به النص إلى آخر وقتها وهو وقت كراهة ثم قام إليها فنقرها نقر الغراب لم يطمئن ولا خشع فيها أيضا ولهذا قال لا يذكر الله فيها إلا قليلا ولعله إنما حمله على القيام إليها مراآة الناس لا ابتغاء وجه الله فهو كما إذا لم يصل بالكلية . قال الله تعالى (إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا) وقال تعالى ههنا (الذين هم يراءون) . وقال الطبراني حدثنا يحيى بن عبد الله بن عبدربه البغدادي حدثني أبي حدثنا عبد الوهاب بن عطاء عن يونس عن الحسن عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال « إن في جهنم لواديا تستعيذ جهنم من ذلك الوادي في كل يوم أربعمائة مرة أعد ذلك الوادي للمرائين من أمة محمد لحامل كتاب الله وللمتصدق في غير ذات الله وللحاج إلى بيت الله وللخارج في سبيل الله » وقال الإمام أحمد حدثنا أبو نعيم حدثنا الأعمش عن عمرو بن مرة قال كنا جلوسا عند أبي عبيدة فذكروا الرياء فقال رجل يكنى بأبي يزيد سمعت عبد الله بن عمرو يقول : قال رسول الله ﷺ « من سمع الناس بعمله سمع الله به سامع خلقه وحقره وصغره » ورواه أيضا عن غندر ويحيى القطان عن شعبة عن عمرو بن مرة عن رجل عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ فذكره ، ومما يتعلق بقوله تعالى (الذين هم يراءون) أن من عمل عملا لله فاطلع عليه الناس فأعجبه ذلك ان هذا لا يعد رياء ، والدليل على ذلك ما رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده حدثنا هارون بن معروف حدثنا مخلد بن يزيد حدثنا سعيد بن بشير حدثنا الأعمش

عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال كنت أصلي فدخل علي رجل فأعجبني ذلك فذكرته لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « كتب لك أجران: أجر السر وأجر العلانية » قال أبو علي هارون بن معروف بلغني أن ابن المبارك قال نعم الحديث للرائين وهذا حديث غريب من هذا الوجه وسعيد بن بشير متوسط وروايته عن الأعمش عزيزة وقد رواه غيره عنه ، قال أبو يعلى أيضا حدثنا محمد بن المثنى بن موسى حدثنا أبو داود حدثنا أبو سنان عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رجل يارسول الله الرجل يعمل العمل يسره فإذا اطلع عليه أعجبه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « له أجران أجر السر وأجر العلانية » وقد رواه الترمذي عن محمد بن المثنى وابن ماجه عن بندار كلاهما عن أبي داود الطيالسي عن أبي سنان الشيباني واسمه ضرار بن مرة ثم قال الترمذي غريب وقد رواه الأعمش وغيره عن حبيب عن أبي صالح مرسلا . وقد قال أبو جعفر بن جرير حدثني أبو كريب حدثنا معاوية ابن هشام عن شيبان النحوي عن جابر الجعفي حدثني رجل عن أبي برزة الأسلمي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية (الذين هم عن صلاتهم ساهون) : « الله أكبر هذا خير لكم من أن لو أعطى كل رجل منكم مثل جميع الدنيا هو الذي إن صلى لم يرج خير صلاته وإن تركها لم يخف ربه » فيه جابر الجعفي وهو ضعيف وشيخه مبهم لم يسم والله أعلم . وقال ابن جرير أيضا حدثني زكريا بن أبان المصري حدثنا عمرو بن طارق حدثنا عكرمة بن إبراهيم حدثني عبد الملك بن عمير عن مصعب بن سعد عن سعد بن أبي وقاص قال سألت رسول الله ﷺ عن الذين هم عن صلاتهم ساهون قال « هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها » قلت وتأخير الصلاة عن وقتها يحتمل تركها بالكلية ويحتمل صلاتها بعد وقتها شرعا أو تأخيرها عن أول الوقت وكذا رواه الحافظ أبو يعلى عن شيبان بن فروخ عن عكرمة بن إبراهيم به ثم رواه عن أبي الربيع عن جابر عن عاصم عن مصعب عن أبيه موقوفا: سهوا عنها حتى ضاع الوقت وهذا أصح إسنادا وقد ضعف البيهقي رفعه وصحح وقفه وكذلك الحاكم

وقوله تعالى (ويمنعون الماعون) أي لا أحسنوا عبادة ربهم ولا أحسنوا إلى خلقه حتى ولا باعارة ما ينتفع به ويستعان به مع بقاء عينه ورجوعه إليهم ، فهؤلاء لمنع الزكاة وأنواع القربات أولى وأولى ، وقد قال ابن أبي نجيح عن مجاهد قال على الماعون الزكاة وكذا رواه السدي عن أبي صالح عن علي وكذا روى من غير وجه عن ابن عمر وبه يقول محمد بن الحنفية وسعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد وعطاء وعطية العوفي والزهري والحسن وقتادة والضحاك وابن زيد قال الحسن البصري إن صلى راءى وإن فاتته لم يأس عليها ويمنع زكاة ماله وفي لفظ صدقة ماله وقال زيد بن أسلم هم المنافقون ظهرت الصلاة فصلوها ، وخفيت الزكاة فمنعوها . وقال الأعمش وشعبة عن الحكم عن يحيى بن الخراز أن أبا العبيدين سأل عبد الله بن مسعود عن الماعون فقال هو ما يتعاوره الناس بينهم من الفأس والقدر وقال السعودي عن سلمة بن كهيل عن أبي العبيدين أنه سئل ابن مسعود عن الماعون فقال هو ما يتعاطاه الناس بينهم من الفأس والقدر والدلو وأشباه ذلك . وقال ابن جرير حدثني محمد بن عبيد المحاربي حدثنا أبو الأحوص عن أبي إسحق عن أبي العبيدين وسعد بن عياض عن عبد الله قال كنا أصحاب محمد ﷺ نتحدث أن الماعون الدلو والفأس والقدر لا يستغنى عنهن وحدثنا خلاد بن أسلم أخبرنا النضر بن شميل أخبرنا شعبة عن أبي إسحق قال سمعت سعد بن عياض يحدث عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مثله . وقال الأعمش عن إبراهيم عن الحارث بن سويد عن عبد الله أنه سئل عن الماعون فقال ما يتعاوره الناس بينهم الفأس والدلو وشبهه . وقال ابن جرير حدثنا عمرو بن علي الفلاس حدثنا أبو داود الطيالسي حدثنا أبو عوانة عن عاصم بن بهدلة عن أبي وائل عن عبد الله قال كنا مع نبينا ﷺ ونحن نقول الماعون منع الدلو وأشباه ذلك . وقد رواه أبو داود والنسائي عن قتيبة عن أبي عوانة بإسناده نحوه ولفظ النسائي عن عبد الله قال: كل معروف صدقة ، وكنا نعد الماعون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم عارية الدلو والقدر . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن عبد الله قال: الماعون العواري القدر والميزان والدلو وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس (ويمنعون الماعون) يعني متاع البيت وكذا قال مجاهد

وإبراهيم النخعى وسعيد بن جبير وأبو مالك وغير واحد انها العارية للأمتعة وقال ليث بن أبى سليم عن مجاهد عن ابن عباس ويمنعون الماعون قال لم يجىء أهلها بعد وقال العوفى عن ابن عباس ويمنعون الماعون قال اختلف الناس فى ذلك فمنهم من قال يمنعون الزكاة ومنهم من قال يمنعون الطاعة ومنهم من قال يمنعون العارية رواه ابن جرير ثم روى عن يعقوب بن إبراهيم عن ابن علية عن ليث بن أبى سليم عن أبى إسحق عن الحارث عن على : الماعون منع الناس الفأس والقدر والدلو ، وقال عكرمة رأس الماعون زكاة المال وأدناه المنخل والدلو والابرة رواه ابن أبى حاتم وهذا الذى قاله عكرمة حسن فانه يشمل الأقوال كلها وترجع كلها إلى شىء واحد وهو ترك المعاونة بمال أو منفعة ولهذا قال محمد ابن كعب ويمنعون الماعون قال المعروف . ولهذا جاء فى الحديث « كل معروف صدقة » وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا وكيع عن ابن أبى ذئب عن الزهرى (ويمنون الماعون) قال بلسان قريش المال . وروى ههنا حديثا غريبا عجيبا فى إسناده ومتنه فقال حدثنا أبى وأبو زرعة قالا حدثنا قيس بن حفص الدارمى حدثنا دلهم بن دهيم العجلى حدثنا عائذ بن ربيعة النميرى حدثنى قرة بن دعموص النميرى أنهم وفدوا على رسول الله ﷺ فقالوا يا رسول الله ما تعهد إلينا ! قال « لا تمنعوا الماعون » قالوا يا رسول الله وما الماعون ! قال « فى الحجر وفى الحديدة وفى الماء » قالوا فأى الحديدة ؟ قال « قدوركم النحاس وحديد الفأس الذى تمتهنون به » قالوا ما الحجر ! قال « قدوركم الحجارة » غريب جدا ورفعه منكر وفى إسناده من لا يعرف والله أعلم . وقد ذكر ابن الأثير فى الصحابة ترجمة على النميرى فقال روى ابن مانع بسنده إلى عامر بن ربيعة بن قيس النميرى عن على بن فلان النميرى سمعت رسول الله ﷺ يقول « المسلم أخو المسلم إذا لقيه جاء بالسلام ورد عليه ما هو خير منه لا يمنع الماعون » قلت يا رسول الله ما الماعون . قال « الحجر والحديد وأشباه ذلك » والله أعلم . آخر تفسير السورة ولله الحمد والمنة

﴿ تفسير سورة الكوثر وهى مدنية وقيل مكية ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن فضيل عن المختار بن فلفل عن أنس بن مالك قال أغفى رسول الله ﷺ إغفاءة فرفع رأسه متبسما إما قال لهم وإما قالوا له : لم ضحكت فقال رسول الله ﷺ « إنه أنزلت على آنفا سورة » فقرأ (بسم الله الرحمن الرحيم * إنا أعطيناك الكوثر) حتى ختمها فقال « هل تدرون ما الكوثر ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم قال « هو نهر أعطانيه ربى عز وجل فى الجنة عليه خير كثير ترد عليه أمتى يوم القيامة آنيته عدد الكواكب يختلج العبد منهم فأقول يا رب إنه من أمتى ، فيقال إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك » هكذا رواه الإمام أحمد بهذا الإسناد الثلاثى وهذا السياق عن محمد بن فضيل عن المختار بن فلفل عن أنس بن مالك

وقد ورد فى صفة الحوض يوم القيامة أنه يشخب فيه ميزابان من السماء من نهر الكوثر وأن آنيته عدد نجوم السماء وقد روى هذا الحديث مسلم وأبو داود والنسائى من طريق على بن مسهر ومحمد بن فضيل كلاهما عن المختار بن فلفل عن أنس ، ولفظ مسلم قال: بينا رسول الله ﷺ بين أظهرنا فى المسجد إذا أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه متبسما قلنا ما أضحكك يا رسول الله . قال « لقد أنزلت على آنفا سورة » فقرأ (بسم الله الرحمن الرحيم * إنا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر * إن شانئك هو الأبتر) ثم قال « أتدررن ما الكوثر . — قلنا الله ورسوله أعلم قال — فانه نهر وعدنيه ربى عزوجل عليه خير كثير هو حوض ترد عليه أمتى يوم القيامة آنيته عدد النجوم فى السماء فيختلج العبد منهم فأقول رب إنه من أمتى ، فيقول إنك لا تدرى ما أحدث بعدك »

وقد استدل به كثير من القراء على أن هذه السورة مدنية وكثير من الفقهاء على أن البسملة من السورة وأنها منزلة معها . فأما قوله تعالى (إنا أعطيناك الكوثر) فقد تقدم فى هذا الحديث أنه نهر فى الجنة وقد رواه الإمام أحمد من طريق أخرى عن أنس فقال حدثنا عفان حدثنا حماد أخبرنا ثابت عن أنس أنه قرأ هذه الآية (إنا أعطيناك الكوثر)

قال : قال رسول الله ﷺ « أعطيت الكوثر فاذا هو نهر يجرى ولم يشق شقا وإذا حافتاه قباب اللؤلؤ فضربت بيدى فى تربته فاذا مسك أذفر وإذا حصباؤه اللؤلؤ » . وقال الإمام أحمد أيضا حدثنا محمد بن أبى عدى عن حميد عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « دخلت الجنة فاذا أنا بنهر حافتاه خيام اللؤلؤ فضربت بيدى إلى مايجرى فيه الماء فاذا مسك أذفر قلت ماهذا ياجبريل ؟ قال هذا الكوثر الذى أعطاكه الله عز وجل » ورواه البخارى فى صحيحه ومسلم من حديث شيبان بن عبد الرحمن عن قتادة عن أنس بن مالك قال لما عرج بالنبى صلى الله عليه وسلم إلى السماء قال « أتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف فقلت ما هذا ياجبريل ؟ قال هذا الكوثر » وهو لفظ البخارى رحمه الله . وقال ابن جرير حدثنا الربيع أخبرنا ابن وهب عن سليمان بن بلال عن شريك بن أبى نمر ، قال : سمعت أنس بن مالك يحدثنا قال لما أسرى برسول الله ﷺ مضى به جبريل فى السماء الدنيا فاذا هو بنهر عليه قصر من اللؤلؤ وزبرجد فذهب يشم ترابه فاذا هو مسك قال « ياجبريل ماهذا النهر ؟ قال هو الكوثر الذى خبأ لك ربك » وقد تقدم حديث الاسراء فى سورة سبحان من طريق شريك عن أنس عن النبى ﷺ وهو مخرج فى الصحيحين . وقال سعيد عن قتادة عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « بينا أنا أسير فى الجنة إذ عرض لى نهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف ، فقال الملك ـ الذى معه ـ أتدرى ماهذا ؟ هذا الكوثر الذى أعطاك الله ، وضرب بيده إلى أرضه فأخرج من طينه المسك » وكذا رواه سليمان بن طرخان ومعمر وهمام وغيرهم عن قتادة به . قال ابن جرير حدثنا أحمد بن أبى شريح حدثنا أبو أيوب العباس حدثنا إبراهيم بن سعد حدثنى محمد بن عبد الوهاب ابن أخى ابن شهاب عن أبيه عن أنس قال سئل رسول الله ﷺ عن الكوثر فقال « هو نهر أعطانيه الله تعالى فى الجنة ترابه مسك أبيض من اللبن وأحلى من العسل ترده طير أعناقها مثل أعناق الجزر » قال أبو بكر يارسول الله إنها لناعمة قال « آكلها أنعم منها »

وقال أحمد حدثنا أبو سلمة الخزاعى حدثنا الليث عن يزيد بن الهاد عن عبد الوهاب عن عبد الله بن مسلم بن شهاب عن أنس أن رجلا قال يارسول الله ما الكوثر ؟ قال « هو نهر فى الجنة أعطانيه ربى لهو أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل فيه طيور أعناقها كأعناق الجزر » قال عمر يارسول الله إنها لناعمة قال « آكلها أنعم منها ياعمر » رواه ابن جرير من حديث الزهرى عن أخيه عبد الله عن أنس أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكوثر فذكر مثله سواء . وقال البخارى حدثنا خالد بن يزيد الكاهلى حدثنا إسرائيل عن أبى إسحاق عن أبى عبيدة عن عائشة رضى الله عنها قال سألتها عن قوله تعالى (إنا أعطيناك الكوثر) قالت نهر أعطيه نبيكم صلى الله عليه وسلم شاطئاه عليه در مجوف آنيته كعدد النجوم ، ثم قال البخارى رواه زكريا وأبو الأحوص ومطرف عن أبى إسحاق ورواه أحمد والنسائى من طريق مطرف به

وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن سفيان وإسرائيل عن أبى إسحاق عن أبى عبيدة عن عائشة قالت الكوثر نهر فى الجنة شاطئاه در مجوف ، وقال إسرائيل : نهر فى الجنة عليه من الآنية عدد نجوم السماء . وحدثنا ابن حميد حدثنا يعقوب القمى عن حفص بن حميد عن شمر بن عطية عن شقيق أو مسروق قال : قلت لعائشة يا أم المؤمنين حدثينى عن الكوثر قالت : نهر فى بطنان الجنة ، قلت وما بطنان الجنة ؟ قالت وسطها حافتاه قصور اللؤلؤ والياقوت ترابه المسك وحصباؤه اللؤلؤ والياقوت ، وحدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن أبى جعفر الرازى عن ابن أبى نجيح عن عائشة رضى الله عنها قالت : من أحب أن يسمع خرير الكوثر فليجعل اصبعيه فى أذنيه ، وهذا منقطع بين ابن أبى نجيح وعائشة وفى بعض الروايات عن رجل عنها ، ومعنى هذا أنه يسمع نظير ذلك لا أنه يسمعه نفسه والله أعلم . قال السهيلى ورواه الدارقطنى مرفوعا من طريق مالك بن مغول عن الشعبى عن مسروق عن عائشة عن النبى ﷺ . ثم قال البخارى حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا هشيم أخبرنا أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال فى الكوثر هو الخير الذى أعطاه الله إياه ، قال أبو بشر قلت لسعيد بن جبير : فان ناسا يزعمون أنه نهر فى الجنة

فقال سعيد : النهر الذى فى الجنة من الخير الذى أعطاه الله إياه ، ورواه أيضا من حديث هشيم عن أبى بشر وعطاء ابن السائب عن سعيد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال الكوثر الخير الكثير ، وقال الثورى عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال الكوثر الخير الكثير وهذا التفسير يعم النهر وغيره لان الكوثر من الكثرة وهو الخير الكثير ومن ذلك النهر كما قال ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد ومحارب بن دثار والحسن بن أبى الحسن البصرى حتى قال مجاهد هو الخير الكثير فى الدنيا والآخرة ، وقال عكرمة هو النبوة والقرآن وثواب الآخرة وقد صح عن ابن عباس أنه فسره بالنهر أيضا فقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا عمر بن عبيد عن عطاء عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال الكوثر نهر فى الجنة حافتاه ذهب وفضة يجرى على الياقوت والدر ماؤه أبيض من الثلج وأحلى من العسل ، وروى العوفى عن ابن عباس نحو ذلك ، قال ابن جرير حدثنى يعقوب حدثنا هشيم أخبرنا عطاء ابن السائب عن محارب بن دثار عن ابن عمر أنه قال الكوثر نهر فى الجنة حافتاه ذهب وفضة يجرى على الدر والياقوت ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل ، وكذا رواه الترمذى عن ابن حميد عن جرير عن عطاء ابن السائب به مثله موقوفا ، وقد روى مرفوعا فقال الإمام أحمد حدثنا على بن حفص حدثنا ورقاء قال : وقال عطاء عن محارب بن دثار عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « الكوثر نهر فى الجنة حافتاه من ذهب والماء يجرى على اللؤلؤ وماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل » وهكذا رواه الترمذى وابن ماجه وابن أبى حاتم وابن جرير من طريق محمد بن فضيل عن عطاء بن السائب به مرفوعا . وقال الترمذى حسن صحيح

وقال ابن جرير حدثنى يعقوب حدثنا ابن علية أخبرنا عطاء بن السائب قال : قال لى محارب بن دثار ماقال سعيد ابن جبير فى الكوثر ؟ قلت حدثنا عن ابن عباس أنه قال هو الخير الكثير فقال صدق والله إنه للخير الكثير ولكن حدثنا ابن عمر قال لما نزلت (إنا أعطيناك الكوثر) قال رسول الله ﷺ « الكوثر نهر فى الجنة حافتاه من ذهب يجرى على الدر والياقوت » . وقال ابن جرير حدثنى ابن البرقى حدثنا ابن مريم حدثنا محمد بن جعفر بن أبى كثير أخبرنى حرام بن عثمان عن عبد الرحمن الأعرج عن أسامة بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى حمزة بن عبد المطلب يوما فلم يجده فسأل عنه امرأته وكانت من بنى النجار فقالت خرج يابنى الله آنفا عامداً نحوك فأظنه أخطأك فى بعض أزقة بنى النجار ، أولا تدخل يا رسول الله ؟ فدخل فقدمت اليه حيسا فأكل منه فقالت يارسول الله هنيئا لك ومريئا لقد جئت وأنا أريد أن آتيك فأهنيك وأمريك أخبرنى أبو عمارة أنك أعطيت نهرا فى الجنة يدعى الكوثر فقال « أجل وعرضه ـ يعنى أرضه ـ ياقوت ومرجان وزبرجد ولؤلؤ » حرام بن عثمان ضعيف ولكن هذا سياق حسن وقد صح أصل هذا بل قد تواتر من طرق تفيد القطع عند كثير من أئمة الحديث وكذلك أحاديث الحوض ، وهكذا روى عن أنس وأبى العالية ومجاهد وغير واحد من السلف أن الكوثر نهر فى الجنة ، وقال عطاء هو حوض فى الجنة ، وقوله تعالى (فصل لربك وانحر) أى كما أعطيناك الخير الكثير فى الدنيا والآخرة ومن ذلك النهر الذى تقدم صفته فأخلص لربك صلاتك المكتوبة والنافلة وتحرك فاعبده وحده لاشريك له وانحر على اسمه وحده لاشريك له كما قال تعالى (قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين * لاشريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) قال ابن عباس وعطاء ومجاهد وعكرمة والحسن يعنى بذلك نحر البدن ونحوها ، وكذا قال قتادة ومحمد بن كعب القرظى والضحاك والربيع وعطاء الخراسانى والحكم وسعيد بن أبى خالد وغير واحد من السلف وهذا بخلاف ما كان عليه المشركون من السجود لغير الله والذبح على غير اسمه كما قال تعالى (ولاتأكلوا مما لم يذكر اسم عليه وإنه لفسق) الآية ، وقيل المراد بقوله (وانحر) وضع اليد اليمنى على اليد اليسرى تحت النحر يروى هذا عن على ولا يصح ، وعن الشعبى مثله وعن أبى جعفر الباقر (وانحر) يعنى رفع اليدين عند افتتاح الصلاة وقيل (وانحر) أى استقبل بنحرك القبلة ، ذكر هذه الأقوال الثلاثة ابن جرير . وقد روى ابن أبى حاتم ههنا حديثا منكرا جدا فقال حدثنا وهب بن إبراهيم القاضى سنة خمس وخمسين ومائتين حدثنا إسرائيل بن حاتم المروزى حدثنا

مقاتل بن حيان عن الأصبغ بن نباتة عن على بن أبى طالب قال لما نزلت هذه السورة على النبى صلى الله عليه وسلم (إنا أعطيناك الكوثر * فصل لربك وانحر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا جبريل ما هذه النحيرة التى أمرنى بها ربى ؟ » فقال : ليست بنحيرة ولكنه يأمرك إذا تحرمت للصلاة ارفع يديك إذا كبرت وإذا ركعت وإذا رفعت رأسك من الركوع وإذا سجدت فانها صلاتنا وصلاة الملائكة الذين فى السموات السبع وإن لكل شىء زينة وزينة الصلاة رفع اليدين عند كل تكبيرة . وهكذا رواه الحاكم فى المستدرك من حديث إسرائيل بن حاتم به ، وعن عطاء الخراسانى (وانحر) أى ارفع صلبك بعد الركوع واعتدل وأبرز نحرك يعنى به الإعتدال رواه ابن أبى حاتم وكل هذه الأقوال غريبة جداً ، والصحيح القول الأول أن المراد بالنحر ذبح المناسك ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى العيد ثم ينحر نسكه ويقول « من صلى صلاتنا ونسك نسكنا فقد أصاب النسك ، ومن نسك قبل الصلاة فلا نسك له » فقام أبو بردة بن نيار فقال يارسول الله إنى نسكت شاتى قبل الصلاة وعرفت أن اليوم يوم يشتهى فيه اللحم قال « شاتك شاة لحم » قال فان عندى عناقا هى أحب إلى من شاتين أفتجزىء عنى ؟ قال « تجزئك ولا تجزىء أحداً بعدك » قال أبو جعفر بن جرير والصواب قول من قال إن معنى ذلك فاجعل صلاتك كلها لربك خالصا دون ماسواه من الأنداد والآلهة وكذلك نحرك اجعله له دون الأوثان شكراً له على ما أعطاك من الكرامة والخير الذى لا كفاء له وخصك به ، وهذا الذى قاله فى غاية الحسن ، وقد سبقه إلى هذا المعنى محمد بن كعب القرظى وعطاء . وقوله تعالى (إن شانئك هو الأبتر) أى إن مبغضك يا محمد ومبغض ما جئت به من الهدى والحق والبرهان الساطع والنور المبين هو الأبتر الأقل الأذل المنقطع ذكره قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة نزلت فى العاص بن وائل وقال محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان : قال كان العاص بن وائل إذا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول دعوه فانه رجل أبتر لا عقب له فإذا هلك انقطع ذكره فأنزل الله هذه السورة ، وقال شمر بن عطية نزلت فى عقبة بن أبى معيط ، وقال ابن عباس أيضا وعكرمة نزلت فى كعب بن الأشرف وجماعة من كفار قريش ، وقال البزار حدثنا زياد بن يحيى الحسانى حدثنا ابن أبى عدى عن داود عن عكرمة عن ابن عباس قال : قدم كعب بن الأشرف مكة فقالت له قريش أنت سيدهم ألا ترى إلى هذا الصنبر المنبتر من قومه ؟ يزعم أنه خير منا ونحن أهل الحجيج وأهل السدانة وأهل السقاية فقال أنتم خير منه قال فنزلت (إن شانئك هو الأبتر) هكذا رواه البزار وهو إسناد صحيح ، وعن عطاء نزلت فى أبى لهب وذلك حين مات ابن لرسول الله ﷺ فذهب أبو لهب إلى المشركين فقال بتر محمد الليلة فأنزل الله فى ذلك (إن شانئك هو الأبتر)

وعن ابن عباس نزلت فى أبى جهل وعنه إن شانئك يعنى عدوك وهذا يعم جميع من اتصف بذلك ممن ذكر وغيرهم وقال عكرمة : الأبتر الفرد ، وقال السدى كانوا إذا مات ذكور الرجل قالوا بتر فلما مات أبناء رسول الله ﷺ قالوا بتر محمد فأنزل الله (إن شانئك هو الأبتر) وهذا يرجع إلى ما قلناه من أن الأبتر الذى إذا مات انقطع ذكره فتوهموا لجهلهم أنه إذا مات بنوه انقطع ذكره وحاشا وكلا بل قد أبقى الله ذكره على رءوس الأشهاد ، وأوجب شرعه على رقاب العباد ، مستمرا على دوام الآباد ، إلى يوم المحشر والمعاد ، صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم التناد . آخر تفسير سورة الكوثر ، ولله الحمد والمنة .

﴿ تفسير سورة قل يا أيها الكافرون وهى مكية ﴾

ثبت فى صحيح مسلم عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ بهذه السورة وبقل هو الله أحد فى ركعتى الطواف وفى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ بهما فى ركعتى الفجر . وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا إسرائيل عن أبى إسحاق عن مجاهد عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ فى الركعتين قبل الفجر والركعتين بعد المغرب بضعا وعشرين مرة أو بضع عشرة مرة قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وقال أحمد أيضا حدثنا محمد بن عبد الله بن الزبير حدثنا إسرائيل عن أبى إسحاق عن مجاهد عن ابن عمر قال: رمقت

النبي صلى الله عليه وسلم أربعا وعشرين أوخمسا وعشرين مرة يقرأ فى الركعتين قبل الفجر والركعتين بعد المغرب بقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد . وقال أحمد حدثنا أبو أحمد هو محمد بن عبدالله بن الزبير الزبيرى حدثنا سفيان هو الثورى عن أبى إسحاق عن مجاهد عن ابن عمر قال :رمقت النبي صلى الله عليه وسلم شهرا وكان يقرأ فى الركعتين قبل الفجر بقل يا أيها الكافرين وقل هو الله أحد وكذا رواه الترمذى وابن ماجه من حديث أبى أحمد الزبيرى وأخرجه النسائى من وجه آخر عن أبى إسحاق به وقال الترمذى هذا حديث حسن،وقد تقدم فى الحديث أنها تعدل ربع القرآن وإذا زلزلت تعدل ربع القرآن . وقال الإمام أحمد حدثناهاشم بن القاسم حدثنا زهير حدثنا أبو إسحاق عن فروة بن نوفل هو ابن معاوية عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له « هل لك فى ربيبة لنا تكفلها ؟» قال أراها زينب قال ثم جاء فسأله النبي صلى الله عليه وسلم عنها قال « ما فعلت الجارية ؟ » قال تركتها عند أمها قال « فمجىء ما جاء بك » قال جئت لتعلمنى شيئا أقوله عند منامى قال « اقرأ قل يا أيها الكافرين ثم نم على خاتمتها فانها براءة من الشرك » تفرد به أحمد . وقال أبو القاسم الطبرانى حدثنا أحمد بن عمر القطرانى حدثنا محمد بن الطفيل حدثنا شريك عن أبى إسحاق عن جبلة بن حارثة وهو أخو زيد بن حارثة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إذا أويت إلى فراشك فاقرأ قل يا أيها الكافرون حتى تمر بآخرها فانها براءة من الشرك » . وروى الطبرانى من طريق شريك عن جابر عن معقل الزبيدى عن عبد الرحمن بن[1] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أخذ مضجعه قرأ (قل يا أيها الكافرون) حتى يختمها . وقال الإمام أحمد حدثنا حجاج حدثنا شريك عن أبى إسحاق عن فروة بن نوفل عن الحارث بن جبلة قال قلت يا رسول الله علمنى شيئا أقوله عند منامى قال « إذا أخذت مضجعك من الليل فاقرأ قل يا أيها الكافرون فانها براءة من الشرك » والله أعلم

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ * وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾

هذه السورة سورة البراءة من العمل الذى يعمله المشركون وهى آمرة بالاخلاص فيه فقوله تعالى (قل يا أيها الكافرون) يشمل كل كافر على وجه الأرض ولكن المواجهون بهذا الخطاب هم كفار قريش وقيل إنهم من جهلهم دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عبادة أو ثانهم سنة ويعبدون معبوده سنة فأنزل الله هذه السورة وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم فيها أن يتبرأ من دينهم بالكلية فقال (لا أعبد ما تعبدون) يعنى من الأصنام والأنداد (ولا أنتم عابدون ما أعبد) وهو الله وحده لا شريك له ، فما ههنا بمعنى من،ثم قال(ولا أنا عابد ما عبدتم *ولا أنتم عابدون ما أعبد) أى ولا أعبد عبادتكم أى لا أسلكها ولا أقتدى بها وإنما أعبد الله على الوجه الذى يحبه ويرضاه ولهذا قال (ولا أنتم عابدون ما أعبد)أى لا تقتدون بأوامر الله وشرعه فى عبادته بل قد اخترعتم شيئا من تلقاء أنفسكم كما قال(إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى) فتبرأ منهم فى جميع ماهم فيه فان العابد لا بد له من معبود يعبده وعبادة يسلكها إليه فالرسول صلى الله عليه وسلم واتباعه يعبدون الله بما شرعه ولهذا كان كلمة الإسلام لا إله إلا الله محمد رسول الله أى لا معبود إلا الله ولا طريق إليه إلا بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم والمشركون يعبدون غير الله عبادة لم يأذن بها الله ولهذا قال لهم الرسول صلى الله عليه وسلم (لكم دينكم ولى دين) كما قال تعالى(وإن كذبوك فقل لى عملى ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا برىء مما تعملون) وقال لنا أعمالنا ولكم أعمالكم) . وقال البخارى يقال (لكم دينكم) الكفر (ولى دين) الإسلام ولم يقل دينى لأن الآيات بالنون فحذف الياء كما قال(فهو يهدين) (ويشفين) وقال غيره: لا أعبد ما تعبدون الآن ولا أجيبكم فيما بقى من عمرى ولا انتم عابدون ما أعبدوهم الذين قال(ولا يزيدن

(١) كذا بالأصل .

كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا) انتهى ما ذكره ونقل ابن جرير عن بعض أهل العربية أن ذلك من باب التأكيد كقوله (فإن مع العسر يسرا * إن مع العسر يسرا) وكقوله (لترون الجحيم * ثم لترونها عين اليقين) وحكاه بعضهم كابن الجوزى وغيره عن ابن قتيبة فالله أعلم . فهذه ثلاثة أقوال ﴿ أولها ﴾ ما ذكرناه أولا ﴿ الثانى ﴾ ما حكاه البخارى وغيره من المفسرين أن المراد (لا أعبد ما تعبدون * ولا أنتم عابدون ما أعبد) فى الماضى (ولا أنا عابد ما عبدتم * ولا أنتم عابدون ما أعبد) فى المستقبل ﴿ الثالث ﴾ أن ذلك تأكيد محض ﴿ وثم قول رابع ﴾ نصره أبو العباس بن تيمية فى بعض كتبه وهو أن المراد بقوله (لا أعبد ما تعبدون) نفى الفعل لأنها جملة فعلية (ولا أنا عابد ما عبدتم) نفى قبوله لذلك بالكلية لأن النفى بالجملة الاسمية آكد فكأنه نفى الفعل وكونه قابلا لذلك ومعناه نفى الوقوع ونفى الامكان الشرعى أيضا وهو قول حسن أيضا والله أعلم . وقد استدل الإمام أبو عبد الله الشافعى وغيره بهذه الآية الكريمة (لكم دينكم ولى دين) على أن الكفر كله ملة واحدة فورث اليهود من النصارى وبالعكس إذا كان بينهما نسب أو سبب يتوارث به لأن الأديان ما عدا الإسلام كلها كالشىء الواحد فى البطلان . وذهب أحمد بن حنبل ومن وافقه إلى عدم توريث النصارى من اليهود وبالعكس لحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ « لا يتوارث أهل ملتين شتى » . آخر تفسير سورة قل يا أيها الكافرون

﴿ تفسير سورة إذا جاء نصر الله والفتح وهى مدنية ﴾

قد تقدم أنها تعدل ربع القرآن ، وإذا زلزلت تعدل ربع القرآن. وقال النسائى أخبرنا محمد بن إسماعيل بن إبراهيم أخبرنا جعفر عن أبى العميس ح وأخبرنا أحمد بن سليمان حدثنا جعفر بن عون حدثنا أبو العميس عن عبد المجيد بن سهيل عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال : قال لى ابن عباس يا ابن عتبة أتعلم آخر سورة من القرآن نزلت ؟ قلت نعم : (إذا جاء نصر الله والفتح) قال صدقت . وروى الحافظان أبو بكر البزار والبيهقى من حديث موسى بن عبيدة البريدى عن صدقة بن يسار عن ابن عمر قال أنزلت هذه السورة (إذا جاء نصر الله والفتح) على رسول الله صلى الله عليه وسلم أوسط أيام التشريق فعرف أنه الوداع فأمر براحلته القصواء فرحلت ثم قام فخطب الناس فذكر خطبته المشهورة . وقال الحافظ البيهقى أخبرنا على بن أحمد بن عبدان أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار حدثنا الاسقاطى حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا عباد بن العوام عن هلال بن خباب عن عكرمة عن ابن عباس قال لما نزلت (إذا جاء نصر الله والفتح) دعا رسول الله ﷺ فاطمة وقال « إنه قد نعيت إلى نفسى » فبكت ثم ضحكت وقالت أخبرنى أنه نعيت إليه نفسه فبكيت ثم قال « اصبرى فانك أول أهلى لحاقا بى » فضحكت وقد رواه النسائى كما سيأتى بدون ذكر فاطمة

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾

قال البخارى حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا أبو عوانة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان عمر يدخلنى مع أشياخ بدر فكأن بعضهم وجد فى نفسه فقال لم يدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله ؟ فقال عمر إنه ممن قد علمتم فدعاهم ذات يوم فأدخله معهم فما رأيت أنه دعانى فيهم يومئذ إلا ليريهم فقال ما تقولون فى قول الله عز وجل (إذا جاء نصر الله والفتح) ؟ فقال بعضهم أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا وسكت بعضهم فلم يقل شيئا فقال لى أكذلك تقول يا ابن عباس ؟ فقلت لا ، فقال ما تقول ؟ فقلت هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له قال (إذا جاء نصر الله والفتح) فذلك علامة أجلك (فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا) فقال عمر بن الخطاب لا أعلم منها إلا ما تقول . تفرد به البخارى . وروى ابن جرير عن محمد بن حميد عن مهران عن الثورى عن عاصم

عن أبي رزين عن ابن عباس فذكر مثل هذه القصة أو نحوها . وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن فضيل حدثنا عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما نزلت (إذا جاء نصر الله والفتح) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نعيت إلى نفسي » فانه مقبوض في تلك السنة تفرد به أحمد . وروى العوفي عن ابن عباس مثله وهكذا قال مجاهد وأبو العالية والضحاك وغير واحد إنها أجل رسول الله ﷺ نعي اليه . وقال ابن جرير حدثني إسماعيل بن موسى حدثنا الحسن بن عيسى الحنفي عن معمر عن الزهري عن أبي حازم عن ابن عباس قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة إذ قال « الله أكبر الله أكبر جاء نصر الله والفتح جاء أهل اليمن ـ قيل يارسول الله وما أهل اليمن ؟ قال ـ قوم رقيقة قلوبهم لينة طباعهم ، الإيمان يمان ، والفقه يمان ، والحكمة يمانية » ثم رواه ابن عبد الأعلى عن ابن ثور عن معمر عن عكرمة مرسلا . وقال الطبراني حدثنا زكريا بن يحيى حدثنا أبو كامل الجحدري حدثنا أبو عوانة عن هلال بن خباب عن عكرمه عن ابن عباس قال لما نزلت (إذا جاء نصر الله والفتح) حتى ختم السورة قال نعيت لرسول الله ﷺ نفسه حين نزلت قال فأخذ بأشد ما كان قط اجتهادا في أمر الآخرة ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك « جاء الفتح ونصر الله ، وجاء أهل اليمن » فقال رجل يارسول الله وما أهل اليمن ؟ قال « قوم رقيقة قلوبهم ، لينة طباعهم ، الإيمان يمان ، والفقه يمان » وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع عن سفيان عن عاصم عن أبي رزين عن ابن عباس قال : لما نزلت (إذا جاء نصر الله والفتح) علم النبي صلى الله عليه وسلم أن قد نعيت اليه نفسه فقيل إذا جاء نصر الله والفتح السورة كلها ، حدثنا وكيع عن سفيان عن عاصم عن أبي رزين أن عمر سأل ابن عباس عن هذه الآية (إذا جاء نصر الله والفتح) قال لما نزلت نعيت إلى رسول الله ﷺ نفسه

وقال الطبراني حدثنا إبراهيم بن أحمد بن عمر الوكيعي حدثنا أبي حدثنا جعفر بن عون عن أبي العميس عن أبي بكر ابن أبي الجهم عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس قال آخر سورة نزلت من القرآن جميعا (إذا جاء نصر الله والفتح) وقال الامام أحمد أيضا حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي البختري الطائي عن أبي سعيد الخدري أنه قال لما نزلت هذه السورة (إذا جاء نصر الله والفتح) قرأها رسول الله ﷺ حتى ختمها فقال « الناس خير وأنا وأصحابي خير ـ وقال ـ لاهجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية » فقال له مروان كذبت وعنده رافع بن خديج وزيد بن ثابت قاعدان معه على السرير فقال أبو سعيد لو شاء هذان لحدثاك ولكن هذا يخاف أن تنزعه عن عرافة قومه وهذا يخشى أن تنزعه عن الصدقة فرفع مروان عليه الدرة ليضربه فلما رأيا ذلك قالا: صدق . تفرد به أحمد وهذا الذي أنكره مروان على أبي سعيد ليس بمنكر فقد ثبت من رواية ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم الفتح « لاهجرة ولكن جهاد ونية ، ولكن إذا استنفرتم فانفروا » أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما فالذي فسر به بعض الصحابة من جلساء عمر رضي الله عنهم أجمعين من أنه قد أمرنا إذا فتح الله علينا المدائن والحصون أن نحمد الله ونشكره ونسبحه يعني نصلي له ونستغفره . معنى مليح صحيح وقد ثبت له شاهد من صلاة النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة وقت الضحى ثماني ركعات فقال قائلون هي صلاة الضحى وأجيبوا بأنه لم يكن يواظب عليها فكيف صلاها ذلك اليوم وقد كان مسافرا لم ينو الإقامة بمكة ؟ ولهذا أقام فيها إلى آخر شهر رمضان قريبا من تسعة عشرة يوما يقصر الصلاة ويفطر هو وجميع الجيش وكانوا نحوا من عشرة آلاف قال هؤلاء وإنما كانت صلاة الفتح قالوا فيستحب لأمير الجيش إذا فتح بلدا أن يصلي فيه أول مايدخله ثماني ركعات وهكذا فعل سعد بن أبي وقاص يوم فتح المدائن ثم قال بعضهم يصليها كلها بتسليمة واحدة ، والصحيح أنه يسلم من كل ركعتين كما ورد في سنن أبي داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسلم يوم الفتح من كل ركعتين وأما مافسر به ابن عباس وعمر رضي الله تعالى عنهما من أن هذه السورة نعى فيها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم روحه الكريمة وأعلم أنك إذا فتحت مكة وهي قريتك التي أخرجتك ودخل الناس في دين الله أفواجا فقد فرغ شغلنا بك في الدنيا فتهيأ للقدوم علينا والوفود إلينا فالآخرة خير لك من الدنيا ، ولسوف يعطيك ربك فترضى ، ولهذا قال (فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان

توابا) قال النسائى أخبرنا عمرو بن منصور حدثنا محمد بن محبوب حدثنا أبو عوانة عن هلال بن خباب عن عكرمة عن ابن عباس : قال لما نزلت (إذا جاء نصر الله والفتح) إلى آخر السورة قال نعيت لرسول صلى الله عليه وسلم نفسه حين أنزلت فأخذ فى أشد ما كان اجتهادا فى أمر الآخرة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك « جاء الفتح وجاء نصر الله وجاء أهل اليمن » فقال رجل يارسول الله وما أهل اليمن ؟ قال «قوم رقيقة قلوبهم لينة قلوبهم، الإيمان يمان والحكمة يمانية والفقة يمان » وقال البخارى حدثنا عثمان بن أبى شيبة حدثنا جرير عن منصور عن أبى الضحى عن مسروق عن عائشة قالت كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول فى ركوعه وسجوده « سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لى » يتأول القرآن وأخرجه بقية الجماعة إلا الترمذى من حديث منصور به . وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن أبى عدى عن داود عن الشعبى عن مسروق قال: قالت عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر فى آخر أمره من قول « سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه » وقال : «إن ربى كان أخبرنى أنى سأرى علامة فى أمتى وأمرنى إذا رأيتها أن أسبح بحمده واستغفره إنه كان توابا فقد رأيتها (إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك وأستغفره إنه كان توابا) » ورواه مسلم من طريق داود بن أبى هند به . وقال ابن جرير حدثنا أبو السائب حدثنا حفص حدثنا عاصم عن الشعبى عن أم سلمة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آخر أمره لا يقوم ولا يقعد ولا يذهب ولا يجىء إلا قال « سبحان الله وبحمده » فقلت يا رسول الله رأيتك تكثر من سبحان الله وبحمده لا تذهب ولا تجىء ولا تقوم ولا تقعد إلا قلت : سبحان الله وبحمده قال « إنى أمرت بها فقال (إذا جاء نصر الله والفتح) » إلى آخر السورة ، غريب ، وقد كتبنا حديث كفارة المجلس من جميع طرقه وألفاظه فى جزء مفرد فيكتب ههنا

وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع عن إسرائيل عن أبى إسحاق عن أبى عبيدة عن عبد الله قال لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم (إذا جاء نصر الله والفتح) كان يكثر إذا قرأها وركع أن يقول « سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لى إنك أنت التواب الرحيم » ثلاثا تفرد به أحمد . ورواه ابن أبى حاتم عن أبيه عن عمرو بن مرة عن شعبة عن أبى إسحاق به والمراد بالفتح ههنا فتح مكة قولا واحداً فان أحياء العرب كانت تتلوم باسلامها فتح مكة يقولون إن ظهر على قومه فهو نبى فلما فتح الله عليه مكة دخلوا فى دين الله أفواجا فلم تمض سنتان حتى استوسقت جزيرة العرب إيمانا ولم يبق فى سائر قبائل العرب إلا مظهر للاسلام ولله الحمد والمنة ، وقد روى البخارى فى صحيحه عن عمرو بن سلمة قال لما كان الفتح بادر كل قوم باسلامهم إلى رسول الله ﷺ وكانت الأحياء تتلوم باسلامها فتح مكة يقولون دعوه وقومه فان ظهر عليهم فهو نبى الحديث وقد حررنا غزوة الفتح فى كتابنا ﴿ السيرة ﴾ فمن أراده فليراجعه هناك ولله الحمد والمنة . وقال الإمام أحمد حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا أبو إسحاق عن الأوزاعى حدثنى أبو عمار حدثنى جار لجابر بن عبد الله قال قدمت من سفر فجاءنى جابر بن عبدالله فسلم على فجعلت أحدثه عن افتراق الناس وما أحدثوا فجعل جابر يبكى ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الناس دخلوا فى دين الله أفواجا وسيخرجون منه أفواجا » . آخر تفسير سورة النصر ، ولله الحمد والمنة

﴿ تفسير سورة تبت وهى مكية ﴾

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ * وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ * فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾

قال البخارى حدثنا محمد سلام حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن النبى ﷺ خرج إلى البطحاء فصعد الجبل فنادى « يا صباحاه » فاجتمعت إليه قريش فقال « أرأيتم إن

حدثتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أكنتم تصدقونى ؟ — قالوا نعم ، قال — فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد » فقال أبو لهب ألهذا جمعتنا ، تبالك فأنزل الله (تبت يدا أبى لهب وتب) إلى آخرها . وفى رواية قام ينفض يديه وهو يقول تبالك سائر اليوم ألهذا جمعتنا ؟ فأنزل الله (تبت يدا أبى لهب وتب) الأول دعاء عليه والثانى خبر عنه فأبو لهب هذا هو أحد أعمام رسول الله صلى الله عليه وسلم واسمه عبد العزى بن عبد المطلب وكنيته أبو عتيبة وإنما سمى أبا لهب لاشراق وجهه وكان كثير الاذية لرسول الله صلى الله عليه وسلم والبغضة له والازدراء به والتنقص له ولدينه . قال الإمام أحمد حدثنا إبراهيم بن أبى العباس حدثنا عبد الرحمن بن أبى الزناد عن أبيه قال أخبرنى رجل يقال له ربيعة بن عباد من بنى الديل وكان جاهليا فأسلم قال : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى الجاهلية فى سوق ذى المجاز وهو يقول « يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا » والناس مجتمعون عليه ووراءه رجل وضىء الوجه أحول ذو غديرتين يقول إنه صابىء كاذب ، يتبعه حيث ذهب فسألت عنه فقالوا هذا عمه أبو لهب ثم رواه عن شريح عن ابن أبى الزناد عن أبيه فذكره قال أبو الزناد قلت لربيعة كنت يومئذ صغيرا ؟ قال لا والله إنى يومئذ لأعقل أنى أزفر القربة تفرد به أحد . وقال محمد بن إسحاق حدثنى حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس قال سمعت ربيعة بن عباد الديلى يقول إنى لمع أبى رجل شاب أنظر إلى رسول الله ﷺ يتبع القبائل ووراءه رجل أحول وضىء الوجه ذو جمة يقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على القبيلة فيقول « يا بنى فلان إنى رسول الله إليكم آمركم أن تعبدوا الله لا تشركوا به شيئا وأن تصدقونى وتمنعونى حتى أنفذ عن الله ما بعثنى به » وإذا فرغ من مقالته قال الآخر من خلفه يا بنى فلان هذا يريد منكم أن تسلخوا اللات والعزى وحلفاءكم من الجن من بنى مالك بن أقيش إلى ما جاء به من البدعة والضلالة فلا تسمعوا له ولا تتبعوه فقلت لأبى من هذا ؟ قال عمه أبو لهب رواه أحمد أيضا والطبرانى بهذا اللفظ ، فقوله تعالى (تبت يدا أبى لهب) أى خسرت وخابت وضل عمله وسعيه (وتب) أى وقد تب تحقق خسارته وهلاكه . وقوله تعالى (ما أغنى عنه ماله وما كسب) قال ابن عباس وغيره (وما كسب) يعنى ولده ، وروى عن عائشة ومجاهد وعطاء والحسن وابن سيرين مثله ، وذكر عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دعا قومه إلى الإيمان قال أبو لهب إن كان ما يقول ابن أخى حقا فانى أفتدى نفسى يوم القيامة من العذاب بمالى وولدى فأنزل الله تعالى (ما أغنى عنه ماله وما كسب) . وقوله تعالى (سيصلى ناراً ذات لهب) أى ذات شرر ولهب وإحراق شديد (وامرأته حمالة الحطب) وكانت زوجته من سادات نساء قريش وهى أم جميل واسمها أروى بنت حرب بن أمية وهى أخت أبى سفيان وكانت عونا لزوجها على كفره وجحوده وعناده فلهذا تكون يوم القيامة عونا عليه فى عذابه فى نار جهنم ، ولهذا قال تعالى (حمالة الحطب فى جيدها حبل من مسد) يعنى تحمل الحطب فتلقى على زوجها ليزداد على ما هو فيه وهى مهيأة لذلك مستعدة له (فى جيدها حبل من مسد) قال مجاهد وعروة : من مسد النار ، وعن مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والثورى والسدى (حمالة الحطب) كانت تمشى بالنميمة واختاره ابن جرير . وقال العوفى عن ابن عباس وعطية الجدلى والضحاك وابن زيد كانت تضع الشوك فى طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن جرير وقيل كانت تعير النبى صلى الله عليه وسلم بالفقر وكانت تحتطب فعيرت بذلك كذا حكاه ولم يعزه إلى أحد والصحيح الأول والله أعلم قال سعيد بن المسيب كانت لها قلادة فاخرة فقالت لأنفقنها فى عداوة محمد يعنى فأعقبها الله منها حبلا فى جيدها من مسد النار . وقال ابن جرير : حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن سليم مولى الشعبى عن الشعبى قال المسد الليف وقال عروة بن الزبير المسد : سلسلة ذرعها سبعون ذراعا ، وعن الثورى هو قلادة من نار طولها سبعون ذراعا ، وقال الجوهرى : المسد ، الليف ، والمسد أيضا حبل من ليف أو خوص وقد يكون من جلود الإبل أو أوبارها ومسدت الحبل أمسده مسداً إذا أجدت فتله

وقال مجاهد (فى جيدها حبل من مسد) أى طوق من حديد ألا ترى أن العرب يسمون البكرة مسدا ؟ وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى وأبو زرعة قالا حدثنا عبد الله بن الزبير الحميدى حدثنا سفيان حدثنا الوليد بن كثير عن أبى بدرس عن أسماء بنت أبى بكر قالت لما نزلت (تبت يدا أبى لهب) أقبلت العوراء أم جميل بنت حرب ولها ولولة وفى يدها فهر

وهى تقول : مذمما أبينا ودينه قلينا * وأمره عصينا

ورسول الله ﷺ جالس فى المسجد ومعه أبو بكر فلما رآها أبو بكر قال يا رسول الله قد أقبلت وأنا أخاف عليك أن تراك فقال رسول الله ﷺ « إنها لن ترانى » وقرأ قرآنا اعتصم به كما قال تعالى (وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا) فأقبلت حتى وقفت على أبى بكر ولم تر رسول الله ﷺ فقالت يا أبا بكر إنى أخبرت أن صاحبك هجانى قال لا ورب هذا البيت ما هجاك قولت وهى تقول قد علمت قريش أنى ابنة سيدها. قال: وقال الوليد فى حديثه أو غيره فعثرت أم جميل فى مرطها وهى تطوف بالبيت فقالت تعس مذمم فقالت أم حكيم بنت عبد المطلب إنى لحصان فما أكلم ، وثقاف فما أعلم ، وكلتانا من بنى العم ، وقريش بعد أعلم ، وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا إبراهيم بن سعيد وأحمد بن إسحق قالا حدثنا أبو أحمد حدثنا عبد السلام بن حرب عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما نزلت (تبت يدا أبى لهب) جاءت امرأة أبى لهب ورسول الله ﷺ جالس ومعه أبو بكر فقال له أبو بكر لو تنحيت لا تؤذيك بشىء فقال رسول الله ﷺ « إنه سيحال بينى وبينها » فأقبلت حتى وقفت على أبى بكر فقالت يا أبا بكر هجانا صاحبك فقال أبو بكر لا ورب هذه البنية ما ينطق بالشعر ولا يتفوه به فقالت إنك لمصدق فلما ولت قال أبو بكر ما رأتك ؟ قال « لا ، ما زال ملك يسترنى حتى ولت » ثم قال البزار لا نعلمه يروى بأحسن من هذا الإسناد عن أبى بكر رضى الله عنه . وقد قال بعض أهل العلم فى قوله تعالى (فى جيدها حبل من مسد) أى فى عنقها حبل من نار جهنم ترفع به إلى شفيرها ثم ترمى إلى أسفلها ثم كذلك دائما ، قال أبو الخطاب بن دحية فى كتابه التنوير وقد روى ذلك وعبر بالمسد عن حبل الدلو كما قال أبو حنيفة الدينورى فى كتاب النبات كل مسد رشاء وأنشد فى ذلك :

وبكرة وعورا صرارا * ومسدا من أبق مغارا

قال والأبق القنب . وقال آخر : يا مسد الخوص تعوذ منى * إن تك لدنا لينا فانى * ما شئت من أشمط مقسأن

قال العلماء وفى هذه السورة معجزة ظاهرة ودليل واضح على النبوة فانه منذ نزل قوله تعالى (سيصلى نارا ذات لهب وامرأته حمالة الحطب * فى جيدها حبل من مسد) فأخبر عنهما بالشقاء وعدم الإيمان لم يقيض لهما أن يؤمنا ولا واحد منهما لا باطنا ولا ظاهرا ، لا مسرا ولا معلنا فكان هذا من أقوى الأدلة الباهرة الباطنة على النبوة الظاهرة. آخر تفسير السورة ، ولله الحمد والمنة

(تفسير سورة الاخلاص وهى مكية)

(ذكر سبب نزولها وفضلها)

قال الإمام أحمد حدثنا أبو سعيد محمد بن ميسر الصاغانى حدثنا أبو جعفر الرازى حدثنا الربيع بن أنس عن أبى العالية عن أبى بن كعب أن المشركين قالوا للنبى ﷺ يا محمد : انسب لنا ربك فأنزل الله تعالى (قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفوا أحد) وكذا رواه الترمذى وابن جرير عن أحمد بن منيع زاد ابن جرير ومحمود بن خداش عن أبى سعيد محمد بن ميسر به زاد ابن جرير والترمذى قال (الصمد) الذى لم يلد ولم يولد لأنه ليس شىء يولد إلا سيموت وليس شىء يموت إلا سيورث وإن الله عز وجل لا يموت ولا يورث (ولم يكن له كفوا أحد) ولم يكن له شبيه ولا عدل وليس كمثله شىء . ورواه ابن أبى حاتم من حديث أبى سعيد محمد بن ميسر به ، ثم رواه الترمذى عن عبد بن حميد عن عبيد الله بن موسى عن أبى جعفر عن الربيع عن أبى العالية فذكره مرسلا ولم يذكر حدثنا ثم قال الترمذى وهذا أصح من حديث أبى سعيد

(حديث آخر فى معناه) قال الحافظ أبو يعلى الموصلى حدثنا سريج بن يونس حدثنا إسماعيل بن مجالد عن مجالد عن الشعبى عن جابر رضى الله عنه أن أعرابيا جاء إلى النبى ﷺ فقال انسب لنا ربك فأنزل الله عز وجل (قل هو الله أحد) إلى آخرها إسناد متقارب ، وقد رواه ابن جرير عن محمد بن عوف عن سريج فذكره وقد أرسله غير

واحد من السلف وروى عبيد بن إسحق العطار عن قيس بن الربيع عن أبي عاصم عن أبي وائل عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قالت قريش لرسول الله ﷺ انسب لنا ربك فنزلت هذه السورة (قل هو الله أحد) قال الطبراني ورواه الفريابي وغيره عن قيس عن أبي عاصم عن أبي وائل مرسلا ثم روى الطبراني من حديث عبد الرحمن بن عثمان الطرائفي عن الوازع بن نافع عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: لكل شيء نسبة ونسبة الله قل هو الله أحد. الله الصمد ، والصمد ليس بأجوف

(حديث آخر في فضلها) قال البخاري حدثنا محمد هو الدهلي حدثنا أحمد بن صالح حدثنا ابن وهب أخبرنا عمرو عن ابن أبي هلال أن أبا الرجال محمد بن عبد الرحمن حدثه عن أمه عمرة بنت عبد الرحمن وكانت في حجر عائشة زوج النبي ﷺ عن عائشة رضى الله عنها أن النبي ﷺ بعث رجلا على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بقل هو الله أحد فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال « سلوه لأي شيء يصنع ذلك » فسألوه فقال لأنها صفة الرحمن وأنا أحب أن أقرأ بها فقال النبي ﷺ « أخبروه أن الله تعالى يحبه » هكذا رواه في كتاب التوحيد ومنهم من يسقط ذكر محمد الدهلي ويجعله من روايته عن أحمد بن صالح ، وقد رواه مسلم والنسائي أيضا من حديث عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال به

﴿ حديث آخر ﴾ قال البخاري في كتاب الصلاة وقال عبيد الله عن ثابت عن أنس رضى الله عنه قال كان رجل من الأنصار يؤمهم في مسجد قباء فكان كلما افتتح سورة يقرأ بها لهم في الصلاة مما يقرأ به افتتح بقل هو الله أحد حتى يفرغ منها ثم كان يقرأ سورة أخرى معها وكان يصنع ذلك في كل ركعة فكلمه أصحابه فقالوا إنك تفتتح بهذه السورة ثم لا ترى أنها تجزئك حتى تقرأ بالأخرى فإما أن تقرأ بها وإما أن تدعها وتقرأ بأخرى ، فقال ما أنا بتاركها إن أحببتم أن أؤمكم بذلك فعلت وإن كرهتم تركتكم وكانوا يرون أنه من أفضلهم وكرهوا أن يؤمهم غيره فلما أتاهم النبي ﷺ أخبروه الخبر فقال يا فلان « ما يمنعك أن تفعل ما يأمرك به أصحابك وما حملك على لزوم هذه السورة في كل ركعة » قال إني أحبها ، قال « حبك إياها أدخلك الجنة » هكذا رواه البخاري تعليقا مجزوما به . وقد رواه أبو عيسى الترمذي في جامعه عن البخاري عن إسماعيل بن أبي أويس عن عبد العزيز بن محمد الدراوردي عن عبيد الله بن عمر فذكر بإسناده مثله سواء ثم قال الترمذي غريب من حديث عبيد الله عن ثابت . قال وروى مبارك بن فضالة عن ثابت عن أنس أن رجلا قال يا رسول الله إني أحب هذه السورة (قل هو الله أحد) قال « إن حبك إياها أدخلك الجنة » وهذا الذي علقه الترمذي قد رواه الإمام أحمد في مسنده متصلا فقال حدثنا أبو النضر حدثنا مبارك ابن فضالة عن ثابت عن أنس رضى الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إني أحب هذه السورة (قل هو الله أحد) فقال رسول الله صلى عليه وسلم « حبك إياها أدخلك الجنة » . ﴿ حديث في كونها تعدل ثلث القرآن ﴾ قال البخاري حدثنا إسماعيل حدثني مالك عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة عن أبيه عن أبي سعيد أن رجلا سمع رجلا يقرأ (قل هو الله أحد) يرددها فلما أصبح جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له وكأن الرجل يتقالها فقال النبي صلى الله عليه وسلم « والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن » زاد إسماعيل بن جعفر عن مالك عن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه عن أبي سعيد قال أخبرني أخي قتادة بن النعمان عن النبي ﷺ وقد رواه البخاري أيضا عن عبد الله بن يوسف والقعنبي ، ورواه أبو داود عن القعنبي والنسائي عن قتيبة كلهم عن مالك به وحديث قتادة بن النعمان أسنده النسائي من طريقين عن إسماعيل بن جعفر عن مالك به . ﴿ حديث آخر ﴾ قال البخاري حدثنا عمر بن حفص حدثنا أبي حدثنا الأعمش حدثنا إبراهيم والضحاك المشرقي عن أبي سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ لأصحابه « أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة » فشق ذلك عليهم وقالوا أينا يطيق ذلك يا رسول الله . فقال « الله الواحد الصمد ثلث القرآن » تفرد بإخراجه البخاري من حديث إبراهيم بن يزيد النخعي والضحاك بن شرحبيل الهمداني المشرقي كلاهما عن أبي سعيد ، قال الفربري: سمعت أبا جعفر محمد بن أبي حاتم وراق

أبي عبدالله قال : قال أبو عبدالله البخاري عن إبراهيم مرسل وعن الضحاك مسند .

﴿ حديث آخر ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن إسحاق حدثنا ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : بات قتادة بن النعمان يقرأ الليل كله بقل هو الله أحد فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال « والذي نفسي بيده إنها لتعدل نصف القرآن ـ أو ثلثه ـ » ﴿ حديث آخر ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا حيي بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو أن أبا أيوب الأنصاري كان في مجلس وهو يقول : ألا يستطيع أحدكم أن يقوم بثلث القرآن كل ليلة ؟ فقالوا وهل يستطيع ذلك أحد ؟ قال فان (قل هو الله أحد) ثلث القرآن قال فجاء النبي ﷺ وهو يسمع أبا أيوب فقال « صدق أبو أيوب »

﴿ حديث آخر ﴾ قال أبو عيسى الترمذي حدثنا محمد بن بشار حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا يزيد بن كيسان أخبرني أبو حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « احشدوا فاني سأقرأ عليكم ثلث القرآن » فحشد من حشد ثم خرج نبي الله ﷺ فقرأ (قل هو الله أحد) ثم دخل فقال بعضنا لبعض قال رسول الله ﷺ « فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن » إني لأرى هذا خبرا جاء من السماء ، ثم خرج نبي الله ﷺ فقال « إني قلت سأقرأ عليكم ثلث القرآن ألا وإنها تعدل ثلث القرآن » وهكذا رواه مسلم في صحيحه عن محمد بن بشار به . وقال الترمذي حسن صحيح غريب واسم أبي حازم سلمان

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن زائدة بن قدامة عن منصور عن هلال بن يساف عن الربيع بن خيثم عن عمرو بن ميمون عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن امرأة من الأنصار عن أبي أيوب عن النبي ﷺ قال « أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة ؟ فانه من قرأ (قل هو الله أحد * الله الصمد) في ليلة فقد قرأ ليلتئذ ثلث القرآن » هذا حديث تساعي الاسناد للامام أحمد ورواه الترمذي والنسائي كلاهما عن محمد بن بشار بندار زاد الترمذي وقتيبة كلاهما عن عبد الرحمن بن مهدي به فصارلها عشاريا ، وفي رواية الترمذي عن امرأة أبي أيوب عن أبي أيوب به وحسنه ثم قال وفي الباب عن أبي الدرداء وأبي سعيد وقتادة بن النعمان وأبي هريرة وأنس وابن عمرو أبي مسعود ، وهذا حديث حسن ولا نعلم أحدا روى هذا الحديث أحسن من رواية زائدة وتابعه على روايته إسرائيل والفضيل بن عياض . وقد روى شعبة وغير واحد من الثقات هذا الحديث عن منصور واضطربوا فيه .

﴿ حديث آخر ﴾ قال أحمد حدثنا هشيم عن حصين عن هلال بن يساف عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبي بن كعب أو رجل من الأنصار قال : قال رسول الله ﷺ « من قرأ بقل هو الله أحد فكأنما قرأ بثلث القرآن » ورواه النسائي في اليوم والليلة من حديث هشيم عن حصين عن ابن أبي ليلى به . ولم يقع في روايته هلال بن يساف

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام أحمد حدثنا وكيع عن سفيان عن أبي قيس عن عمرو بن ميمون عن أبي مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن » وهكذا رواه ابن ماجة عن علي بن محمد الطنافسي عن وكيع به . ورواه النسائي في اليوم والليلة من طرق أخر عن عمرو بن ميمون مرفوعا وموقوفا .

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام أحمد حدثنا بهز حدثنا بكير بن أبي السميط حدثنا قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن معدان ابن أبي طلحة عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال ، « أيعجز أحدكم أن يقرأ كل يوم ثلث القرآن ؟ » قالوا نعم يارسول الله نحن أضعف من ذلك وأعجز ، قال « فإن الله جزء القرآن ثلاثة أجزاء فقل هو الله أحد ثلث القرآن » ورواه مسلم والنسائي من حديث قتادة به

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام أحمد حدثنا أمية بن خالد حدثنا محمد بن عبد الله بن مسلم بن أخي ابن شهاب عن عمه الزهري عن حميد بن عبد الرحمن هو ابن عوف عن أمه وهي أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط قالت : قال رسول الله ﷺ « قل هو الله أحد ، تعدل ثلث القرآن » وكذا رواه النسائي في اليوم والليلة عن عمرو بن علي عن أمية بن خالد به ثم رواه من طريق مالك عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمن قوله . ورواه النسائي أيضا في اليوم والليلة من

حديث محمد بن إسحاق عن الحارث بن الفضيل الأنصارى عن الزهرى عن حميد بن عبد الرحمن أن نفرا من أصحاب محمد ﷺ حدثوه عن النبى ﷺ أنه قال « قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن لمن صلى بها » .

﴿ حديث آخر فى كون قراءتها توجب الجنة ﴾ قال الامام مالك بن أنس عن عبيد الله بن عبد الرحمن عن عبيد بن حنين قال سمعت أبا هريرة يقول : أقبلت مع النبى ﷺ فسمع رجلا يقرأ قل هو الله أحد فقال رسول الله ﷺ « وجبت — قلت وما وجبت قال — الجنة » ورواه الترمذى والنسائى من حديث مالك وقال الترمذى حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث مالك وتقدم حديث « حبك إياها أدخلك الجنة » ﴿ حديث فى تكرار قراءتها ﴾ قال الحافظ أبو يعلى الموصلى حدثنا قطر بن بشير حدثنا عيسى بن ميمون القرشى حدثنا يزيد الرقاشى عن أنس رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « ألا يستطيع أحدكم أن يقرأ قل هو الله أحد، ثلاث مرات فى ليلة فإنها تعدل ثلث القرآن » هذا إسناد ضعيف وأجود منه

﴿ حديث آخر ﴾ قال عبد الله بن الامام أحمد حدثنا محمد بن أبى بكر المقدمى حدثنا الضحاك بن مخلد حدثنا ابن أبى ذئب عن أسيد بن أبى أسيد عن معاذ بن عبد الله بن حبيب عن أبيه قال أصابنا عطش وظلمة فانتظرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى بنا فخرج فأخذ بيدى فقال « قل » فسكت قال « قل » قلت ما أقول ؟ قال « قل هو الله أحد والمعوذتين حين تمسى وحين تصبح ثلاثا ، تكفيك كل يوم مرتين » ورواه أبو داود والترمذى والنسائى من حديث ابن أبى ذئب به . وقال الترمذى حسن صحيح غريب من هذا الوجه . وقد رواه النسائى من طريق أخرى عن معاذ بن عبد الله ابن حبيب عن أبيه عن عقبة بن عامر فذكره ولفظه « تكفيك كل شىء » ﴿ حديث آخر فى ذلك ﴾ قال الامام أحمد حدثنا إسحاق بن عيسى حدثنى ليث بن سعد حدثنى الخليل بن مرة عن الأزهر بن عبد الله عن تميم الدارى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قال لا إله إلا الله واحدا أحدا صمدا لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ولم يكن له كفوا أحد عشر مرات كتب الله له أربعين ألف ألف حسنة » تفرد به أحمد والخليل بن مرة ضعفه البخارى وغيره بمرة

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام أحمد أيضا حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا زبان بن فائد عن سهل ابن معاذ بن أنس الجهنى عن أبيه عن رسول الله ﷺ قال « من قرأ قل هو الله أحد حتى يختمها عشر مرات بنى الله له قصرا فى الجنة » فقال عمر إذا نستكثر يا رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ « الله أكثر وأطيب » تفرد به أحمد ورواه أبو محمد الدارمى فى مسنده فقال حدثنا عبد الله بن يزيد حدثنا حيوة حدثنا أبو عقيل وهو ابن معبد قال الدارمى وكان من الأبدال أنه سمع سعيد بن المسيب يقول إن نبى الله ﷺ قال « من قرأ قل هو الله أحد عشر مرات بنى الله له قصرا فى الجنة ومن قرأها عشرين مرة بنى الله له قصرين فى الجنة ومن قرأها ثلاثين مرة بنى الله له ثلاثة قصور فى الجنة » فقال عمر بن الخطاب إذا نكثر قصورنا ، فقال رسول الله ﷺ « الله أوسع من ذلك » وهذا مرسل جيد ﴿ حديث آخر ﴾ قال الحافظ أبو يعلى الموصلى حدثنا نصر بن على حدثنى نوح بن قيس أخبرنى محمد العطار أخبرتنى أم كثير الأنصارية عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ قال « من قرأ قل هو الله أحد خمسين مرة غفر الله له ذنوب خمسين سنة » إسناده ضعيف ﴿ حديث آخر ﴾ قال أبو يعلى حدثنا أبو الربيع حدثنا حاتم بن ميمون حدثنا ثابت عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قرأ قل هو الله أحد فى يوم مائتى مرة كتب الله له ألفا وخمسمائة حسنة إلا أن يكون عليه دين » إسناد ضعيف، حاتم بن ميمون ضعفه البخارى وغيره ورواه الترمذى عن محمد بن مرزوق البصرى عن حاتم بن ميمون به ولفظه « من قرأ كل يوم مائتى مرة قل هو الله أحد محى عنه ذنوب خمسين سنة إلا أن يكون عليه دين »

قال الترمذى وبهذا الاسناد عن النبى ﷺ قال « من أراد أن ينام على فراشه فنام على يمينه ثم قرأ قل هو الله أحد مائة مرة فاذا كان يوم القيامة يقول له الرب عز وجل : ياعبدى ادخل على يمينك الجنة » ثم قال غريب من حديث ثابت ، وقد روى من غير هذا الوجه عنه، وقال أبو بكر البزار حدثنا سهل بن بحر حدثنا حبان بن أغلب حدثنا

أبي حدثنا ثابت عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « من قرأ قل هو الله أحد مائتي مرة حط الله عنه ذنوب مائتي سنة » ثم قال لانعلم رواه عن ثابت إلا الحسن بن أبي جعفر والأغلب بن تميم وهما متقاربان في سوء الحفظ ﴿ حديث آخر ﴾ في الدعاء بما تضمنته من الأسماء قال النسائي عند تفسيرها حدثنا عبد الرحمن بن خالد حدثنا زيد بن الحباب حدثني مالك بن مغول حدثنا عبدالله بن بريدة عن أبيه أنه دخل مع رسول الله ﷺ المسجد فإذا رجل يصلي يدعو يقول اللهم إني أسألك بأني أشهد أن لاإله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد قال « والذي نفسي بيده لقد سأله باسمه الأعظم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دعي به أجاب » وقد أخرجه بقية أصحاب السنن من طرق عن مالك بن مغول عن عبد الله بن بريدة عن أبيه به ، وقال الترمذي حسن غريب ﴿ حديث آخر ﴾ في قراءتها عشر مرات بعد المكتوبة قال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا عبد الأعلى حدثنا بشر بن منصور عن عمر بن شيبان عن أبي شداد عن جابر بن عبدالله قال : قال رسول الله ﷺ « ثلاث من جاء بهن مع الإيمان دخل من أي أبواب الجنة شاء وزوج من الحور العين حيث شاء من عفا عن قاتله وأدى دينا خفيا وقرأ في دبر كل صلاة مكتوبة عشر مرات قل هو الله أحد » قال : فقال أبو بكر أو إحداهن يارسول الله قال « أو إحداهن » ﴿ حديث ﴾ في قراءتها عند دخول المنزل قال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا محمد بن عبد الله بن بكر السراج العسكري حدثنا محمد بن الفرج حدثنا محمد بن الزبرقان عن مروان بن سالم عن أبي زرعة عن عمرو ابن جرير عن جرير بن عبدالله قال : قال رسول الله ﷺ « من قرأ قل هو الله أحد حين يدخل منزله نفت الفقر عن أهل ذلك المنزلة والجيران » إسناده ضعيف ﴿ حديث ﴾ في الاكثار من قراءتها في سائر الأحوال قال الحافظ أبو يعلى حدثنا محمد بن إسحاق المسيبي حدثنا يزيد بن هارون عن العلاء بن محمد الثقفي قال سمعت أنس بن مالك يقول : كنا مع رسول الله ﷺ بتبوك فطلعت الشمس بضياء وشعاع ونور لم نرها طلعت فيما مضى بمثله فأتى جبريل إلى النبي ﷺ فقال « ياجبريل مالي أرى الشمس طلعت اليوم بضياء وشعاع ونور لم أرها طلعت بمثله فيما مضى ؟ » قال إن ذلك معاوية بن معاوية الليثي مات بالمدينة اليوم فبعث الله اليه سبعين ألف ملك يصلون عليه قال : « وفيم ذلك ؟ » قال كان يكثر قراءة قل هو الله أحد في الليل وفي النهار وفي ممشاه وقيامه وقعوده فهل لك يارسول الله أن أقبض الأرض فتصلي عليه : قال « نعم » فصلى عليه ، وكذا رواه الحافظ أبو بكر البيهقي في كتاب دلائل النبوة من طريق يزيد بن هارون عن العلاء بن محمد وهو متهم بالوضع والله أعلم . ﴿ طريق أخرى ﴾ قال أبو يعلى حدثنا محمد بن إبراهيم الشامي أبو عبدالله حدثنا عثمان بن الهيثم مؤذن مسجد الجامع بالبصرة عندي عن محمود أبي عبدالله عن عطاء بن أبي ميمونة عن أنس قال : نزل جبريل على النبي ﷺ فقال مات معاوية بن معاوية الليثي فتحب أن تصلي عليه ؟ قال « نعم » فضرب بجناحه الأرض فلم تبق شجرة ولا أكمة إلا تضعضعت فرفع سريره فنظر اليه فكبر عليه وخلفه صفان من الملائكة في كل صف سبعون ألف ملك فقال النبي ﷺ « ياجبريل بم نال هذه المنزلة من الله تعالى » قال بحبه قل هو الله أحد وقراءته إياها ذاهبا وجائيا قائما وقاعدا وعلى كل حال . ورواه البيهقي من رواية عثمان بن الهيثم المؤذن عن محبوب بن هلال عن عطاء بن أبي ميمونة عن أنس فذكره وهذا هو الصواب ومحبوب بن هلال قال أبو حاتم الرازي ليس بالمشهور ، وقد روى هذا من طرق أخر تركناها اختصارا وكلها ضعيفة ﴿ حديث آخر ﴾ في فضلها مع المعوذتين قال الإمام أحمد حدثنا أبو المغيرة حدثنا معاذ بن رفاعة حدثني علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة عن عقبة بن عامر قال لقيت رسول الله ﷺ فابتدأته فأخذت بيده فقلت يارسول الله بم نجاة المؤمن ؟ قال : « ياعقبة أخرس لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك » قال ثم لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم فابتدأني فأخذ بيدي فقال « ياعقبة بن عامر ألا أعلمك خير ثلاث سور أنزلت في التوراة والإنجيل والزبور والقرآن العظيم » قال : قلت بلى جعلني الله فداك قال : فأقرأني (قل هو الله أحد ـ ـ وقل أعوذ برب الفلق ـ ـ وقل أعوذ برب الناس) ثم قال « ياعقبة لاتنسهن ولاتبت ليلة حتى تقرأهن » قال فما نسيتهن منذ قال لاتنسهن ومابت ليلة قط حتى أقرأهن قال عقبة ثم لقيت رسول الله ﷺ فابتدأته فأخذت بيده فقلت يارسول الله أخبرني بفواضل الأعمال فقال : « ياعقبة صل من قطعك وأعط من حرمك وأعرض عمن ظلمك » روى الترمذي بعضه في الزهد من حديث عبدالله بن زحر عن علي بن يزيد فقال هذا حديث حسن وقد رواه أحمد من طريق

آخر حدثنا حسين بن محمد حدثنا ابن عباس عن أسيد بن عبد الرحمن الخثعمي عن فروة بن مجاهد اللخمي عن عقبة بن عامر عن النبي ﷺ فذكر مثله سواء تفرد به أحمد ﴿حديث آخر﴾ في الاستشفاء بهن قال البخاري حدثنا قتيبة حدثنا المفضل عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما وقرأ فيهما قل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات » وهكذا رواه أهل السنن من حديث عقيل به

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾

قد تقدم ذكر سبب نزولها وقال عكرمة لما قالت اليهود نحن نعبد عزير بن الله، وقالت النصارى نحن نعبد المسيح ابن الله، وقالت المجوس نحن نعبد الشمس والقمر، وقالت المشركون نحن نعبد الأوثان أنزل الله على رسوله ﷺ (قل هو الله أحد) يعني هو الواحد الأحد الذي لا نظير له ولا وزير ولا نديد ولا شبيه ولا عديل، ولا يطلق هذا اللفظ على أحد في الاثبات إلا على الله عز وجل لأنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله. وقوله تعالى (الله الصمد) قال عكرمة عن ابن عباس يعني الذي يصمد إليه الخلائق في حوائجهم ومسائلهم قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس هو السيد الذي قد كمل في سؤدده، والشريف الذي قد كمل في شرفه، والعظيم الذي قد كمل في عظمته، والحليم الذي قد كمل في حلمه، والعليم الذي قد كمل في علمه، والحكيم الذي قد كمل في حكمته. وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد، وهو الله سبحانه هذه صفته لا تنبغي إلا له ليس له كفء وليس كمثله شيء سبحان الله الواحد القهار، وقال الأعمش عن شقيق عن أبي وائل (الصمد) السيد الذي قد انتهى سؤدده ورواه عاصم عن أبي وائل عن ابن مسعود مثله

وقال مالك عن زيد بن أسلم (الصمد) السيد، وقال الحسن وقتادة هو الباقي بعد خلقه، وقال الحسن أيضا (الصمد) الحي القيوم الذي لا زوال له، وقال عكرمة (الصمد) الذي لم يخرج منه شيء ولا يطعم، وقال الربيع بن أنس هو الذي لم يلد ولم يولد كأنه جعل ما بعده تفسيرا له وهو قوله (لم يلد ولم يولد) وهو تفسير جيد وقد تقدم الحديث من رواية ابن جرير عن أبي بن كعب في ذلك وهو صريح فيه، وقال ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن المسيب ومجاهد وعبد الله بن بريدة وعكرمة أيضا وسعيد بن جبير وعطاء بن أبي رباح وعطية العوفي والضحاك والسدي (الصمد) الذي لا جوف له. قال سفيان عن منصور عن مجاهد (الصمد) المصمت الذي لا جوف له، وقال الشعبي هو الذي لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب. وقال عبد الله بن بريدة أيضا (الصمد) نور يتلألأ، روى ذلك كله وحكاه ابن أبي حاتم والبيهقي والطبراني وكذا أبو جعفر بن جرير ساق أكثر ذلك بأسانيده، وقال حدثني العباس بن أبي طالب حدثنا محمد بن عمرو بن رومي عن عبيد الله بن سعيد قائد الأعمش حدثنا صالح بن حيان عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال لا أعلم إلا قد رفعه قال «الصمد الذي لا جوف له» وهذا غريب جدا والصحيح أنه موقوف على عبد الله بن بريدة

وقد قال الحافظ أبو القاسم الطبراني في كتاب السنة له بعد إيراده كثيرا من هذه الأقوال في تفسير الصمد وكل هذه صحيحة وهي صفات ربنا عز وجل هو الذي يصمد إليه في الحوائج وهو الذي قد انتهى سؤدده، وهو الصمد الذي لا جوف له ولا يأكل ولا يشرب، وهو الباقي بعد خلقه. وقال البيهقي نحو ذلك. وقوله تعالى (لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) أي ليس له ولد ولا والد ولا صاحبة. قال مجاهد (ولم يكن له كفوا أحد) يعني لا صاحبة له وهذا كما قال تعالى (بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء) أي هو مالك كل شيء وخالقه فكيف يكون له من خلقه نظير يساميه أو قريب يدانيه تعالى وتقدس وتنزه قال الله تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا إدا * تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا * أن دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا * إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا * لقد أحصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيامة فردا) وقال تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون * لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون) وقال تعالى (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا، ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون سبحان الله عما يصفون) وفي الصحيح صحيح البخاري «لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله إنهم يجعلون له ولدا وهو يرزقهم ويعافيهم» وقال البخاري حدثنا أبو اليمان حدثنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قال الله عز وجل

كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فقوله لن يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته، وأما شتمه إياي فقوله اتخذ الله ولدا وأنا الأحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفوا أحد» ورواه أيضا من حديث عبد الرزاق عن معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة مرفوعا بمثله تفرد بهما من هذين الوجهين . آخر تفسير سورة الاخلاص، ولله الحمد والمنة

﴿ تفسير سورتي المعوذتين وهما مدنيتان ﴾

قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش قال : قلت لأبي بن كعب إن ابن مسعود لا يكتب المعوذتين في مصحفه فقال : أشهد أن رسول الله ﷺ أخبرني أن جبريل عليه السلام قال له قل أعوذ برب الفلق فقلتها ، قال قل أعوذ برب الناس فقلتها فنحن نقول ما قال النبي ﷺ . ورواه أبو بكر الحميدي في مسنده عن سفيان ابن عيينة حدثنا عبدة بن أبي لبابة وعاصم بن بهدلة أنهما سمعا زر بن حبيش قال سألت أبي بن كعب عن المعوذتين فقلت يا أبا المنذر إن أخاك ابن مسعود يحك المعوذتين من المصحف فقال إني سألت رسول الله ﷺ فقال « قيل لي قل فقلت » فنحن نقول كما قال رسول الله ﷺ . وقال أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن عاصم عن زر قال سألت ابن مسعود عن المعوذتين فقال سألت النبي ﷺ عنهما فقال « قيل لي فقلت لكم فقولوا » قال أبي فقال لنا النبي ﷺ فنحن نقول ، وقال البخاري حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان حدثنا عبدة بن أبي لبابة عن زر بن حبيش ، وحدثنا عاصم عن زر قال سألت أبي بن كعب فقلت أبا المنذر إن أخاك ابن مسعود يقول كذا وكذا فقال إني سألت النبي ﷺ فقال « قيل لي فقلت » فنحن نقول كما قال رسول الله ﷺ ورواه البخاري أيضا والنسائي عن قتيبة عن سفيان بن عيينة عن عبدة وعاصم بن أبي النجود عن زر بن حبيش عن أبي بن كعب به . وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا الأزرق بن علي حدثنا حسان بن إبراهيم حدثنا الصلت بن بهرام عن إبراهيم عن علقمة قال كان عبد الله يحك المعوذتين من المصحف ويقول إنما أمر رسول الله ﷺ أن يتعوذ بهما ولم يكن عبد الله يقرأ بهما ، ورواه عبد الله بن أحمد من حديث الأعمش عن أبي إسحاق عن عبد الرحمن بن يزيد قال كان عبد الله يحك المعوذتين من مصاحفه ويقول إنهما ليستا من كتاب الله قال الأعمش وحدثنا عاصم عن زر بن حبيش عن أبي بن كعب قال سألنا عنهما رسول الله ﷺ قال « قيل لي فقلت » وهذا مشهور عند كثير من القراء والفقهاء أن ابن مسعود كان لا يكتب المعوذتين في مصحفه فلعله لم يسمعهما من النبي ﷺ ولم يتواتر عنده ثم لعله قد رجع عن قوله ذلك إلى قول الجماعة فان الصحابة رضي الله عنهم أثبتوهما في المصاحف الأئمة ونفذوها إلى سائر الآفاق كذلك ولله الحمد والمنة . وقد روى مسلم في صحيحه حدثنا قتيبة حدثنا جرير عن بيان عن قيس بن أبي حازم عن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألم تر آيات أنزلت هذه الليلة لم ير مثلهن قط (قل أعوذ برب الفلق) و (قل أعوذ برب الناس)» ورواه أحمد ومسلم أيضا والترمذي والنسائي من حديث إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن عقبة به وقال الترمذي حسن صحيح .

﴿ طريق أخرى ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا ابن جابر عن القاسم أبي عبد الرحمن عن عقبة بن عامر قال بينا أنا أقود برسول الله ﷺ في نقب من تلك النقاب إذ قال لي « ياعقبة ألا تركب » قال فأشفقت أن تكون معصية قال فنزل رسول الله ﷺ وركبت هنية ثم ركب ثم قال « ياعقب ألا أعلمك سورتين من خير سورتين قرأ بهما الناس » قلت بلى يارسول الله فأقرأني (قل أعوذ برب الفلق) و (قل أعوذ برب الناس) ثم أقيمت الصلاة فتقدم رسول الله ﷺ فقرأ بهما ثم مر بي فقال « كيف رأيت ياعقب اقرأ بهما كلما نمت وكلما قمت» ورواه النسائي من حديث الوليد بن مسلم وعبد الله بن المبارك كلاهما عن ابن جابر به ورواه أبو داود والنسائي أيضا من حديث ابن وهب عن ميمون بن صالح عن العلاء بن الحارث عن القاسم بن عبد الرحمن عن عقبة به ﴿طريق أخرى﴾ قال أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا سعيد بن أبي أيوب حدثني يزيد بن عبد العزيز الرعيني وأبو مرحوم عن يزيد بن محمد القرشي عن علي بن رباح عن عقبة بن عامر قال : أمرني رسول الله ﷺ أن اقرأ بالمعوذات في دبر كل صلاة ورواه أبو داود والترمذي والنسائي من طرق عن علي بن أبي رباح وقال الترمذي غريب ﴿طريق أخرى﴾ قال أحمد حدثنا محمد بن إسحاق حدثنا ابن لهيعة عن مشرح بن هاعان عن عقبة بن عامر قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « اقرأ بالمعوذتين فانك لن تقرأ بمثلهما » تفرد به أحمد ﴿طريق أخرى﴾ قال أحمد حدثنا

حيوة بن شريح حدثنا بقية حدثنا بحير بن سعد عن خالد بن معدان عن جبير بن نفير عن عقبة بن عامر أنه قال: إن رسول الله ﷺ أهديت له بغلة شهباء فركبها فأخذ عقبة يقود به فقال رسول الله ﷺ « اقرأ قل أعوذ برب الفلق » فأعادها له حتى قرأها فعرف أني لم أفرح بها جدا فقال « لعلك تهاونت بها ؟ فما قمت تصلي بشيء مثلها » . ورواه النسائي عن عمرو بن عثمان عن بقية به ، ورواه النسائي أيضا من حديث الثوري عن معاوية بن صالح عن عبد الرحمن بن نفير عن أبيه عن عقبة بن عامر أنه سأل رسول الله ﷺ عن المعوذتين فذكر نحوه ﴿ طريق أخرى ﴾ قال النسائي أخبرنا محمد بن عبد الأعلى حدثنا المعتمر سمعت النعمان عن زياد بن الأسد عن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال « إن الناس لم يتعوذوا بمثل هذين (قل أعوذ برب الفلق) و(قل أعوذ برب الناس) » ﴿ طريق أخرى ﴾ قال النسائي أخبرنا قتيبة حدثنا الليث عن أبي عجلان عن سعيد المقبري عن عقبة بن عامر قال كنت أمشي مع رسول الله ﷺ فقال « ياعقبة قل » قلت ماذا أقول ؟ فسكت عني ثم قال « قل » قلت ماذا أقول يارسول الله ؟ قال « قل أعوذ برب الفلق » فقرأتها حتى أتيت على آخرها ، ثم قال « قل » فقلت ما ذا أقول يارسول الله ، قال « قل أعوذ برب الناس » فقرأتها ثم أتيت على آخرها ثم قال رسول الله ﷺ عند ذلك « ما سأل سائل بمثلها ولا استعاذ مستعيذ بمثلها » ﴿ طريق أخرى ﴾ قال النسائي أخبرنا محمد بن يسار حدثنا عبد الرحمن حدثنا معاوية عن العلاء بن الحارث عن مكحول عن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قرأ بهما في صلاة الصبح ﴿ طريق أخرى ﴾ قال النسائي أخبرنا قتيبة حدثنا الليث عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي عمران أسلم عن عقبة بن عامر قال : اتبعت رسول الله ﷺ وهو راكب فوضعت يدي على قدميه فقلت: أقرئني سورة هود أو سورة يوسف فقال « لن تقرأ شيئا أنفع عبد الله من قل أعوذ برب الفلق » ﴿ حديث آخر ﴾ قال النسائي أخبرنا محمود بن خالد حدثنا الوليد حدثنا أبو عمرو الأوزاعي عن يحيى بن عن أبي كثير عن محمد بن إبراهيم بن الحارث عن أبي عبد الله بن عابس الجهني ان النبي ﷺ قال له « يا ابن عابس ألا أدلك - أو ألا أخبرك - بأفضل ما يتعوذ به المتعوذون » قال بلى يارسول الله قال « قل أعوذ برب الفلق - وقل أعوذ برب الناس هاتان السورتان » فهذه طرق عن عقبة كالمتواترة عنه تفيد القطع عند كثير من المحققين في الحديث

وقد تقدم في رواية سدى بن عجلان وفروة بن مجاهد عنه « ألا أعلمك ثلاث سور لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلهن (قل هو الله أحد - و - قل أعوذ برب الفلق - و - قل أعوذ برب الناس) » .

﴿ حديث آخر ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا إسماعيل حدثنا الجريري عن أبي العلاء قال : قال رجل كنا مع رسول الله ﷺ في سفر والناس يعتقبون وفي الظهر قلة فحانت نزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزلتي فلحقني فضرب منكبي فقال « قل أعوذ برب الفلق » فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأتها معه ثم قال (قل أعوذ برب الناس) فقرأها رسول الله ﷺ فقرأتها معه فقال « إذا صليت فاقرأ بهما » الظاهر أن هذا الرجل هو عقبة بن عامر والله أعلم . ورواه النسائي عن يعقوب بن إبراهيم عن ابن علية به ﴿ حديث آخر ﴾ قال النسائي أخبرنا محمد بن المثنى حدثنا محمد بن جعفر عن عبد الله بن سعيد حدثني يزيد بن رومان عن عقبة بن عامر عن عبد الله الأسلمي هو ابن أنيس أن رسول الله ﷺ وضع يده على صدره ثم قال « قل » فلم أدر ما أقول ثم قال لي « قل » قلت (هو الله أحد) ثم قال لي قل قلت (أعوذ برب الفلق من شر ما خلق) حتى فرغت منها ثم قال لي « قل » قلت (أعوذ برب الناس) حتى فرغت منها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هكذا فتعوذ وما تعوذ المتعوذون بمثلهن قط » ﴿ حديث آخر ﴾ قال النسائي أنا عمرو بن علي أبو حفص حدثنا بدل حدثنا شداد بن سعيد أبو طلحة عن سعيد الجريري حدثنا أبو نضرة عن جابر بن عبد الله قال : قال لي رسول الله ﷺ « اقرأ يا جابر » قلت وما أقرأ بأبي أنت وأمي ؟ قال « اقرأ قل أعوذ برب الفلق - و - قل أعوذ برب الناس» فقرأتهما فقال «اقرأ بهما ولن تقرأ بمثلهما» وتقدم حديث عائشة أن رسول الله ﷺ كان يقرأ بهن وينفث في كفيه ويمسح بهما رأسه ووجهه وما أقبل من جسده ، وقال الامام مالك عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذتين وينفث فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه بالمعوذات وأمسح بيده عليه رجاء بركتها ورواه البخاري عن عبد الله بن يوسف ومسلم عن يحيى بن يحيى وأبو داود عن القعنبي والنسائي عن قتيبة ، ومن حديث ابن القاسم وعيسى بن يونس وابن ماجه من حديث معن وبشر بن عمر ثمانيتهم عن مالك به . وتقدم في آخر

سورة (ن) من حديث أبي نضرة عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ كان يتعوذ من أعين الجان وأعين الإنسان فلما نزلت المعوذتان أخذ بهما وترك ما سواهما : رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه وقال الترمذي حديث حسن صحيح

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ * قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ * مِن شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلْعُقَدِ * وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾

قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن عصام حدثنا أبو أحمد الزبيري حدثنا حسن بن صالح عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر قال: الفلق الصبح وقال العوفي عن ابن عباس (الفلق) الصبح ، وروى عن مجاهد وسعيد بن جبير وعبد الله بن محمد بن عقيل والحسن وقتادة ومحمد بن كعب القرظي وابن زيد ومالك عن زيد بن أسلم مثل هذا قال القرظي وابن زيد وابن جرير وهي كقوله تعالى (فالق الاصباح) وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (الفلق) الخلق ، وكذا قال الضحاك أمر الله نبيه أن يتعوذ من الخلق كله، وقال كعب الأحبار (الفلق) بيت في جهنم إذا فتح صاح جميع أهل النار من شدة حره ورواه ابن أبي حاتم ثم قال حدثنا أبي حدثنا سهيل بن عثمان عن رجل سماه عن السدي عن زيد بن علي عن آبائه أنهم قالوا (الفلق) جب في قعر جهنم عليه غطاء فإذا كشف عنه خرجت منه نار تضج منه جهنم من شدة حر ما يخرج منه . وكذا روى عن عمرو بن عنبسة والسدي وغيرهم. وقد ورد في ذلك حديث مرفوع منكر فقال ابن جرير حدثني إسحاق بن وهب الواسطي حدثنا مسعود بن موسى بن مشكان الواسطي حدثنا نصر بن خزيمة الخراساني عن شعيب بن صفوان عن محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال «الفلق جب في جهنم مغطى» إسناده غريب ولا يصح رفعه. وقال أبو عبد الرحمن الحبلي (الفلق) من أسماء جهنم قال ابن جرير والصواب القول الأول إنه فلق الصبح وهذا هو الصحيح وهو اختيار البخاري في صحيحه رحمه الله تعالى وقوله تعالى (من شر ما خلق) أي من شر جميع المخلوقات ، وقال ثابت البناني والحسن البصري جهنم وإبليس وذريته مما خلق (ومن شر غاسق إذا وقب) قال مجاهد غاسق الليل إذا وقب غروب الشمس حكاه البخاري عنه وكذا رواه ابن أبي نجيح عنه وكذا قال ابن عباس ومحمد بن كعب القرظي والضحاك وخصيف والحسن وقتادة إنه الليل إذا أقبل بظلامه وقال الزهري (ومن شر غاسق إذا وقب) الشمس إذا غربت ، وعن عطية وقتادة إذا وقب الليل ذهب وقال أبو المهزم عن أبي هريرة (ومن شر غاسق إذا وقب) الكوكب وقال ابن زيد : كانت العرب تقول الغاسق سقوط الثريا وكانت الأسقام والطواعين تكثر عند وقوعها وترتفع عند طلوعها قال ابن جرير ولهؤلاء من الآثار ما حدثني نصر بن علي حدثني بكار عن عبد الله ابن أخي همام حدثنا محمد بن عبد العزيز بن عمر عن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ «ومن شر غاسق إذا وقب ـ النجم الغاسق» ﴿قلت﴾ وهذا الحديث لا يصح رفعه إلى النبي ﷺ قال ابن جرير وقال آخرون هو القمر ﴿قلت﴾ وعمدة أصحاب هذا القول ما رواه الإمام أحمد حدثنا أبو داود الحفري عن ابن أبي ذئب عن الحارث بن أبي سلمة قال قالت عائشة رضي الله عنها أخذ رسول الله ﷺ بيدي فأراني القمر حين طلع وقال «تعوذي بالله من شر هذا الغاسق إذا وقب» ورواه الترمذي والنسائي في كتابي التفسير من سننهما من حديث محمد ابن عبد الرحمن بن أبي ذئب عن خاله الحارث بن عبد الرحمن به وقال الترمذي حديث حسن صحيح ولفظه «تعوذي بالله من شر هذا ، فان هذا الغاسق إذا وقب » ولفظ النسائي «تعوذي بالله من شر هذا ، هذا الغاسق إذا وقب» قال أصحاب القول الأول وهو آية الليل إذا ولج هذا لا ينافي قولنا لأن القمر آية الليل ولا يوجد له سلطان الا فيه وكذلك النجوم لا تضيء إلا بالليل فهو يرجع إلى ما قلناه والله أعلم . وقوله تعالى (ومن شر النفاثات في العقد) قال مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والضحاك. يعني السواحر قال مجاهد إذا رقين ونفثن في العقد وقال ابن جرير حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا ابن ثور عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه قال ما من شيء أقرب من الشرك من رقية الحية والمجانين وفي الحديث الآخر أن جبريل جاء إلى النبي ﷺ فقال اشتكيت يا محمد ؟ فقال «نعم» فقال باسم الله أرقيك من كل داء يؤذيك ، ومن شر كل حاسد وعين ، الله يشفيك ولعل هذا كان من شكواه ﷺ حين سحر ثم عافاه الله تعالى وشفاه ورد كيد السحرة الحساد من اليهود في رؤوسهم وجعل تدميرهم في تدبيرهم وفضحهم ولكن مع هذا لم يعاتبه رسول الله ﷺ يوما من الدهر بل كفى الله وشفى وعافى. وقال الإمام أحمد حدثنا أمية ومعاوية حدثنا الأعمش عن يزيد بن

حبان عن زيد بن أرقم قال سحر النبي ﷺ رجل من اليهود فاشتكى لذلك أياما قال فجاءه جبريل فقال إن رجلا من اليهود سحرك وعقد لك عقدا في بئر كذا وكذا فأرسل إليها من يجيء بها فبعث رسول الله ﷺ فاستخرجها فجاء بها فحلها قال فقام رسول الله ﷺ كأنما نشط من عقال فما ذكر ذلك لليهودي ولا رآه في وجهه حتى مات، ورواه النسائي عن هناد عن أبي معاوية محمد بن حازم الضرير

وقال البخاري في كتاب الطب من صحيحه حدثنا عبد الله بن محمد قال سمعت سفيان بن عيينة يقول أول من حدثنا به ابن جريج يقول حدثني آل عروة عن عروة فسألت هشاما عنه فحدثنا عن أبيه عن عائشة قالت كان رسول الله ﷺ سحر حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن قال سفيان وهذا أشد ما يكون من السحر إذا كان كذا فقال «يا عائشة أعلمت أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه؟ أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي فقال الذي عند رأسي للآخر ما بال الرجل؟ قال مطبوب، قال ومن طبه، قال لبيد بن أعصم رجل من بني زريق حليف اليهود كان منافقا، قال وفيم؟ قال في مشط ومشاطة، قال وأين؟ قال في جف طلعة ذكر تحت راعوفة في بئر ذروان» قالت فأتى البئر حتى استخرجه فقال «هذه البئر التي أريتها وكأن ماءها نقاعة الحناء وكان نخلها رءوس الشياطين» قال فاستخرج فقلت أفلا تنشرت؟ فقال «أما الله فقد شفاني وأكره أن أثير على أحد من الناس شرا» وأسنده من حديث عيسى بن يونس وأبي ضمرة أنس بن عياض وأبي أسامة ويحيى القطان وفيه قالت حتى كان يخيل إليه أنه فعل الشيء ولم يفعله، وعنده فأمر بالبئر فدفنت وذكر أنه رواه عن هشام أيضا ابن أبي الزناد والليث بن سعد، وقد رواه مسلم من حديث أبي أسامة حماد بن أسامة وعبد الله بن نمير ورواه أحمد عن عفان عن وهب عن هشام به ورواه الإمام أحمد أيضا عن إبراهيم بن خالد عن معمر عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت: لبث النبي ﷺ ستة أشهر يرى أنه يأتي ولا يأتي فأتاه ملكان فجلس أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه فقال أحدهما للآخر ما باله؟ قال مطبوب، قال ومن طبه؟ قال لبيد بن الأعصم وذكر تمام الحديث وقال الأستاذ المفسر الثعلبي في تفسيره قال ابن عباس وعائشة رضي الله عنهما كان غلام من اليهود يخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدبت إليه اليهود فلم يزالوا به حتى أخذ مشاطة رأس النبي ﷺ وعدة من أسنان مشطه فأعطاها اليهود فسحروه فيها وكان الذي تولى ذلك رجل منهم يقال له ابن أعصم ثم دسها في بئر لبني زريق يقال له ذروان فمرض رسول الله ﷺ وانتثر شعر رأسه ولبث ستة أشهر يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن وجعل يذوب ولا يدري ما عراه فبينما هو نائم إذ أتاه ملكان فجلس أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه ما بال الرجل؟ قال طب، قال وما طب قال سحر قال ومن سحره؟ قال لبيد بن الأعصم اليهودي قال وبم طبه قال بمشط ومشاطة قال واين هو قال في جف طلعة ذكر تحت راعوفة في بئر ذروان والجف قشر الطلع والراعوفة حجر في أسفل البئر ناتيء يقوم عليه الماتح، فانتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم مذعورا وقال «يا عائشة أما شعرت أن الله أخبرني بدائي» ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا والزبير وعمار بن ياسر فنزحوا ماء البئر كأنه نقاعة الحناء ثم رفعوا الصخرة وأخرجوا الجف فإذا فيه مشاطة رأسه وأسنان من مشطه وإذا فيه وتر معقود فيه اثنا عشر عقدة مغروزة بالإبر، فأنزل الله تعالى السورتين فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد رسول الله صلى الله عليه وسلم خفة حين انحلت العقدة الأخيرة فقام كأنما نشط من عقال وجعل جبريل عليه السلام يقول باسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك من حاسد وعين، الله يشفيك. فقالوا يا رسول الله أفلا نأخذ الخبيث نقتله فقال رسول الله ﷺ «أما أنا فقد شفاني الله وأكره أن يثير على الناس شرا» هكذا أورده بلا إسناد وفيه غرابة وفي بعضه نكارة شديدة ولبعضه شواهد مما تقدم والله أعلم

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَٰهِ النَّاسِ * مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾

هذه ثلاث صفة من صفات الرب عز وجل الربوبية والملك والإلهية فهو رب كل شيء ومليكه وإلهه فجميع الأشياء مخلوقة له مملوكة عبيد له فأمر المستعيذ أن يتعوذ بالمتصف بهذه الصفات من شر الوسواس الخناس وهو الشيطان الموكل بالإنسان فانه ما من أحد من بني آدم إلا وله قرين يزين له الفواحش ولا يألوه جهدا في الخبال، والمعصوم من عصمه الله

وقد ثبت فى الصحيح أنه « مامنكم من أحد إلا قد وكل به قرينه » قالوا وأنت يارسول الله قال « نعم إلا أن الله أعانى عليه فأسلم فلا يأمرنى إلا بخير » ،وثبت فى الصحيحين عن أنس فى قصه زيارة صفية للنبى ﷺ وهو معتكف وخروجه معها ليلا ليردها إلى منزلها فلقيه رجلان من الأنصار فلما رأيا النبى ﷺ أسرعا فقال رسول الله « على رسلكما إنها صفية بنت حيى » فقالا سبحان الله يا رسول الله فقال « إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم وإنى خشيت أن يقذف فى قلوبكما شيئا ـ أو قال شرا ـ » . وقال الحافظ أبو يعلى الموصلى حدثنا محمد بن بحر حدثنا عدى بن أبى عمارة حدثنا زياد النميرى عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ « إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم فان ذكر الله خنس وإن نسى التقم قلبه فذلك الوسواس الخناس » غريب وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عاصم سمعت أبا تميمة يحدث عن رديف رسول الله ﷺ قال عثر بالنبى ﷺ حماره فقلت تعس الشيطان فقال النبى ﷺ « لا تقل تعس الشيطان فانك إذ قلت تعس الشيطان تعاظم وقال بقوتى صرعته وإذا قلت باسم الله تصاغر حتى يصير مثل الذباب » تفرد به أحمد إسناده جيد قوى وفيه دلالة على أن القلب متى ذكر الله تصاغر الشيطان وغلب وإن لم يذكر الله تعاظم وغلب. وقال الإمام أحمد حدثنا أبو بكر الحنفى حدثنا الضحاك بن عثمان عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن أحدكم إذا كان فى المسجد جاء الشيطان فأبس به كما يبس الرجل بدابته فإذا سكن له زنقه أو ألجمه » قال أبو هريرة رضى الله عنه وأنتم ترون ذلك أما المزنوق فتراه مائلا كذا لا يذكر الله ،وأما الملجم ففاتح فاه لا يذكر الله عز وجل تفرد به أحمد وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله (الواسواس الخناس) قال الشيطان جاثم على قلب ابن آدم فإذا سها وغفل وسوس فإذا ذكر الله خنس، وكذا قال مجاهد وقتادة وقال المعتمر بن سليمان عن أبيه ذكر لى ان الشيطان الوسواس ينفث فى قلب ابن آدم عند الحزن وعند الفرح فإذا ذكر الله خنس وقال العوفى عن ابن عباس فى قوله (الوسواس) قال هو الشيطان يأمر فإذا أطيع خنس

وقوله تعالى (الذى يوسوس فى صدور الناس) هل يختص هذا ببنى آدم كما هو الظاهر أو يعم بنى آدم والجن؟ فيه قولان ويكونون قد دخلوا فى لفظ الناس تغليبا وقال ابن جرير وقد استعمل فيهم رجال من الجن فلا بدع فى إطلاق الناس عليهم وقوله تعالى (من الجنة والناس) هل هو تفصيل لقوله (الذى يوسوس فى صدور الناس) ثم بينهم فقال (من الجنة والناس)وهذا يقوى القول الثانى وقيل قوله (من الجنة والناس) تفسير للذى يوسوس فى صدور الناس من شياطين الإنس والجن كما قال تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا) وكما قال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا المسعودى حدثنا أبو عمرو الدمشقى حدثنا عبيد بن الخشخاش عن أبى ذر قال أتيت رسول الله ﷺ وهو فى المسجد فجلست فقال « يا أبا ذر هل صليت؟ » قلت لا قال « قم فصل » قال فقمت فصليت ثم جلست فقال « يا أبا ذر تعوذ بالله من شر شياطين الإنس والجن » قال :فقلت يارسول الله وللانس شياطين ؟ قال « نعم» قال : فقلت يارسول الله الصلاة؟ قال « خير موضوع من شاء أقل ومن شاء أكثر» قلت يارسول الله فالصوم؟ قال « فرض مجزىء وعند الله مزيد» قلت يارسول الله فالصدقة، قال « أضعاف مضاعفة» قلت يا رسول الله أيها أفضل ، قال « جهد من مقل أو سر إلى فقير » قلت يا رسول الله أى الأنبياء كان أول ، قال «آدم» قلت يا رسول الله ونبيا كان قال « نعم نبى مكلم » قلت يا رسول الله كم المرسلون ؟ قال « ثلثمائة وبضعة عشر جما غفيرا » وقال مرة «خمسة عشر» قلت يا رسول الله أيما أنزل عليك عليك أعظم ، قال« آية الكرسى (الله لا إله إلا هو الحى القيوم)» ورواه النسائى من حديث أبى عمر الدمشقى به وقد أخرج هذا الحديث مطولا جدا أبو حاتم بن حبان فى صحيحه بطريق آخر ولفظ آخر مطول جدا فالله أعلم وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع عن سفيان عن منصور عن ذر بن عبد الله الهمدانى عن عبد الله بن شداد عن ابن عباس قال :جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إنى لأحدث نفسى بالشىء لأن أخر من السماء أحب إلى من أن أتكلم به قال :فقال النبى ﷺ « الله أكبر الله أكبر الحمد لله الذى رد كيده إلى الوسوسة » ورواه أبو داود والنسائى من حديث منصور زاد النسائى والأعمش كلاهما عن ذر به .

﴿ آخر التفسير ، ولله الحمد والمنة والحمد لله رب العالمين ﴾

(ويتلوه فضائل القرآن للمؤلف أيضا وبه يتم الكتاب إن شاء الله ولله الحمد والمنة على التمام ، إنه ولى الانعام)

﴿ فهرس الجزء الرابع من تفسير ابن كثير ﴾

صفحة	
٢	تفسير سورة الصافات
١٣	تحطيم الأصنام
١٤	الذبيح إسماعيل عليه السلام
٢٦	تفسير سورة ص
٢٩	تسبيح الجبال والطير مع سيدنا داود
٤٤	تفسير سورة الزمر
٥١	ضرب الأمثال في القرآن
٥٧	الحث على التوبة
٦٢	تفسير قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره
٦٣	النفخ في الصور
٦٤	دخول الأشقياء النار
٦٥	دخول المتقين الجنة
٦٧	ذكر سعة أبواب الجنة
٦٩	تفسير سورة المؤمن
٧١	استجابة الدعاء للمؤمنين السابقين
٧٢	الأمر بإخلاص الدعاء لله وحده
٧٨	إرسال سيدنا يوسف إلى أهل مصر
٨٠	نصيحة مؤمن آل فرعون
٩٠	تفسير سورة فصلت
٩٥	شهادة الجوارح على الإنسان
١٠٠	فضل الداعي إلى الله
١٠٥	تفسير سورة الشورى
١٢٢	تفسير سورة الزخرف
١٣٧	تفسير سورة الدخان
١٤٧	تفسير سورة الجاثية
١٥٣	تفسير سورة الأحقاف
١٦٢	وفد الجن الذين استمعوا القرآن
١٧٢	تفسير سورة محمد ﷺ
١٨٢	تفسير سورة الفتح
١٨٦	ذكر سبب البيعة
١٩٣	فضل أصحاب رسول الله ﷺ
١٩٤	قصة صلح الحديبية

صفحة	
٢٠٥	تفسير سورة الحجرات
٢٢٠	تفسير سورة ق
٢٣١	تفسير سورة الذاريات
٢٣٨	تفسير سورة الطور
٢٤٦	تفسير سورة النجم
٢٦٠	تفسير سورة اقتربت الساعة
٢٦٩	تفسير سورة الرحمن
٢٨١	تفسير سورة الواقعة
٣٠٢	تفسير سورة الحديد
٣١٨	تفسير سورة المجادلة
٣٣٠	تفسير سورة الحشر
٣٤٢	أسماء الله الحسنى
٣٤٤	تفسير سورة الممتحنة
٣٥٢	مبايعة النساء
٣٥٦	تفسير سورة الصف
٣٦٢	تفسير سورة الجمعة
٣٦٨	تفسير سورة المنافقين
٣٧٣	تفسير سورة التغابن
٣٧٧	تفسير سورة الطلاق
٣٨٥	تفسير سورة التحريم
٣٩٤	تفسير سورة الملك
٤٠٠	تفسير سورة ن
٤١٢	تفسير سورة الحاقة
٤١٨	تفسير سورة المعارج
٤٢٤	تفسير سورة نوح
٤٢٨	تفسير سورة الجن
٤٣٤	تفسير سورة المزمل
٤٤٠	تفسير سورة المدثر
٤٤٧	تفسير سورة القيامة
٤٥٢	تفسير سورة الإنسان
٤٥٨	تفسير سورة المرسلات
٤٦١	تفسير سورة النبأ
٤٦٦	تفسير سورة النازعات
٤٧٠	تفسير سورة عبس

صفحة	
٤٧٤	تفسير سورة التكوير
٤٨٠	تفسير سورة الانفطار
٤٨٣	تفسير سورة المطففين
٤٨٧	تفسير سورة الانشقاق
٤٩١	تفسير سورة البروج
٤٩٧	تفسير سورة الطارق
٤٩٨	تفسير سورة الأعلى
٥٠١	تفسير سورة الغاشية
٥٠٥	تفسير سورة الفجر
٥١١	تفسير سورة البلد
٥١٥	تفسير سورة الشمس
٥١٧	تفسير سورة الليل
٥٢١	تفسير سورة الضحى
٥٢٤	تفسير سورة ألم نشرح
٥٢٦	تفسير سورة التين
٥٢٧	تفسير سورة العلق
٥٢٩	تفسير سورة القدر
٥٣٦	تفسير سورة البينة
٥٣٨	تفسير سورة الزلزلة
٥٤١	تفسير سورة العاديات
٥٤٢	تفسير سورة القارعة
٥٤٤	تفسير سورة التكاثر
٥٤٧	تفسير سورة العصر
٥٤٨	تفسير سورة الهمزة
٥٥٣	تفسير سورة الفيل
٥٥٣	تفسير سورة قريش
٥٥٤	تفسير سورة الماعون
٥٥٦	تفسير سورة الكوثر
٥٥٩	تفسير سورة الكافرون
٥٦١	تفسير سورة النصر
٥٦٣	تفسير سورة المسد
٥٦٥	تفسير سورة الإخلاص
٥٧٣	تفسير سورة الفلق
٥٧٤	تفسير سورة الناس

فضـــائل القرآن

وهو ذيل

تفسير الحافظ بن كثير

وضعه في آخر التفسير وجعله متمماً له

وجدناه في آخر النسخة المكية الوحيدة المقابلة على نسخة المؤلف
ولكنه غير موجود في النسخة المطبوعة بمطبعة بولاق

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ كتاب فضائل القرآن ﴾

قال البخارى رحمه الله[1] (كيف ينزل الوحى ؟ وأول مانزل) قال ابن عباس : المهيمن الأمين ، القرآن أمين على كل كتاب قبله . حدثنا عبيد الله بن موسى ، عن شيبان ، عن يحيى ، عن أبى سلمة ، قال أخبرتنى عائشة ، وابن عباس ، قالا : لبث النبى ﷺ بمكة عشر سنين ينزل عليه القرآن ، وبالمدينة عشراً . اهـ

ذكر البخارى رحمه الله كتاب فضائل القرآن بعد كتاب التفسير لأن التفسير أهم فلهذا بدأ به ، فجرينا على منواله وسنته مقتدين به . وقول ابن عباس فى تفسير المهيمن إنما يريد به البخارى قوله تعالى فى المائدة بعد ذكر التوراة والإنجيل (وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه) قال الإمام أبو جعفر بن جرير رحمه الله : ثنا المثنى ثنا عبدالله بن صالح حدثنى معاوية عن على - يعنى ابن أبى طلحة - عن ابن عباس قوله (ومهيمناً عليه) قال المهيمن الأمين قال القرآن أمين على كل كتاب قبله ، وفى رواية شهيداً عليه . وقال سفيان الثورى وغير واحد من الأئمة عن أبى إسحاق السبيعى عن التيمى عن ابن عباس (مهيمناً عليه) قال مؤتمنا ، وبنحو ذلك قال مجاهد والسدى وقتادة وابن جريج والحسن البصرى وغير واحد من أئمة السلف . وأصل الهيمنة الحفظ والارتقاب، يقال إذا رقب الرجل الشىء وحفظه وشهده قد هيمن فلان عليه فهو مهيمن هيمنة وهو عليه مهيمن . وفى أسماء الله تعالى (المهيمن) وهو الشهيد على كل شىء الرقيب الحفيظ بكل شىء[2] .

وأما الحديث الذى أسنده البخارى أنه عليه السلام أقام بمكة عشر سنين ينزل عليه القرآن وبالمدينة عشراً فهو مما انفرد به البخارى دون مسلم وإنما رواه النسائى من حديث شيبان وهو ابن عبد الرحمن عن يحيى وهو ابن كثير عن أبى سلمة عنهما . وقال أبو عبيد القاسم بن سلام ثنا يزيد عن داود بن أبى هند عن عكرمة عن ابن عباس قال أنزل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا فى ليلة القدر ثم نزل بعد ذلك فى عشرين سنة ثم قرأ (وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا) هذا إسناد صحيح .

أما إقامته بالمدينة عشراً فهذا مما لاخلاف فيه . وأما إقامته بمكة بعد النبوة فالمشهور ثلاث عشرة سنة لأنه عليه السلام أوحى إليه وهو ابن أربعين سنة وتوفى وهو ابن ثلاث وستين سنة على الصحيح . ويحتمل أنه حذف مازاد على العشر اختصاراً فى الكلام لأن العرب كثيراً مايحذفون الكسور فى كلامهم أو أنهما انما اعتبرا قرن جبريل عليه السلام ، فإنه قد روى الإمام أحمد أنه قرن به عليه السلام ميكائيل فى ابتداء الأمر يلقى إليه الكلمة والشىء ثم قرن

---

(١) أى فى كتاب فضائل القرآن فى أول باب منه ولم يذكر المؤلف لفظ باب .

(٢) هذا تفسير اللفظ ، والمعنى أن شهادة القرآن لكتب الأنبياء أو عليها هى الحق ومن شهادته أن أهل الكتاب حرفوا ونسوا حظاً مما ذكروا به وأنهم أوتوا نصيباً منه ، وجملة ذلك أنهم لم يحفظوا جميع كتبهم وأنهم حرفوا بعض ماحفظوه وكل هذا حق تؤيده الشواهد منها .

به جبريل . ووجه مناسبة هذا الحديث بفضائل القرآن أنه ابتدىء بنزوله فى مكان شريف وهو البلد الحرام ، كما أنه فى زمن شريف ، وهو شهر رمضان ، فاجتمع له شرف الزمان والمكان .

ولهذا يستحب إكثار تلاوة القرآن فى شهر رمضان ، لأنه ابتدىء بنزوله. ولهذا كان جبريل يعارض به رسول الله فى كل سنة فى شهر رمضان فلما كانت السنة التى توفى فيها عارضه مرتين تأكيداً وتثبيتاً . وأيضاً ففى الحديث بيان أنه (١) من القرآن مكى ، ومنه مدنى . فالمكى مانزل قبل الهجرة ، والمدنى مانزل بعد الهجرة سواء كان بالمدينة أو بغيرها من أى البلاد كان حتى ولو كان بمكة أو عرفة

وقد أجمعوا على سور أنها من المكى ، وأخر أنها من المدنى ، واختلفوا فى أخر . وأراد بعضهم ضبط ذلك بضوابط فى تقييدها عسر ونظر . ولكن قال بعضهم كل سورة فى أولها شىء من الحروف المقطعة فهى مكية ، إلا البقرة وآل عمران كما أن كل سورة فيها (ياأيها الذين آمنوا) فهى مدنية ، وما فيه (ياأيها الناس) فيحتمل أن يكون من هذا ومن هذا ، والغالب أنه مكى . وقد يكون مدنياً كما فى البقرة (ياأيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ـ ياأيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيباً ولاتتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين) .

قال أبو عبيد ثنا أبو معاوية ثنا من سمع الأعمش يحدث عن إبراهيم عن علقمة : كل شىء فى القرآن (ياأيها الذين آمنوا) فإنه أنزل بالمدينة ، وما كان منها (ياأيها الناس) فإنه أنزل بمكة . ثم قال ثنا على بن معبد عن أبى المليح عن ميمون بن مهران ، قال ما كان فى القرآن (ياأيها الناس ـ و ـ يابنى آدم) فإنه مكى ، وما كان (ياأيها الذين آمنوا) فإنه مدنى .

ومنهم من يقول : إن بعض السور نزل مرتين مرة بالمدينة ومرة بمكة والله أعلم . ومنهم من يستثنى من المكى آيات ، يدعى أنها من المدنى ، كما فى سورة الحج وغيرها .

والحق فى ذلك مادل عليه الدليل الصحيح فالله أعلم .

وقال أبو عبيد حدثنا عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة قال : نزلت بالمدينة سورة البقرة، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنفال ، والتوبة ، والحج ، والنور ، والأحزاب ، والذين كفروا ، والفتح ، والحديد ، والمجادلة ، والحشر ، والممتحنة ، والحواريون ، والتغابن ، و (ياأيها النبى إذا طلقتم النساء) ، و (ياأيها النبى لم تحرم) ، والفجر ، (والليل إذا يغشى) ، و (إنا أنزلناه فى ليلة القدر) ولم يكن و (إذا زلزلت) و (إذا جاء نصر الله) . وسائر ذلك بمكة هذا إسناد صحيح عن ابن أبى طلحة مشهور ، وهو أحد أصحاب ابن عباس الذين رووا عنه التفسير .

وقد ذكر فى المدنى سوراً فى كونها مدنية نظر . وما به الحجرات والمعوذات .

﴿ الحديث الثانى (٢) ﴾

وقال البخارى ثنا موسى بن اسماعيل ، ثنا معتمر ، قال سمعت أبى ، عن أبى عثمان ، قال أنبئت أن جبريل عليه السلام أتى النبى ﷺ وعنده أم سلمة فجعل يتحدث ، فقال النبى ﷺ « من هذا ؟ » (٣) أو كما قال ، قالت هذا

---

(١) كذا فى الأصل والمراد أن الشأن وإلا لقال : أن من القرآن مكياً الخ أو : أن القرآن منه مكى الخ .

(٢) الحديث الأول هو الذى بدأ به الكتاب ولم يضع له عنوانا (٣) عبارة البخارى : فقال لأم سلمة الخ ولم يذكر القائل ﷺ والمراد أنه ﷺ سألها ليعلم هل لكونه جبريل أو لكونه ملكا تمثل بصورة دحية بن خليفة الكلبى رضى الله عنه

دحية ، فلما قام قالت (١) والله ماحسبته إلا إياه حتى سمعت خطبة النبي ﷺ بخبر جبريل ـ أو كما قال ـ قال أبي(٢) فقلت لأبي عثمان : ممن سمعت هذا ؟ قال من أسامة بن زيد رضى الله عنه .

وهكذا رواه أيضاً فى علامات النبوة عن عباس بن الوليد النرسى ، ومسلم فى فضائل أم سلمة عن عبد الأعلى بن حماد ومحمد بن عبد الأعلى كلهم عن معتمر بن سليمان به .

والغرض من إيراده هذا الحديث ههنا أن السفير بين الله وبين محمد ﷺ جبريل عليه السلام ، وهو ملك كريم ، ذو وجاهة وجلالة ومكانة ، كما قال تعالى (نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين) وقال تعالى (إنه لقول رسول كريم * ذى قوة عند ذى العرش مكين * مطاع ثم أمين * وما صاحبكم بمجنون) الآيات .

فمدح الرب تبارك وتعالى عبديه ورسوليه جبريل ومحمداً صلى الله وسلم عليهما ، وسنستقصى الكلام على تفسير هذا المكان فى موضعه إذا وصلنا إليه إن شاء الله تعالى وبه الثقة .

وفى الحديث فضيلة عظيمة لأم سلمة رضى الله عنها كما بينه مسلم رحمه الله لرؤيتها هذا الملك العظيم وفضيلة أيضاً لدحية بن خليفة الكلبى ، وذلك أن جبريل عليه السلام كان كثيراً مايأتى إلى رسول الله ﷺ على صورة دحية ، وكان جميل الصورة رضى الله عنه وكان من قبيلة أسامة بن زيد بن حارثة الكلبى كلهم ينسبون إلى كلب بن وبرة ، وهم قبيلة من قضاعة وقضاعة قيل إنهم من عدنان وقيل من قحطان وقيل بطن مستقل بنفسه والله أعلم .

﴿ الحديث الثالث ﴾

حدثنا عبد الله بن يوسف ، ثنا الليث ، ثنا سعيد المقبرى عن أبيه ، عن أبى هريرة ، قال قال : النبى ﷺ « مامن الأنبياء نبى إلا أعطى مامثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذى أوتيت وحياً أوحاه الله إلىّ ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة » .

ورواه أيضاً فى الاعتصام عن عبد العزيز بن عبد الله ، ومسلم والنسائى عن قتيبة جميعاً عن الليث بن سعد عن سعيد بن أبى سعيد عن أبيه واسمه كيسان المقبرى به .

وفى هذا الحديث فضيلة عظيمة للقرآن المجيد على كل معجزة أعطيها نبى من الأنبياء وعلى كل كتاب أنزله ، وذلك أن معنى الحديث : مامن نبى إلا أعطى ـ أى من المعجزات ـ ما آمن عليه البشر ، أى ما كان دليلا على تصديقه فيما جاءهم به واتبعه من اتبعه من البشر ، ثم لما مات الأنبياء لم تبق لهم معجزة بعدهم إلا مايحكيه أتباعهم عما شاهدوه فى زمانه

وأما الرسول الخاتم للرسالة محمد ﷺ فإنما كان معظم ما آتاه الله وحياً منه إليه منقولا إلى الناس بالتواتر ، ففى كل حين هو كما أنزل . فلهذا قال « فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا » وكذلك وقع . فإن أتباعه أكثر من أتباع الأنبياء لعموم رسالته ، ودوامها إلى قيام الساعة واستمرار معجزته . ولهذا قال الله تعالى (تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا) وقال تعالى (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا)

ثم تقاصر معهم إلى عشر سور منه فقال (أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين) ثم تحداهم إلى أن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا فقال (أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة من مثله وادعوا من استطعتم من دول الله إن كنتم صادقين) وقصر التحدى على هذا المقام فى السور

---

(١) أى فلما قام النبي ﷺ من عندها أى وذهب إلى المسجد كما قالوا (٢) القائل هو معتمر

المكية . كما ذكرنا فى المدنية أيضا كما فى سورة البقرة حيث يقول تعالى (وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين * فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين) وأخبر أنهم عاجزون عن معارضته بمثله وأنهم لايفعلون ذلك فى المستقبل أيضا

هذا وهم أفصح الخلق وأعلمهم بالبلاغة والشعر وقريض الكلام وضروبه لكن جاءهم من الله مالا قبل لأحد من البشر به من الكلام الفصيح البليغ الوجيز المحتوى على العلوم الكثيرة الصحيحة النافعة ، والأخبار الصادقة ، عن الغيوب الماضية والآتية ، والأحكام العادلة المحكمة ، كما قال تعالى (وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا)

وقال الإمام أحمد بن حنبل : ثنا يعقوب بن ابراهيم ثنا أبى ثنا محمد بن إسحاق قال ذكر محمد بن كعب القرظى عن الحارث بن عبد الله الأعور قال قلت : لآتين أمير المؤمنين فلأسألنه عما سمعت العشية ، قال فجئته بعد العشاء فدخلت عليه فذكر الحديث . قال ثم قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « أتانى جبريل فقال يامحمد أمتك مختلفة بعدك ـ قال ـ فقلت له فأين المخرج ياجبريل ؟ ـ قال ـ فقال فى كتاب الله ، به يقصم الله كل جبار ، من اعتصم به نجا ومن تركه هلك — مرتين — قول فصل ، وليس بالهزل ، لاتخلقه الألسن ، ولا تفنى عجائبه ، فيه نبأ ما كان قبلكم ، وفصل مابينكم ، وخبر ماهو كائن بعدكم » هكذا رواه الإمام أحمد

وقد قال أبوعيسى الترمذى : ثنا عبد بن حميد ، ثنا حسين بن على الجعفى ، ثنا حمزة الزيات عن أبى المختار الطائى عن ابن أخى الحارث الأعور عن الحارث الأعور قال مررت فى المسجد فإذا الناس يخوضون فى أحاديث فدخلت على علىّ فقلت ياأمير المؤمنين ألا ترى الناس قد خاضوا فى الأحاديث ؟ قال أوقد فعلوها ؟ قلت نعم ، قال أما إنى قد سمعت رسول الله ﷺ يقول « إنها ستكون فتنة » فقلت فما المخرج منها يارسول الله ؟ قال « كتاب الله فيه نبأ ماقبلكم ، وخبر مابعدكم ، وحكم مابينكم ، هو الفصل ، ليس بالهزل . من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله . وهو حبل الله المتين . وهو الذكر الحكيم . وهو الصراط المستقيم . هو الذى لاتزيغ به الأهواء . ولا تلتبس به الألسنة . ولا يشبع منه العلماء . ولايخلق عن كثرة الرد . ولاتنقضى عجائبه . هو الذى لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا : (إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدى إلى الرشد فآمنا به) من قال به صدق . ومن عمل به أجر . ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم » خذها إليك ياأعور . ثم قال هذا حديث غريب لانعرفه إلا من حديث حمزة الزيات وإسناده مجهول ، وفى حديث الحارث مقال ﴿ قلت ﴾ لم ينفرد بروايته حمزة بن حبيب الزيات بل قد رواه محمد بن اسحاق عن محمد بن كعب القرظى عن الحارث الأعور فبرئ حمزة من عهدته . على انه وإن كان ضعيف الحديث فإنه إمام فى القراءة . والحديث مشهور من رواية الحارث الأعور وقد تكلموا فيه بل قد كذبه بعضهم من جهة رأيه واعتقاده أما انه تعمد الكذب فى الحديث فلا ، والله أعلم .

وقصارى هذا الحديث أن يكون من كلام أمير المؤمنين على رضى الله عنه وقد وهم بعضهم فى رفعه وهو كلام حسن صحيح على أنه قد روى له شاهد عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبى ﷺ

قال الإمام العلم أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله فى كتابه فضائل القرآن ثنا أبو اليقظان ثنا عمار بن محمد الثورى أو غيره عن إسحاق الهجرى عن أبى الأحوص عن عبد الله بن مسعود عن النبى ﷺ قال « إن هذا القرآن مأدبة الله فتعلموا من مأدبته مااستطعتم ، إن هذا القرآن حبل الله ، وهو النور المبين ، والشفاء النافع ، عصمة لمن تمسك به ، ونجاة لمن تبعه ، لايعوج فيقوّم ، ولا يزيغ فيستعتب ، ولاتنقضى عجائبه ، ولا يخلق عن كثرة الرد ، فاتلوه فإن الله يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات ، أما انى لاأقول: الم، حرف ، ولكن ألف عشر ولام عشر وميم عشر »

وهذا غريب من هذا الوجه ورواه محمد بن فضيل عن أبى اسحاق الهجرى ، واسمه ابراهيم بن مسلم وهو أحد

التابعين ولكن تكلموا فيه كثيرا ، وقال أبو حاتم الرازى : لين ليس بالقوى وقال أبو الفتح الأزدى : رفاع كثير الوهم . ﴿ قلت ﴾ فيحتمل والله أعلم أن يكون وهم فى رفع هذا الحديث وإنما هو من كلام ابن مسعود ولكن له شاهد من وجه آخر والله أعلم

وقال أبو عبيد أيضاً ثنا حجاج عن اسرائيل عن أبى اسحاق عن عبد الله بن يزيد عن عبد الله بن مسعود قال : لايسأل عبد عن نفسه إلا القرآن فإن كان يحب القرآن فإنه يحب الله ورسوله

﴿ الحديث الرابع ﴾

قال البخارى : ثنا عمرو بن محمد ثنا يعقوب بن ابراهيم ثنا أبى عن صالح بن كيسان عن ابن شهاب قال أخبرنى أنس بن مالك أن الله تابع الوحى على رسوله ﷺ قبل وفاته حتى توفاه أكثرما كان الوحى ثم توفى رسول الله ﷺ بعد

وهكذا رواه مسلم عن عمرو بن محمد هذا - وهو الناقد - وبحسن الحلوانى وعبد بن حميد والنسائى عن اسحاق ابن منصور الكوسج أربعتهم عن يعقوب بن ابراهيم بن سعد الزهرى به

ومعناه أن الله تعالى تابع نزول الوحى على رسوله ﷺ شيئا بعد شىء كل وقت بما يحتاج إليه ولم تقع فترة بعد الفترة الأولى التى كانت بعد نزول الملك أول مرة بقوله تعالى (اقرأ باسم ربك) فإنه استلبث الوحى بعدها حينا يقال قريبا من سنتين أو أكثر ثم حمى الوحى وتتابع وكان أول شىء نزل بعد تلك الفترة (يا أيها المدثر * قم فأنذر)

﴿ الحديث الخامس ﴾

حدثنا أبو نعيم ثنا سفيان عن الأسود بن قيس قال سمعت جندبا يقول : اشتكى رسول الله ﷺ فلم يقم ليلة أوليلتين فأتته امرأة فقالت يامحمد ما أرى شيطانك إلا تركك، فأنزل الله تعالى (والضحى * والليل إذا سجى * ما ودعك ربك وماقلى)

وقد رواه البخارى فى غير موضع أيضا ومسلم والترمذى والنسائى من طرق أخر عن سفيان وهو الثورى وشعبة بن الحجاج كلاهما عن الأسود بن قيس العبدى عن جندب بن عبد الله البجلى به . وقد تقدم الكلام على هذا الحديث فى تفسير سورة الضحى

والمناسبة فى ذكر هذا الحديث والذى قبله فى فضائل القرآن أن الله تعالى له برسوله عناية عظيمة ومحبة شديدة حيث جعل الوحى متتابعا عليه ولم يقطعه عنه ولهذا إنما أنزل عليه القرآن مفرقا ليكون ذلك أبلغ فى العناية والاكرام

قال البخارى رحمه الله [1] : نزل القرآن بلسان قريش والعرب ، قرآنا عربيا بلسان عربى مبين ، حدثنا أبو اليمان ثنا شعيب عن الزهرى أخبرنى أنس بن مالك قال : فأمر عثمان بن عفان زيد بن ثابت وسعيد بن العاص وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن الحارث بن هشام أن ينسخوها فى المصاحف وقال لهم : إذا اختلفتم أنتم وزيد فى عربية من عربية القرآن فاكتبوها بلسان قريش فان القرآن نزل بلسانهم ، ففعلوا

هذا الحديث قطعة من حديث سيأتى قريبا الكلام عليه ، ومقصود البخارى منه ظاهر وهو أن القرآن نزل بلغة قريش وقريش خلاصة العرب ولهذا قال أبو بكر بن أبى داود : حدثنا عبد الله بن محمد بن خلاد ثنا يزيد بن شيبان ابن عبد الملك بن عمير عن جابر بن سمرة قال سمعت عمر بن الخطاب يقول: لا يملين فى مصاحفنا هذه إلا غلمان قريش أو غلمان ثقيف . وهذا إسناد صحيح .

---

(١) فى البخارى هنا كلمة ﴿ باب ﴾ والمؤلف لا يذكر الأبواب فيما ينقله هنا عن البخارى كما تقدم مثله .

وقال أيضا حدثنا إسماعيل بن أسد ثنا هوذة ثنا عوف عن عبد الله بن فضالة قال : لما أراد عمر أن يكتب الإمام أقعد له نفراً من أصحابه وقال إذا اختلفتم في اللغة فاكتبوها بلغة مضر فان القرآن نزل بلغة رجل من مضر ﷺ وقد قال الله تعالى (قرآناً عربياً غير ذى عوج لعلهم يتقون) وقال تعالى (وإنه لتنزيل رب العالمين * نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين * بلسان عربى مبين) وقال تعالى (وهذا لسان عربى مبين) وقال تعالى (ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمى وعربى) الآية إلى غير ذلك من الآيات الدالة على ذلك

ثم ذكر البخارى رحمه الله حديث يعلى بن أمية أنه كان يقول : ليتنى أرى رسول الله ﷺ حين ينزل عليه الوحى فذكر الحديث فى الذى سأل عمن أحرم بعمرة وهو متضمخ بطيب وعليه جبة قال فنظر رسول الله ساعة ثم فجأه الوحى فأشار عمر إلى يعلى أى تعال فجاء يعلى فأدخل رأسه فإذا هو محمر الوجه يغط كذلك ساعة ثم سرّى عنه فقال « أين الذى سألنى عن العمرة آنفا ؟ » فذكر أمره بنزع الجبة وغسل الطيب

وهذا الحديث رواه جماعة من طرق عديدة والكلام عليه فى كتاب الحج ولا تظهر مناسبة ما بينه وبين هذه الترجمة ولا يكاد ولو ذكر فى الترجمة التى قبلها لكان أظهر وأبين والله أعلم .

﴿ جمع القرآن ﴾

قال البخارى حدثنا موسى بن إسماعيل ثنا إبراهيم بن سعد ثنا ابن شهاب عن عبيد بن السباق أن زيد بن ثابت قال أرسل إلىّ أبو بكر مقتل أهل اليمامة فإذا عمر بن الخطاب عنده فقال أبو بكر إن عمر بن الخطاب أتانى فقال: إن القتل قد استحرّ (١) بقراء القرآن ، وإنى أخشى أن يستحر القتل بالقراء فى المواطن فيذهب كثير من القرآن ، وإنى أرى أن تأمر بجمع القرآن ، فقلت لعمر كيف تفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ قال عمر : هذا والله خير . فلم يزل عمر يراجعنى حتى شرح الله صدرى لذلك ورأيت فى ذلك الذى رأى عمر، قال زيد : قال أبو بكر إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه ، والله لو كلفونى نقل جبل من الجبال ما كان على أثقل مما أمرنى به من جمع القرآن ، قلت كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ قال هو والله خير . فلم يزل أبو بكر يراجعنى حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر أبى بكر وعمر رضى الله عنهما فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف (٢) وصدور الرجال ، ووجدت آخر سورة التوبة مع أبى خزيمة الأنصارى لم أجدها مع غيره (٣) (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) حتى خاتمة براءة .

فكانت الصحف عند أبى بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حياته ثم عند حفصة بنت عمر رضى الله عنهم .

وقد روى البخارى هذا فى غير موضع من كتابه . ورواه الإمام أحمد والترمذى والنسائى من طرق عن الزهرى به وهذا من أحسن وأجل وأعظم ما فعله الصديق رضى الله عنه فإنه أقامه الله تعالى بعد النبى ﷺ مقاما لا ينبغى لأحد من بعده : قاتل الاعداء من مانعى الزكاة والمرتدين والفرس والروم ، ونفذ الجيوش ، وبعث البعوث والسرايا، ورد الأمر إلى نصابه ، بعد الخوف من تفرقه وذهابه ، وجمع القرآن العظيم من أماكنه المتفرقة حتى تمكن القارئ من حفظه كله. وكان هذا من سر قوله تعالى (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)

فجمع الصديق الخير وكف الشرور ، رضى الله عنه وأرضاه ، ولهذا روى عن غير واحد من الأئمة منهم وكيع وابن زيد وقبيصة عن سفيان الثورى عن إسماعيل بن عبد الرحمن السدى الكبير عن عبد خير عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال : أعظم الناس أجرا فى المصاحف أبو بكر، إن أبا بكر كان أول من جمع القرآن بين اللوحين . هذا إسناد صحيح .

وقال أبو بكر بن أبى داود فى كتاب المصاحف : حدثنا هارون بن إسحاق ثنا عبدة عن هشام عن أبيه أن أبا بكر رضى الله عنه هو الذى جمع القرآن بعد النبى ﷺ يقول : ختمه صحيح أيضا وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه هو الذى تنبه لذلك لما استحر القتل بالقراء ، أى اشتد القتل وكثر فى قراء القرآن يوم اليمامة . يعنى يوم قتال مسيلمة الكذاب وأصحابه بنى حنيفة ، بأرض اليمامة فى حديقة الموت

وذلك أن مسيلمة التف معه من المرتدين قريب من مائة ألف . فجهز الصديق لقتاله خالد بن الوليد فى قريب من ثلاثة عشر ألفا ، فالتقوا معهم ، فانكشف الجيش الإسلامى لكثرة من فيه من الأعراب . فنادى القراء من كبار الصحابة يا خالد خلصنا . يقولون ميزنا من هؤلاء الأعراب . فتميزوا منهم وانفردوا فكانوا قريبا من ثلاثة آلاف . ثم صدقوا الحملة وقاتلوا قتالا شديداً ، وجعلوا يتنادون : يا أصحاب سورة البقرة ، فلم يزل ذلك دأبهم ، حتى فتح الله عليهم وولى جيش الكفر فاراً ، وأتبعتهم السيوف المسلمة فى أقفيتهم قتلا وأسراً ؛ وقتل الله مسيلمة وفرق شمل أصحابه ثم رجعوا إلى الإسلام .

---

(١) استحر اشتد (٢) اللخاف بكسر اللام جمع لخفة وهى صفائح الحجارة الرقاق ، وتجمع على لخف بضمتين كما فى رواية أخرى (٣) يعنى أنه لم يجدها مكتوبة عند غيره ممن كانوا يكتبون الوحى لا أنه لم يكن يحفظها غيره بل كان يحفظها الكثيرون ويتلونها فى الصلاة وغيرها.

ولكن قتل من القراء يومئذ قريب من خمسمائة رضى الله عنهم . فلهذا أشار عمر على الصديق ، بأن يجمع القرآن لئلا يذهب منه بسبب موت من يكون يحفظه من الصحابة بعد ذلك فى مواطن القتال . فإذا كتب وحفظ صار ذلك محفوظا ، فلا فرق بين حياة من بلغه أو موته . فراجعه الصديق قليلا ليستثبت الأمر ، ثم وافقه ، وكذلك راجعهما زيد بن ثابت فى ذلك . ثم صار إلى ما رأياه رضى الله عنهم أجمعين . وهذا المقام من أعظم فضائل زيد بن ثابت الأنصارى . ولهذا قال أبو بكر بن أبى داود : ثنا عبد الله بن محمد بن خلاد ، ثنا يزيد بن مبارك ، عن فضالة عن الحسن ، أن عمر بن الخطاب سأل عن آية من كتاب الله ، فقيل كانت مع فلان فقتل يوم اليمامة ، فقال إنا لله ، ثم أمر بالقرآن فجمع فكان أول من جمعه فى المصحف . وهذا منقطع فان الحسن لم يدرك عمر . ومعناه أنه أشار بجمعه فجمع ، ولهذا كان مهيمنا على حفظه وجمعه ، كما رواه ابن أبى داود حيث قال : ثنا أبو الطاهر ، ثنا ابن وهب ، ثنا عمرو بن طلحة الليثى ، عن محمد بن عمرو ، عن علقمة ، عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب ، أن عمر لما جمع القرآن ، كان لا يقبل من أحد شيئا ، حتى يشهد شاهدان ، وذلك عن أمر الصديق له فى ذلك كما قال أبو بكر بن أبى داود . ثنا أبو الطاهر . أنا ابن وهب أخبرنى ابن أبى الزناد ، عن هشام بن عروة عن أبيه ، قال : لما استحر القتل بالقراء يومئذ فرق(١) أبو بكر رضى الله عنه أن يضيع فقال لعمر بن الخطاب ولزيد بن ثابت : فمن جاءكما بشاهدين على شىء من كتاب الله فاكتباه(٢) منقطع حسن

ولهذا قال زيد بن ثابت ووجدت آخر سورة التوبة — يعنى قوله تعالى (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) إلى آخر الآيتين — مع أبى خزيمة الأنصارى . وفى رواية مع خزيمة بن ثابت الذى جعل رسول الله ﷺ شهادته بشهادتين لم أجدها مع غيره(٣) فكتبوها عنه لأنه جعل رسول الله ﷺ شهادته بشهادتين فى قصة الفرس الذى ابتاعها رسول الله ﷺ من الأعرابى فأنكر الأعرابى البيع ، فشهد خزيمة هذا بتصديق رسول الله ﷺ فأمضى شهادته وقبض الفرس من الأعرابى . والحديث رواه أهل السنن وهو مشهور .

وروى أبو جعفر الرازى عن الربيع . عن أبى العالية أن أبى بن كعب أملاها عليهم مع خزيمة بن ثابت . وقد روى ابن وهب عن عمرو بن طلحة الليثى ، عن محمد بن عمرو بن علقمة عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب . أن عثمان شهد بذلك أيضا

وأما قول زيد بن ثابت : فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال . وفى رواية من العسب والرقاع والاضلاع . وفى رواية من الاكتاف والاقتاب وصدور الرجال . أما العسب فجمع عسيب ، قال أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهرى : وهو من السعف فويق الكرب ، لم ينبت عليه الخوص ، وما نبت عليه الخوص فهو السعف . واللخاف جمع لخفة وهى القطعه من الحجارة مستدقة ، كانوا يكتبون عليها وعلى العسب وغير وذلك مما يمكنهم الكتابة عليه بما يناسب ما يسمونه من القرآن من رسول الله ﷺ

ومنهم من لم يكن يحسن الكتابة أو يثق بحفظه فكان يحفظه ، فتلقاه زيد ، هذا من عسبه ، وهذا من لخافه ، ومن صدر هذا ، أى من حفظه وكانوا أحرص شىء على أداء الأمانات . وهذا من أعظم الأمانة ، لأن الرسول ﷺ أودعهم ذلك ليبلغوه إلى من بعده ، كما قال الله تعالى (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) ففعل صلوات الله وسلامه عليه

---

(١) فرق كتعب خاف أى خاف أن يضيع منه شىء — كما فى الروايات الأخرى — إذا مات جميع حفاظه قبل أن يكتب (٢) لعل المراد الشهادة على المكتوب وقد كان زيد ممن حفظ القرآن كله على عهد رسول الله ﷺ وكذلك عمر كان يحفظه (٣) أى لم يجدها مكتوبة مع غيره على ما كان من بحث زيد عمن كتبها وتقدم فى حاشية قبل هذه أنها كانت محفوظة وأن زيداً كان يسأل عن شىء يحفظه ويعرفه .

ولهذا سألهم فى حجة الوداع يوم عرفة على رءوس الأشهاد . والصحابة أوفر ما كانوا مجتمعين فقال «إنكم مسئولون عنى فما أنتم قائلون ؟ » قالوا نشهد أنك بلغت وأديت ونصحت . فجعل يشير بأصبعه إلى السماء عليهم ويقول « اللهم اشهد . اللهم اشهد . اللهم اشهد » رواه مسلم عن جابر

وقد أمر أمته أن يبلغ الشاهد الغائب وقال « بلغوا عنى ولو آية » يعنى ولو لم يكن مع أحدكم سوى آية واحدة فليؤدها إلى من وراءه فبلغوا عنه ما أمرهم به . فأدوا القرآن قرآنا ، والسنة سنة . لم يلبسوا هذا بهذا

ولهذا قال عليه السلام « من كتب عنى سوى القرآن فليمحه » أى لئلا يختلط بالقرآن ، وليس معناه أن لا يحفظوا السنة ويروووها والله أعلم . فلهذا نعلم بالضرورة أنه لم يبق من القرآن مما أداه الرسول ﷺ إليهم إلا وقد بلغوه إلينا ، ولله الحمد والمنة

فكان الذى فعله الشيخان أبوبكر وعمر رضى الله عنهما من أكبر المصالح الدينية وأعظمها من حفظهما كتاب الله فى الصحف لئلا يذهب منه شىء بموت من تلقاه عن رسول الله ﷺ ثم كانت تلك الصحف عند الصديق أيام حياته ، ثم أخذها عمر بعده ، فكانت عنده محروسة معظمة مكرمة . فلما مات كانت عند حفصة أم المؤمنين ، لأنها كانت وصيته من أولاده على أوقافه وتركته . وكانت عند أم المؤمنين حتى أخذها أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه كما سنذكره إن شاء الله.

﴿ كتابة عثمان رضى الله عنه للمصاحف ﴾ (١)

قال البخارى رحمه الله : ثنا موسى بن اسماعيل ، ثنا إبراهيم ، ثنا ابن شهاب ، أن أنس بن مالك حدثه ، أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان بن عفان رضى الله عنهما ، وكان يغازى أهل الشام فى فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق . فأفزع حذيفة اختلافهم فى القراءة ، فقال حذيفة لعثمان يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة ، قبل أن يختلفوا فى الكتاب اختلاف اليهود والنصارى . فأرسل عثمان إلى حفصة : أن أرسلى الينا بالصحف فننسخها ثم نردها اليك ، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان ، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها فى المصاحف

وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة : إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى شىء من القرآن (٢) فاكتبوه بلسان قريش فانما أنزل بلسانهم ففعلوا ، حتى إذا نسخوا الصحف فى المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا . وأمر بما سواه من القرآن فى كل صحيفه أو مصحف أن يحرق (٣)

قال ابن شهاب الزهرى فأخبرنى خارجة بن زيد بن ثابت ، سمع زيد بن ثابت فقال ، فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف ، قد كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها ، فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصارى

---

(١) هذا العنوان من وضع المطبعة لامن وضع المؤلف

(٢) أى إذا اختلفتم فى رسم كتابته فاكتبوه بالرسم الذى يوافق لغة قريش ولهجتها من نحو همز وغيره فانه نزل بها لانها لغة الرسول ﷺ وأفصح لغات العرب وإنما أقرأ جبريل النبى ﷺ بغيرها من لغات العرب ولهجاتهم رخصة ليسهل عليهم ترتيله بغير تكلف يشغل عن تدبره

(٣) حكمة ذلك أن مصحف حفصة هو الذى نسخت عنه المصاحف الرسمية التى تحروا فى جمعها ونسخها فيخشى من إباحة وجود غيرها أن يكون فى بعضها غلط أو أن تكون سببا للكذب والاختلاف

(من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) فألحقناها فى سورتها بالمصحف . وهذا أيضا من أكبر مناقب أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه

فان الشيخين سبقاه إلى حفظ القرآن أن يذهب منه شيء . وهو جمع الناس على قراءة واحدة لئلا يختلفوا فى القرآن ، ووافقه على ذلك جميع الصحابة . وإنما روى عن عبد الله بن مسعود شيء من التغضب بسبب انه لم يكن ممن كتب المصاحف ، وأمر أصحابه بغل مصاحفهم لما أمر عثمان بحرق ماعدا المصحف الامام . ثم رجع ابن مسعود إلى الوفاق . حتى قال على بن أبى طالب : لو لم يفعل ذلك عثمان لفعلته أنا ، فاتفق الأئمة الأربعة أبوبكر وعمر وعثمان وعلى على أن ذلك من مصالح الدين . وهم الخلفاء الذين قال رسول الله ﷺ « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى » وكان السبب فى هذا حذيفة بن اليمان رضى الله عنه . فانه لما كان غازيا فى فتح أرمينية وأذربيجان وكان قد اجتمع هناك أهل الشام والعراق ، وجعل حذيفة يسمع منهم قراءات على حروف شتى ، ورأى منهم اختلافا وافتراقا ، فلما رجع إلى عثمان أعلمه ، وقال لعثمان أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا فى الكتاب اختلاف اليهود والنصارى

وذلك ان اليهود والنصارى مختلفون فيما بأيديهم من الكتب ، فاليهود بأيديهم نسخة من التوراة والسامرة يخالفونهم فى ألفاظ كثيرة ومعانى أيضا ، وليس فى توراة السامرة حروف الهمزة ، ولا حرف الهاء ولا الياء ، والنصارى أيضا بأيديهم توراة يسمونها العتيقة وهى مخالفة لنسختى اليهود والسامرة .

وأما الأناجيل التى بأيدى النصارى فأربعة : انجيل مرقس ، وانجيل لوقا ، وانجيل متى ، وانجيل يوحنا ، وهى مختلفة أيضا اختلافا كثيراً . وهذه الأناجيل الأربعة كل منها لطيف الحجم . منها ماهو قريب من أربع عشرة ورقة بخط متوسط . ومنها ماهو أكثر من ذلك ، إما بالنصف أو الضعف . ومضمونها سيرة عيسى عليه السلام ، وأيامه ، وأحكامه ، وكلامه ، ومعه شيء قليل مما يدعون أنه كلام الله ، وهى مع هذا مختلفة كما قلنا . وكذلك التوراة مع مافيها من التحريف والتبديل ، ثم هما منسوخان بعد ذلك بهذه الشريعة المحمدية المطهرة

فلما قال حذيفة لعثمان ذلك أفزعه ، وأرسل إلى حفصة أم المؤمنين أن ترسل اليه بالصحف التى عندها مما جمعه الشيخان ليكتب ذلك فى مصحف واحد ؛ وينفذه إلى الآفاق ويجمع الناس على القراءة به وترك ماسواه ؛ ففعلت حفصة. وأمر عثمان هؤلاء الأربعة ؛ وهم زيد بن ثابت الأنصارى ؛ أحد كتاب الوحى لرسول الله ﷺ وعبدالله بن الزبير بن العوام القرشى الاسدى ؛ أحد فقهاء الصحابة ونجبائهم علما وعملا ؛ وأصلا وفضلا . وسعيد بن العاص بن أمية القرشى الأموى وكان كريما جوادا ممدحا ؛ وكان أشبه الناس لهجة برسول الله ﷺ وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ابن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم القرشى المخزومى

فجلس هؤلاء النفر الأربعة يكتبون بالقرآن نسخا . وإذا اختلفوا فى موضع الكتابة على أى لغة رجعوا إلى عثمان ، كما اختلفوا فى التابوت ، أيكتبونه بالتاء أو الهاء ؟ فقال زيد بن ثابت إنما هو التابوه ، وقال الثلاثة القرشيون إنما هو التابوت ، فتراجعوا إلى عثمان فقال اكتبوه بلغة قريش فإن القرآن نزل بلغتهم . وكأن عثمان رضى الله عنه والله أعلم رتب السور فى المصحف ، وقدم السبع الطول وثنى بالمئين (١)

ولهذا روى ابن جرير وأبو داود والترمذى والنسائى ، من حديث غير واحد من الأئمة الكتاب ، عن عوف الاعرابى عن يزيد الفارسى ، عن ابن عباس قال : قلت لعثمان بن عفان ماحملكم على أن عمدتم إلى الأنفال ، وهى من المثانى ، وإلى براءة وهى من المئين ، فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ، ووضعتموها فى السبع الطول ، ما حملكم على ذلك ؟ فقال عثمان كان رسول الله ﷺ مما يأتى عليه الزمان وهو ينزل عليه السور ذوات العدد ، فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب فيقول « ضعوا هؤلاء الآيات فى السورة التى يذكر فيها كذا وكذا »

(١) إنما كان الترتيب توقيفياً على العرضة الأخيرة كما فى الصحاح

وكانت الأنفال من أول مانزلت بالمدينة ، وكانت براءة من آخر القرآن ، وكانت قصتها شبيهة بقصتها ، وحسبت أنها منها ، فقبض رسول الله ﷺ ولم يتبين لنا أنها منها ، فمن أجل ذلك قرنت بينهما ، ولم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم فوضعتها فى السبع الطول .

ففهم من هذا الحديث أن ترتيب الآيات فى السور أمر توقيفى متلقى عن النبى ﷺ

وأما ترتيب السور فمن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه (١) ولهذا ليس لأحد أن يقرأ القرآن إلا مرتباً آياته . فان نكسه أخطأ خطأ كثيراً . وأما ترتيب السور فمستحب اقتداء بعثمان رضى الله عنه . والأولى إذا قرأ أن يقرأ متواليا ، كما قرأ عليه السلام فى صلاة الجمعة بسورة الجمعة والمنافقين ، وتارة بسبح وهل أتاك حديث الغاشية . فان فرق جاز ، كما صح أن رسول الله ﷺ قرأ فى العيد بقاف واقتربت الساعة ، رواه مسلم عن أبى قتادة

وفى الصحيحين عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ كان يقرأ فى صلاة الصبح يوم الجمعة (الم) السجدة وهل أتى على الإنسان . وان قدم بعض السور على بعض جاز أيضا ، فقد روى حذيفة أن رسول الله ﷺ قرأ البقرة ثم النساء ثم آل عمران ، أخرجه مسلم وقرأ عمر فى الفجر بسورة النحل ثم بيوسف

ثم إن عثمان رضى الله عنه رد الصحف إلى حفصة رضى الله عنها فلم تزل عندها حتى أرسل إليها مروان بن الحكم يطلبها فلم تعطه حتى ماتت ، فأخذها من عبد الله بن عمر فحرقها لئلا يكون فيها شىء يخالف المصاحف الأئمة (٢)

---

(١) قال صاحب المنار: هذا خطأ لا يصح فى جميع السور بل هو باطل واعتمده بعضهم فى هاتين السورتين عملا بهذه الرواية وهو مردود أيضا وقد انتقدته فى تفسير المنار بقولى بعد نقله عن الألوسى مانصه :

وأقول إن جواب عثمان لابن عباس (رضى الله عنهم) هو كما رواه أحمد وأصحاب السنن الثلاثة وابن حبان والحاكم: كان رسول الله ﷺ ينزل عليه السور ذوات العدد فكان إذا نزل عليه الشىء دعا من كان يكتب يقول « ضعوا هؤلاء الآيات فى السورة التى يذكر فيها كذا وكذا » وكانت الأنفال من أوائل مانزل بالمدينة وكانت براءة من آخر القرآن نزولا وكانت قصتها شبيهة بقصتها ، فظننت أنها منها ، فقبض رسول الله ﷺ ولم يبين لنا أنها منها . فمن أجل ذلك قرنت بينهما ، ولم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ، ووضعتهما فى السبع الطول اهـ

ولأجل هذه الرواية ذهب البيهقى إلى أن ترتيب جميع السور توقيفى عن النبى صلى الله عليه وسلم إلا الأنفال وبراءة ووافقه السيوطى . ويرد عليه أنه لا يعقل أن يرتب النبى صلى الله عليه وسلم جميع السور إلا الأنفال وبراءة ، وقد صح أنه ﷺ كان يتلو القرآن كله فى رمضان على جبريل عليه السلام مرة واحدة من كل عام فلما كان العام الذى توفى فيه عارضه القرآن مرتين ، فأين كان يضع هاتين السورتين فى قراءته ؟ التحقيق أن وضعهما فى موضعهما توقيفى وإن فات عثمان أو نسيه ولولا ذلك لمعارضة الجمهور أو ناقشوه فيه عند كتابة القرآن كما روى عن ابن عباس بعد سنين من جمعه ونشره فى الأقطار

وهذا الحديث قال الترمذى حسن لا نعرفه إلا من حديث عوف (بن أبى جميلة) عن يزيد الفارسى عن ابن عباس. اهـ ويزيد الفارسى هذا غير مشهور اختلفوا فيه هل هو يزيد بن هرمز أو غيره والصحيح انه غيره روى عن ابن عباس وحكى عن عبد الله بن زياد وكان كاتبه وعن الحجاج بن يوسف فى أمر المصاحف . وسئل عنه يحيى بن معين فلم يعرفه ، وقال أبو حاتم لا بأس به . اهـ ملخصاً من تهذيب التهذيب ، فمثل هذا الرجل لا يصح أن تكون روايته التى انفرد بها مما يؤخذ به فى ترتيب القرآن المتواتر

(٢) الأولى بل المتعين أن يقال لئلا يدعى أحد بعد ذلك أن فيها ما يخالف هذه المصاحف فانها كانت صحفاً منشورة يظهر أنها لم تكن قوية بشكل واحد وقياس واحد فتتخذ مصحفاً إماما يصلح للبقاء كالمصاحف التى نسخت لهذا الغرض وجعلت رسمية بالاجماع . وقد نقلت صحف الأخبار العامة أن أحدها وهو الذى كان محفوظا عند قياصرة الروسية وهبه خلفهم الشيوعيون لامير بخارى بعد أن أخذوا صورة منه بالآلة الشمسية (الفوتوغرافية) ويقال إن الأصل فقد فلم يصل إلى الامير

التى نفذها عثمان إلى الآفاق، مصحفا إلى مكة، ومصحفا إلى البصرة، وآخر إلى الكوفة وآخر إلى الشام، وآخر إلى اليمن، وآخر إلى البحرين ؛ وترك عند أهل المدينة مصحفا . رواه أبو بكر بن أبى داود عن أبى حاتم السجستانى ؛ سمعه يقوله. وصحح القرطبى أنه إنما نفذ إلى الآفاق أربعة مصاحف — وهذا غريب — وأمر بما عدا ذلك من مصاحف الناس أن يحرق لئلا تختلف قراءات الناس فى الآفاق . وقد وافقه الصحابة فى عصره على ذلك ولم ينكره أحد منهم . وإنما نقم عليه ذلك الرهط الذين تمالؤا عليه وقتلوه — قاتلهم الله — وذلك فى جملة ما أنكروا مما لا أصل له . وأما سادات المسلمين من الصحابة ومن نشأ فى عصرهم ذلك من التابعين فكلهم وافقوه

قال أبو داود الطيالسى وابن مهدى وغندر عن شعبة عن علقمة بن مرثد عن رجل عن سويد بن غفلة قال على حين حرق عثمان المصاحف: لو لم يصنعه هو لصنعته . وقال أبو بكر بن أبى داود ثنا أحمد بن سنان ثنا عبد الرحمن ثنا شعبة عن أبى إسحق عن مصعب بن سعد بن أبى وقاص قال أدركت الناس متوافرين حين حرق عثمان المصاحف فأعجبهم ذلك أو قال لم ينكر ذلك منهم أحد ، وهذا إسناد صحيح ، وقال أيضا حدثنا إسحق بن إبراهيم الصواف ثنا يحيى بن كثير ثنا ثابت بن عمارة الحنفى قال سمعت غنيم بن قيس المازنى قال قرأت القرآن على الحرفين جميعا، والله ما يسرنى أن عثمان لم يكتب المصحف وأنه ولد لكل مسلم كلما أصبح غلام فأصبح له مثل ماله . قال قلنا له يا أبا العنبر لم ؟ قال لولم يكتب عثمان المصحف لطفق الناس يقرءون الشعر . وحدثنا يعقوب بن سفيان حدثنا محمد بن عبد الله حدثنى عمران بن حدير عن أبى مجلز قال لولا أن عثمان كتب القرآن لألفيت الناس يقرءون الشعر . وحدثنا أحمد بن سنان سمعت ابن مهدى يقول : خصلتان لعثمان بن عفان ليستا لأبى بكر ولا لعمر : صبره نفسه حتى قتل مظلوما . وجمعه الناس على المصحف

وأما عبد الله بن مسعود رضى الله عنه فقد قال إسرائيل عن أبى إسحق عن خمير بن مالك قال لما أمر بالمصاحف يعنى بتحريقها ساء ذلك عبد الله بن مسعود وقال : من استطاع منكم أن يغل مصحفا فليغلل فانه من غل شيئا جاء بما غل يوم القيامة ثم قال عبد الله لقد قرأت القرآن من فى رسول الله ﷺ سبعين سورة وزيد صبى أفأترك ما أخذت من فى رسول الله ﷺ

وقال أبو بكر ثنا محمد بن عبد الله بن محمد بن النضر ثنا سعيد بن سليمان ثنا ابن شهاب عن الأعمش عن أبى وائل قال خطبنا ابن مسعود على المنبر فقال : من يغلل يأت بما غل يوم القيامة ، غلوا مصاحفكم ، وكيف تأمرونى أن أقرأ على قراءة زيد بن ثابت وقد قرأت القرآن من فى رسول الله ﷺ بضعا وسبعين سورة (١) وإن زيد بن ثابت ليأتى مع الغلمان له ذؤابتان والله ما نزل من القرآن شىء إلا وأنا أعلم فى أى شىء نزل ، وما أحد أعلم بكتاب الله منى ، وما أنا بخيركم ، ولو أعلم مكانا تبلغه الإبل أعلم بكتاب الله منى لأتيته . قال أبو وائل فلما نزل عن المنبر جلست فى الحلق فما أحد ينكر ما قال . أصل هذا مخرج فى الصحيحين وعندهما : ولقد علم أصحاب محمد ﷺ أنى من أعلمهم بكتاب الله فما أحد ينكر ما قال يعنى من فضله وحفظه وعلمه والله أعم . وأما أمره بغل المصاحف وكتمانها فقد أنكره عليه غير واحد . قال الأعمش عن إبراهيم عن علقمة قال قدمت الشام فلقيت أبا الدرداء فقال كنا نعد عبد الله جبانا فما باله يواثب الأمراء ؟

وقال أبو بكر بن أبى داود : باب رضى عبد الله بن مسعود بجمع عثمان المصاحف بعد ذلك : حدثنا عبد الله بن سعيد ومحمد بن عثمان العجلى قالا ثنا أبو أسامة حدثنى زهير حدثنى الوليد بن قيس عن عثمان بن حسان العامرى عن فلفلة الجعفى قال فزعت فيمن فزع إلى عبد الله فى المصاحف فدخلنا عليه فقال رجل من القوم إنا لم نأتك زائرين ولكنا جئنا حين راعنا هذا الخبر ، فقال إن القرآن أنزل على نبيكم من سبعة أبواب على سبعة أحرف — أو حروف — وإن الكتاب قبلكم كان ينزل — أو نزل — من باب واحد على حرف واحد . وهذا الذى استدل به أبو بكر رحمه الله على رجوع ابن مسعود فيه نظر من جهة أنه لا تظهر من هذا اللفظ رجوع عما كان يذهب إليه والله أعلم

(١) الغلول : السرقة من الغنائم مراده ان حفظ هذا العدد من السور فى مكة وفى أوائل الهجرة قبل أن يرشد زيد ويكتب القرآن وإلا فهو قد كان يحفظ القرآن كله وكتبه ويجوز أن يكون أصله سبعين مرة

وقال أبو بكر أيضا حدثنى عمى ثنا أبو رجاء أنا إسرائيل عن أبى إسحق عن مصعب بن سعد قال قام عثمان فخطب الناس فقال : أيها الناس عهد نبيكم منذ ثلاث عشرة وأنتم تمترون فى القرآن وتقولون قراءة أبىّ وقراءة عبد الله ، يقول الرجل والله ما يقيم قراءتك وأعزم على كل رجل منكم ما كان معه من كتاب الله شيء لما جاء به (١) فكان الرجل يجيء بالورقة والأديم فيه القرآن حتى تجمع من ذلك شيء كثير ، ثم دخل عثمان فدعاهم رجلا رجلا فناشدهم : لسمعت(٢) رسول الله ﷺ وهو أملاه عليك ؟ فيقول نعم فلما فرغ من ذلك عثمان قال من أكتب الناس ؟ قالوا كاتب رسول الله ﷺ زيد بن ثابت ، قال فأى الناس أعرب ؟ قالوا سعيد بن العاص ؟ قال عثمان فليملل سعيد وليكتب زيد. فكتب زيد مصاحف ففرقها فى الناس فسمعت بعض أصحاب رسول الله ﷺ يقولون قد أحسن ؟ إسناد صحيح

وقال أيضا ثنا إسحق بن إبراهيم بن زيد ثنا أبو بكر بن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن كثير بن أفلح قال : لما أراد عثمان أن يكتب المصاحف جمع له اثنى عشر رجلا من قريش والأنصار فيهم أبى بن كعب وزيد بن ثابت ؟ قال فبعثوا إلى الربعة التى فى بيت عمر فجيء بها قال وكان عثمان يتعاهدهم فكانوا إذا تداروا فى شيء أخروه قال محمد فقلت لكثير وكان فيهم فيمن يكتب : هل تدرون لم كانوا يؤخرونه ؟ قال لا قال محمد فظننت ظنا إنما كانوا يؤخرونها لينظروا أحدثهم عهداً بالعرضة الأخيرة فيكتبونها على قوله . صحيح أيضا ﴿ قلت ﴾ الربعة هى الكتب المجتمعة وكانت عند حفصة رضى الله عنها ؛ فلما جمعها عثمان رضى الله عنه فى المصحف ردها إليها ولم يحرقها فى جملة ما حرقه مما سواها لأنها هى بعينها التى كتبه وإنما رتبه (٣) ثم إنه كان قد عاهدها على أن يردها إليها فما زالت عندها حتى ماتت ؛ ثم أخذها مروان بن الحكم فحرقها وتأول فى ذلك ما تأول عثمان كما رواه أبو بكر بن أبى داود : حدثنا محمد بن عوف ثنا أبو اليمان ثنا شعيب عن الزهرى أخبرنى سالم بن عبد الله أن مروان كان يرسل إلى حفصة يسألها عن الصحف التى كتب معها القرآن فتأبى حفصة أن تعطيه إياها قال سالم فلما توفيت حفصة ورجعنا من دفنها أرسل مروان بالعزيمة إلى عبد الله بن عمر ليرسلن إليه بتلك الصحف فأرسل بها إليه عبد الله بن عمر فأمر بها مروان فشققت

وقال مروان إنما فعلت هذا لأن ما فيها قد كتب وحفظ بالمصحف فخشيت إن طال بالناس زمان أن يرتاب فى شأن هذه الصحف مرتاب أو يقول إنه قد كان شيء منها لم يكتب (٤) إسناد صحيح

وأما ما رواه الزهرى عن خارجة عن أبيه فى شأن آية الأحزاب وإلحاقهم إياها فى سورتها فذكره لهذا بعد جمع عثمان فيه نظر وإنما هذا كان حال جمع الصديق الصحف كما جاء مصرحا به فى غير هذه الرواية عن الزهرى عن عبيد بن السباق عن زيد بن ثابت ، والدليل على ذلك أنه قال فألحقناها فى سورتها من المصحف وليست هذه الآية ملحقة فى الحاشية فى المصاحف العثمانية .

فهذه الأفعال من أكبر القربات التى بادر إليها الأئمة الراشدون : أبو بكر وعمر رضى الله عنهما حفظا على الناس القرآن وجمعاه لئلا يذهب منه شيء ؛ وعثمان رضى الله عنه جمع قراءات الناس على مصحف واحد ووضعه على العرضة الأخيرة التى عارض بها جبريل رسول الله ﷺ فى آخر رمضان من عمره عليه السلام فإنه عارضه به عامئذ مرتين ولهذا قال رسول الله ﷺ لفاطمة ابنته لما مرض « وما أرى ذلك إلا لاقتراب أجلى » أخرجاه فى الصحيحين

وقد روى أن عليا رضى الله عنه أراد أن يجمع القرآن بعد رسول الله ﷺ مرتبا بحسب نزوله أولا فأولا كما رواه ابن أبى داود رحمه الله حيث قال ثنا محمد بن إسماعيل الأحمسى ثنا ابن فضيل عن أشعث عن محمد بن سيرين قال لما توفى النبى ﷺ أقسم على أن لا يرتدى برداء إلا لجمعة حتى يجمع القرآن فى مصحف ففعل فأرسل إليه أبو بكر رضى الله عنه بعد أيام أكرهت إمارتى يا أبا الحسن ؟ فقال : لا والله إلا إنى أقسمت أن لا أرتدى برداء إلا لجمعة ؛ فبايعه ثم رجع. هكذا رواه وفيه انقطاع

---

(١) أى ما وجد معه شيء منه إلا جاء به (٢) أى تقسم إنك سمعت الخ

(٣) الصواب أنه جمعها فى مصاحف متينة تجلد وتبقى وأما ترتيبها فقد كان توقيفياً كله على العرضة الأخيرة تراه فى رواية الصحيحين هنا . وما سبق من استثناء الأنفال والتوبة ضعيف كما سبق

(٤) هذا هو الحق المعقول فالمراد من اتلافها سد ذريعة التقول والتشكيك كما قلنا

ثم قال لم يذكر المصحف أحد إلا أشعث وهولين الحديث وإنما رووا : حتى أجمع القرآن . يعنى أتم حفظه فانه يقال للذى يجمع (١) القرآن قد جمع القرآن ﴿قلت﴾ وهذا الذى قاله أبوبكر أظهر والله أعلم فان عليا لم ينقل عنه مصحف على ماقيل ولا غير ذلك (٢) ولكن قدتوجد مصاحف على الوضع العثمانى يقال إنها بخط على رضى الله عنه وفى ذلك نظر فان فى بعضها [كتبه على بن أبوطالب] (٣) وهذا لحن من الكلام وعلى رضى الله عنه من أبعد الناس عن ذلك فانه كما هوالمشهور عنه هو أول من وضع علم النحو فيارواه عنه الأسود ظالم بن عمرو الدؤلى وأنه قسم الكلام إلى اسم وفعل وحرف وذكر أشياء أخر تممها أبوالأسود بعده ثم أخذ الناس عن أبى الأسود فوسعوه ووضحوه وصار علما مستقلا

وأما المصاحف العثمانية الأئمة فأشهرها اليوم الذى فى الشام بجامع دمشق عند الركن شرقى المقصورة المعمورة بذكر الله ، وقد كان قديما بمدينة طبرية ثم نقل منها إلى دمشق فى حدود ثمانى عشرة وخمسمائة ، وقد رأيته كتابا عزيزا جليلا عظيما ضخما بخط حسن مبين قوى بجبر محكم فى رق أظنه من جلود الإبل والله أعلم ، زاده الله تشريفا وتعظيما وتكريما

فأما عثمان رضى الله عنه فما يعرف أنه كتب بخطه هذه المصاحف وإنما كتبها زيد بن ثابت فى أيامه وغيره فنسبت إلى عثمان لأنها بأمره وإشارته ثم قرئت على الصحابة بين يدى عثمان ثم نفذت إلى الآفاق رضى الله عنه

وقد قال أبوبكر بن أبى داود ثنا على بن حرب الطائى ثنا قريش بن أنس ثنا سليمان التيمى عن أبى نضرة عن أبى سعيد مولى بنى أسيد قال لما دخل المصريون على عثمان ضربوه بالسيف على يده فوقعت على (فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم) فمديده وقال والله انها لأول يد خطت المفصل . وقال أيضا ثنا أبوالطاهر ثنا ابن وهب قال سألت مالكا عن مصحف عثمان فقال لى ذهب ، يحتمل انه سأله عن المصحف الذى كتبه بيده (٤) ويحتمل أن يكون سأله عن المصحف الذى تركه فى المدينة والله أعلم .

﴿ قلت ﴾ وقد كانت الكتابة فى العرب قليلة جدا ، وإنما أول ماتعلموا ذلك ماذكره هشام بن محمد بن السائب الكلبى وغيره أن بشر بن عبد الملك أخا أكيدر دومة تعلم الخط من الانبار ، ثم قدم مكة فتزوج الصهباء بنت حرب بن أمية أخت أبى سفيان صخر بن حرب بن أميه ، فعلمه حرب بن أمية وابنه سفيان ، وتعلمه عمر بن الخطاب من حرب بن أمية ، وتعلمه معاوية من عمه سفيان بن حرب ، وقيل إن أول من تعلمه من الانبار قوم من طىء من قرية هناك يقال لها بقة ، ثم هذبوه ونشروه فى جزيرة العرب فتعلمه الناس ولهذا قال أبوبكر بن أبى داود ثنا عبدالله بن محمد الزهرى ثنا سفيان عن مجاهد عن الشعبى قال سألنا المهاجرين من أين تعلمتم الكتابة ؟ قالوا من أهل الانبار

﴿ قلت ﴾ والذى كان يغلب على زمان السلف الكتابة المتكوفة ثم هذبها أبوعلى بن مقلة الوزير وصاره فى ذلك نهج وأسلوب فى الكتابة ، ثم قربها على بن هلال البغدادى المعروف بابن البواب وسلك الناس وراءه ، وطريقته فى ذلك واضحة جيدة . والغرض أن الكتابة لما كانت فى ذلك الزمان لم تحكم جيدا وقع فى كتابة المصاحف اختلاف فى وضع الكلمات من حيث صناعة الكتابة لا من حيث المعنى وصنف الناس فى ذلك . واعتنى بذلك الامام الكبير أبوعبيد القاسم بن سلام رحمه الله فى كتابه فضائل القرآن ، والحافظ أبوبكر بن أبى داود رحمه الله فبوبا على ذلك وذكرا قطعة صالحة هى من صناعة القرآن ليست مقصدنا ههنا

ولهذا نص الإمام مالك على أنه لاتوضع المصاحف إلا على وضع كتابة الامام . ورخص غيره فى ذلك . واختلفوا فى الشكل والنقط ، فمن مرخص ومن مانع

---

(١) لعل الأصل للذى يحفظ (٢) هذه الاشاعات من وضع الروافض المفترين ومن غلاتهم من زعم أن فى مصحفه عليه السلام زيادات وخلافا وأن المهدى سيظهره ، وهى أكاذيب تتضمن مطاعن شديدة فى على وآل بيته من كتمان ما أنزل الله واستحقاق لعن الله للكاتمين ما أنزل الله ، برأ الله آل بيت رسوله من مفترياتهم ولعن الله مفتريها

(٣) هذا الغلط يدل على أن الكاتب له أعجمى فالظاهر أنه من زنادقة الفرس كما نراه فى حاشية أخرى

(٤) أى كتبه لنفسه فان المصاحف التى كتبها الجماعة وقرئت على علماء الصحابة قد وزعت على الأمصار

فأما كتابة السورة وآياتها والتعشير والأجزاء والأحزاب فكثير فى مصاحف زماننا . والأولى اتباع السلف الصالح . ثم قال البخارى :

﴿ ذكر كتاب النبي صلى الله عليه وسلم ﴾ (١)

وأورد فيه من حديث الزهرى ، عن ابن السباق عن زيدبن ثابت أن أبا بكر الصديق قال له : وكنت تكتب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر نحو ماتقدم فى جمعه القرآن وقد تقدم ، وأورد حديث زيد بن ثابت فى نزول (لايستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر) ولم يذكر البخارى أحدا من الكتاب فى هذا الباب سوى زيد بن ثابت ، وهذا عجب ، وكأنه لم يقع له حديث يورده سوى هذا والله أعلم . وموضع هذا فى كتاب السيرة عند ذكر كتابه عليه الصلاة والسلام

ثم قال البخارى رحمه الله ﴿ أنزل القرآن على سبعة أحرف ﴾ حدثنا سعيد بن عفير ثنا الليث حدثنى عقيل عن ابن شهاب قال حدثنى عبيد الله بن عبد الله أن عبد الله بن عباس حدثه أن رسول الله ﷺ قال « أقرأنى جبريل عليه السلام على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدنى حتى انتهى إلى سبعة أحرف » وقد رواه أيضا فى بدء الخلق ، ومسلم من حديث يونس ومسلم أيضا عن معمر كلاهما عن الزهرى بنحوه ورواه ابن جرير من حديث الزهرى به ، ثم قال الزهرى بلغنى أن تلك السبعة الأحرف إنما هى فى الأمر الذى يكون واحداً لايختلف فى حلال ولا فى حرام وهذا مبسوط فى الحديث الذى رواه الامام أبوعبيد القاسم بن سلام حيث قال حدثنا يزيد ويحيى بن سعيد كلاهما عن حميد الطويل عن أنس بن مالك عن أبى بن كعب قال : ماحك فى صدرى شىء منذ أسلمت إلا أننى قرأت آية وقرأها آخر غير قراءتى فقلت أقرأنيها رسول الله ﷺ فقال أقرأنيها رسول الله ﷺ فأتينا رسول الله ﷺ فقلت يارسول الله أقرأتنى آية كذا وكذا ؟ قال « نعم » وقال الآخر أليس تقرئنى آية كذا وكذا ؟ قال « نعم » فقال « إن جبريل وميكائيل أتيانى فقعد جبريل عن يمينى وميكائيل عن يسارى فقال جبريل : اقرأ القرآن على حرف ، فقال ميكائيل : استزده حتى بلغ سبعة أحرف وكل حرف كاف شاف »

وقد رواه النسائى من حديث يزيد - وهو ابن هارون - ويحيى بن سعيد القطان كلاهما عن حميد الطويل عن أنس عن أبى بن كعب بنحوه . وكذا رواه ابن أبى عدى ومحمود بن ميمون الزعفرانى ويحيى بن أيوب كلهم عن حميد به

وقال ابن جرير ثنا محمد بن مرزوق ثنا أبو الوليد ثنا حماد بن سلمة عن حميد عن أنس عن عبادة بن الصامت عن أبى بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ « أنزل القرآن على سبعة أحرف » فأدخل بينهما عبادة بن الصامت .

---

(١) كتاب جمع كاتب والذى فى نسخ البخارى ﴿ باب كاتب النبى ﷺ ﴾ ويعنى به زيد بن ثابت . قال الحافظ ابن حجر فى الفتح قال ابن كثير : ترجم كتاب النبى ﷺ ولم يذكر سوى حديث زيد بن ثابت . . . . الخ ثم قال الحافظ إنه لم يقف عليه فى شىء من نسخ البخارى إلا بلفظ كاتب وهو مطابق لحديث الباب اه يعنى أن البخارى قصد بهذا الباب ذكر زيد بن ثابت وحده [لأنه كان أكثر ما يكتب ولكثرة تعاطيه الكتابة أطلق عليه اسم ﴿ الكاتب ﴾ بلام العهد] يريد ان ابن كثير اشتشكل ذكره زيداً وحده لأنه أى ابن كثير نقل ترجمة الباب بالجمع كتاب وهو مالم يعرف فى نسخ الصحيح . وذكر الحافظ كتاب الوحى بمكة والمدينة ومنه قوله : وممن كتب له فى الجملة الخلفاء الأربعة والزبير بن العوام وخالد وأبان ابنا سعيد بن العاص بن أمية وحنظلة بن الربيع الأسدى ومعيقيب بن أبى فاطمة وعبد الله ابن الأرقم الزهرى وشرحبيل بن حسنة وعبد الله بن رواحة فى آخرين اه

وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله : ثنا يحيى بن سعيد عن إسماعيل بن أبي خالد حدثني عبد الله بن عيسى عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبي بن كعب قال : كنت في المسجد فدخل رجل فقرأ قراءة أنكرتها عليه ، ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه فقمنا جميعا فدخلنا على رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه ثم دخل هذا فقرأ سوى قراءة صاحبه ، فقال لهما النبي ﷺ « اقرءا ـ فقرءا فقال ـ أصبتما » فلما قال لهما النبي ﷺ الذي قال كبر علي ولا إذا كنت في الجاهلية فلما رأى الذي غشيني ضرب في صدري ففضت عرقا . وكأنما أنظر إلى الله فرقا ، فقال « يا أبي إن الله أرسل إلي أن اقرأ القرآن على حرف ، فرددت إليه أن هوّن على أمتي ، فأرسل إلي أن اقرأه على حرفين فرددت إليه أن هون على أمتي ، فأرسل إلي أن اقرأه على سبعة أحرف ، ولك بكل ردة مسألة تسألنيها — قال — قلت اللهم اغفر لأمتي ، اللهم اغفر لأمتي ، وأخرت الثالثة ليوم يرغب إلي فيه الخلق حتى إبراهيم عليه السلام » وهكذا رواه مسلم من حديث إسماعيل بن أبي خالد به

وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب ثنا محمد بن فضيل عن إسماعيل بن أبي خالد عن عبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبيه عن جده عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله أمرني أن أقرأ القرآن على حرف واحد فقلت خفف عن أمتي ، فقال اقرأه على حرفين فقلت رب خفف عن أمتي ، فأمرني أن أقرأه على سبعة أحرف من سبعة أبواب الجنة ، كلها شاف كاف »

وقال ابن جرير حدثني يونس عن ابن وهب أخبرني هشام بن سعد عن عبيد الله بن عمر عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبي بن كعب أنه قال : سمعت رجلا يقرأ في سورة النحل قراءة تخالف قراءتي ثم سمعت آخر يقرؤها بخلاف ذلك فانطلقت بهما إلى رسول الله ﷺ فقلت إني سمعت هذين يقرآن في سورة النحل فسألت من أقرأهما ؟ فقالا : رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت لأذهبن بكما إلى رسول الله ﷺ إذ خالفتما ما اقرأني رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ لأحدهما « اقرأ ـ فقرأ فقال ـ أحسنت ـ ثم قال للاخر ـ اقرأ ـ فقرأ ـ فقال ـ أحسنت » قال أبيّ فوجدت في نفسي وسوسة الشيطان حتى احمر وجهي ، فعرف ذلك رسول الله ﷺ في وجهي فضرب يده في صدري ثم قال « اللهم أخسىء الشيطان عنه ، يا أبيّ أتاني آت من ربي فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد ، فقلت رب خفف عن أمتي ، ثم أتاني الثانية فقال إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على حرفين ، فقلت رب خفف عن أمتي ، ثم أتاني الثالثة فقال مثل ذلك وقلت مثل ذلك ، ثم أتاني الرابعة فقال إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف ولك بكل ردة مسألة ـ فقال ـ يا رب اللهم اغفر لأمتي واغفر لأمتي يارب اغفر لأمتي واختبأت الثالثة شفاعة لأمتي يوم القيامة » إسناد صحيح ﴿ قلت ﴾ وهذا الشك الذي حصل لأبي في تلك الساعة هو والله أعلم السبب الذي لأجله قرأ عليه رسول الله ﷺ قراءة اعلام وابلاغ ودواء لما كان حصل له سورة (لم يكن) إلى آخرها لا شتمالها على قوله تعالى (رسول من الله يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة) وهذا نظير تلاوته سورة الفتح حين أنزلت مرجعه من الحديبية على عمر بن الخطاب وذلك لما كان تقدم له من الأسئلة لرسول الله ﷺ ولأبي بكر الصديق ، وفيها قوله تعالى (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين)

وقال ابن جرير ثنا محمد بن مثنى ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد عن ابن أبي ليلى عن أبي بن كعب أن رسول الله كان عند إضاءة بني غفار فأتاه جبريل فقال إن الله يأمرك أن تقرىء أمتك القرآن على حرف قال « أسأل الله معافاته ومغفرته فان أمتي لا تطيق ذلك » قال ثم أتاه الثانية فقال إن الله يأمرك أن تقرىء أمتك القرآن على حرفين قال « أسأل الله معافاته ومغفرته إن أمتي لا تطيق ذلك » ثم جاءه الثالثة فقال إن الله يأمرك أن تقرىء أمتك القرآن على ثلاثة أحرف قال « أسأل الله معافاته ومغفرته إن أمتي لا تطيق ذلك » ثم جاءه الرابعة فقال إن الله يأمرك أن تقرىء أمتك القرآن على سبعة أحرف فأيما حرف قرءوا عليه فقد أصابوا وأخرجه مسلم وأبو داود والنسائي من رواية شعبة به

وفى لفظ لأبى داود عن أبى بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ « إنى أقرئت القرآن فقيل لى على حرف أو حرفين ؟ فقال الملك الذى معى قل على حرفين فقيل لى على حرفين أو ثلاثة ؟ فقال الملك الذى معى قل على ثلاثة حتى بلغ سبعة أحرف ثم قال ليس منها إلا شاف كاف إن قلت سميعا عليما عزيزاً حكيما مالم تختلط آية عذاب برحمة أو آية رحمة بعذاب » وقد روى ثابت بن قاسم نحواً من هذا عن أبى هريرة عن النبى ﷺ ومن كلام ابن مسعود نحو ذلك

وقال الإمام أحمد حدثنا حسين بن على الجعفى عن زائدة عن عاصم عن زر عن أبى قال لقى رسول الله ﷺ جبريل عند أحجار المرا فقال رسول الله ﷺ لجبريل « إنى بعثت إلى أمة أميين ، فيهم الشيخ العاسى والعجوز الكبيرة والغلام ، فقال مرهم فليقرءوا القرآن على سبعة أحرف » وأخرجه الترمذى من حديث عاصم بن أبى النجود عن زر عن حذيفة أن رسول الله ﷺ لقى جبريل عند أحجار المرا فذكر الحديث والله أعلم . وهكذا رواه الإمام أحمد عن خالد عن حماد عن عاصم عن زر عن حذيفة أن رسول الله ﷺ قال « لقيت جبريل عند أحجار المرا فقلت يا جبريل إنى أرسلت إلى أمة أمية ، الرجل والمرأة والغلام والجارية والشيخ العاسى الذى لم يقرأ كتابا قط، فقال إن القرآن أنزل على سبعة أحرف » وقال أحمد أيضا ثنا وكيع وعبد الرحمن عن سفيان عن إبراهيم بن مهاجر عن ربعى بن خراش ؛ قال حدثنى من لم يكذبنى ـ حذيفة ـ قال لقى النبى صلى الله عليه وسلم جبريل عند أحجار المرا فقال إن أمتك يقرءون القرآن على سبعة أحرف . فمن قرأ منهم فليقرأ كما علم ولا يرجع عنه . وقال عبد الرحمن إن من أمتك الضعيف فمن قرأ على حرف فلا يتحول عنه إلى غيره رغبة عنه . هذا إسناد صحيح ولم يخرجوه

﴿ حديث آخر ﴾ فى معناه عن سليمان بن صرد ، قال ابن جرير ثنا إسماعيل بن موسى السدى ثنا شريك عن أبى إسحاق عن سليمان بن صرد يرفعه قال « أتانى ملكان فقال أحدهما اقرأ ، قال على كم ؟ قال على حرف ، قال زده حتى انتهى إلى سبعة أحرف »

ورواه النسائى فى اليوم والليلة عن عبد الرحمن بن محمد بن سلام عن إسحاق الأزرق عن العوام بن حوشب عن أبى إسحاق عن سليمان بن صرد قال أتى أبىّ بن كعب رسول الله ﷺ برجلين اختلفا فى القراءة فذكر الحديث ، وهكذا رواه أحمد بن منيع عن يزيد بن هارون عن العوام عن أبى إسحاق عن سليمان بن صرد عن أبىّ أنه أتى النبى ﷺ برجلين فذكره

وقال ابن جرير ثنا أبو كريب ثنا يحيى بن آدم ثنا إسرائيل عن أبى إسحاق عن فلان العبدى ـ قال ابن جرير ذهب عنى اسمه ـ عن سليمان بن صرد عن أبىّ بن كعب ، قال رحت إلى المسجد فسمعت رجلا يقرأ ، فقلت من أقرأك ؟ قال رسول ﷺ فانطلقت به إلى رسول الله ﷺ فقلت استقرىء هذا ، قال فقرأ فقال « أحسنت » قال قلت إنك أقرأتنى كذا وكذا فقال « وأنت قد أحسنت قد أحسنت قد أحسنت » قال فضرب بيده على صدرى ثم قال « اللهم أذهب عن أبىّ الشك » قال ففضت عرقاً ، وامتلأ جوفى فرقاً ، قال : ثم قال « إن الملكين أتيانى ، فقال أحدهما اقرأ القرآن على حرف ، وقال الآخر زده ، قال قلت زدنى فقال اقرأه على حرفين حتى بلغ سبعة أحرف اقرأه على سبعة أحرف »

وقد رواه أبو عبيد عن حجاج عن إسرائيل عن أبى إسحاق عن ستير العبدى عن سليمان بن صرد ، عن أبى عن النبى ﷺ بنحو ذلك . ورواه أبو داود عن الوليد الطيالسى عن همام عن قتادة عن يحيى بن يعمر عن سليمان بن صرد عن أبىّ بن كعب بنحوه . فهذا الحديث محفوظ من حيث الجملة عن أبىّ بن كعب ، والظاهر أن سليمان بن صرد الخزاعى شاهد ذلك والله أعلم .

﴿ حديث آخر عن أبي بكرة ﴾ قال الإمام أحمد: ثنا عبد الرحمن بن مهدي عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه عن النبي ﷺ قال « أتاني جبريل وميكائيل عليهما السلام فقال جبريل اقرأ القرآن على حرف واحد فقال ميكائيل استزده قال اقرأ القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف مالم تختم آية رحمة بآية عذاب أو آية عذاب برحمة » وهكذا رواه ابن جرير عن أبي كريب عن زيد بن الحباب عن حماد بن سلمة به وزاد في آخره « كقولك هلم وتعال »

﴿ حديث آخر عن سمرة ﴾ قال الإمام أحمد ثنا بهز وعفان كلاهما عن حماد بن سلمة أنا قتادة عن الحسن عن سمرة أن رسول الله ﷺ قال « أنزل القرآن على سبعة أحرف » إسناد صحيح ولم يخرجوه

﴿ حديث آخر عن أبي هريرة ﴾ قال الإمام أحمد ثنا أنس بن عياض حدثني أبو حازم عن أبي سلمة لا أعلمه إلا عن أبي هريرة أن رسول ﷺ قال « نزل القرآن على سبعة أحرف ، مراء في القرآن كفر — ثلاث مرات — فما علمتم منه فاعملوا ، وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه » ورواه النسائي عن قتيبة عن أبي ضمرة أنس بن عياض به

﴿ حديث آخر عن أم أيوب ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا سفيان عن عبيد الله — هو ابن أبي يزيد — عن أبيه عن أم أيوب — يعني امرأة أبي أيوب — الأنصارية أن رسول الله ﷺ قال « أنزل القرآن على سبعة أحرف أيها قرأت أجزأك » وهذا إسناد صحيح ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة

﴿ حديث آخر عن أبي جهم ﴾ قال أبو عبيد : ثنا إسماعيل بن جعفر عن يزيد بن خصيفة عن مسلم بن سعيد مولى الحضرمي — وقال غيره عن بسر بن سعيد — عن أبي جهم الأنصاري أن رجلين اختلفا في آية من القرآن كلاهما يزعم أنه تلقاها من رسول الله ﷺ فمشيا جميعاً حتى أتيا رسول الله ﷺ فذكر أبو جهم أن رسول الله ﷺ قال « إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فلا تماروا فإن مراء فيه كفر » وهكذا رواه أبو عبيد على الشك ، وقد رواه الإمام أحمد على الصواب فقال حدثنا أبو سلمة الخزاعي ثنا سليمان بن بلال حدثني يزيد بن خصيفة أخبرني بسر بن سعيد حدثني أبو جهم أن رجلين اختلفا في آية من القرآن قال هذا تلقيتها من رسول الله ﷺ وقال هذا تلقيتها من رسول الله ﷺ فسألا النبي ﷺ فقال « القرآن يقرأ على سبعة أحرف فلا تماروا في القرآن ، فإن مراء في القرآن كفر » وهذا إسناد صحيح أيضاً ولم يخرجوه

ثم قال أبو عبيد : ثنا عبد الله بن صالح عن الليث عن يزيد بن الهاد عن محمد بن إبراهيم عن بسر بن سعيد عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص أن رجلا قرأ آية من القرآن فقال عمرو — يعني ابن العاص — إنما هي كذا وكذا بغير ما قرأ الرجل فقال الرجل هكذا أقرأنيها رسول الله ﷺ فخرجا إلى رسول الله ﷺ حتى أتياه فذكرا ذلك له فقال رسول الله ﷺ « إن هذا القرآن نزل على سبعة أحرف ، فأي ذلك قرأتم أصبتم ، فلا تماروا في القرآن فإن مراء فيه كفر » ورواه الإمام أحمد عن أبي سلمة الخزاعي عن عبد الله بن جعفر بن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة عن يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد عن بسر بن سعيد عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص به نحوه وفيه « فإن المراء فيه كفر إنه الكفر به » وهذا أيضاً جيد

﴿ حديث آخر عن ابن مسعود ﴾ قال ابن جرير ثنا يونس بن عبد الأعلى أنا ابن وهب أخبرني حيوة بن شريح عن عقيل بن خالد عن سلمة بن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبيه عن ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال « كان الكتاب الأول نزل من باب واحد وعلى حرف واحد ، ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف . زاجر وآمر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال ، فأحلوا حلاله وحرموا حرامه ، وافعلوا ما أمرتم به ، وانتهوا عما نهيتم عنه ، واعتبروا بأمثاله ، واعملوا بمحكمه ، وآمنوا بمتشابهه ، وقولوا آمنا به ، كل من عند ربنا » ثم رواه عن أبي كريب عن المحاربي عن ضمرة بن حبيب عن القاسم بن عبد الرحمن عن ابن مسعود من كلامه وهو أشبه والله أعلم

﴿ فصل ﴾ قال أبو عبيد قد تواترت هذه الأحاديث كلها على الأحرف السبعة إلا ما حدثني عفان عن حماد

ابن سلمة عن قتادة عن الحسن عن سمرة بن جندب عن النبي ﷺ قال « نزل القرآن على سبعة أحرف » قال أبو عبيد ولا نرى المحفوظ إلا السبعة لأنها المشهورة ، وليس معنى تلك السبعة أن يكون الحرف الواحد يقرأ على سبعة أوجه وهذا شيء غير موجود ، ولكنه عندنا أنه نزل سبع لغات متفرقة في جميع القرآن من لغات العرب فيكون الحرف الواحد منها بلغة قبيلة والثاني بلغة أخرى سوى الأولى والثالث بلغة أخرى سواهما كذلك إلى السبعة وبعض الأحياء أسعد بها وأكثر حظاً فيها من بعض وذلك بين في أحاديث تترى

قال وقد روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال : نزل القرآن على سبع لغات منها خمس بلغة العجز من هوازن ، قال أبو عبيد والعجز هم بنو أسعد بن بكر وخثيم بن بكر ونصر بن معاوية وثقيف وهم علياء هوازن الذين قال أبو عمرو بن العلاء أفصح العرب علياء هوازن وسفلى تميم يعني بني دارم ، ولهذا قال عمر : لا يملي في مصاحفنا إلا غلمان قريش أو ثقيف قال ابن جرير واللغتان الآخرتان قريش وخزاعة رواه قتادة عن ابن عباس ولكن لم يلقه

قال أبو عبيد ثنا هشيم عن حصين بن عبد الرحمن عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس أنه كان يسئل عن القرآن فينشد فيه الشعر قال أبو عبيد يعني انه كان يستشهد به على التفسير ، وحدثنا هشيم عن أبي بشر عن سعيد أو مجاهد عن ابن عباس في قوله (والليل وما وسق) قال وما جمع وأنشد

* قد اتسقن لو يجدن سائقا *

حدثنا هشيم أنا حصين عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى (فإذا هم بالساهرة) قال الأرض قال وقال ابن عباس قال أمية بن أبي الصلت : (١)

* عندهم لحم بحر ولحم ساهرة *

حدثنا يحيى بن سعيد عن سفيان عن إبراهيم بن مهاجر عن ابن عباس قال : كنت لا أدري ما فاطر السموات والأرض ؟ حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما أنا فطرتها ، أنا ابتدأتها ، إسناد جيد أيضا

وقال الامام أبو جعفر بن جرير الطبري رحمه الله بعد ما أورد طرفا مما تقدم : وصح وثبت ان الذي نزل به القرآن من ألسن العرب البعض منها دون الجمع إذ كان معلوما ان ألسنتها ولغاتها أكثر من سبع بما يعجز عن إحصائه . ثم قال وما برهانك على ما قلته دون ان يكون معناه ما قاله مخالفوك من انه نزل بأمر وزجر وترغيب وترهيب وقصص ومثل ، ونحو ذلك من الأقوال فقد علمت قائل ذلك عن سلف الأمة وخيار الأئمة ؟ قيل له إن الذين قالوا ذلك لم يدعوا ان تأويل الأخبار التي تقدم ذكرها هو ما زعمت انهم قالوه في الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن دون غيره فيكون ذلك لقولنا مخالفا ، وانما أخبروا أن القرآن نزل على سبعة أحرف يعنون بذلك أنه نزل على سبعة أوجه ، والذي قالوا من ذلك كما قالوا وقد روينا بمثل الذي قالوا من ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن جماعة من الصحابة من أنه نزل من سبعة أبواب الجنة كما تقدم . يعني كما تقدم في رواية أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود أن القرآن نزل من سبعة أبواب الجنة

قال ابن جرير : والأبواب السبعة من الجنة هي المعاني التي فيها من الأمر والنهي ، والترغيب والترهيب ، والقصص والمثل ، التي إذا عمل بها العامل وانتهى إلى حدودها المنتهى استوجب به الجنة . ثم بسط القول في هذا بما حاصله أن الشارع رخص للأمة التلاوة على سبعة أحرف .

ثم لما رأى الإمام أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه اختلاف الناس في القراءة ، وخاف من تفرق كلمتهم . جمعهم على حرف واحد وهو هذا المصحف الإمام . قال واستوسقت له الأمة على ذلك ؟ بل أطاعت ورأت أن فيما فعله الرشد والهداية ، وتركت القراءة بالأحرف الستة . التي عزم عليها إمامها العادل في تركها طاعة منها له ،

(١) الشاهد الذي هنا ليس مصراعا موزونا . وفي لسان العرب انه فسر الساهرة بالأرض وأنشد :

وفيها لحم ساهرة وبحر * وما فاهوا به أبداً مقيم

ونظراً منها لأنفسها ولمن بعدها من سائر أهل ملتها ، حتى درست من الأمة معرفتها ، وانعفت آثارها . فلا سبيل اليوم لأحد إلى القراءة بها ، لدثورها وعفو آثارها - إلى أن قال : فإن قال من ضعفت معرفته وكيف جازلهم ترك قراءة أقرأ هموها رسول الله ﷺ وأمرهم بقراءتها ؟ قيل إن أمره إياهم بذلك لم يكن أمر إيجاب وفرض ، وإنما كان أمر إباحة ورخصة ، لأن القراءة بها لوكانت فرضا عليهم لوجب أن يكون العمل[1] بكل حرف من تلك الأحرف السبعة عند من تقوم بنقله الحجة ، ويقطع خبره العذر ويزيل الشك من قراءة الأمة . وفى تركهم نقل ذلك كذلك أوضح الدليل على أنهم كانوا فى القراءة بها مخيرين - إلى أن قال - فأما ما كان من اختلاف القراءة فى رفع حرف ونصبه وجره ، وتسكين حرف وتحريكه ، ونقل حرف إلى آخر مع اتفاق الصورة ، فمن معنى قول النبي ﷺ « أمرت أن أقرأ القرآن على سبعة أحرف » بمعزل ، لأن المراء فى مثل هـذا ليس بكفر فى قول أحد من علماء الأمة . وقد أوجب ﷺ بالمراء فى الاحرف السبعة الكفر كما تقدم(٢)

﴿ الحديث الثانى ﴾

قال البخارى رحمه الله ثنا سعيد بن عفير ثنا الليث حدثنى عقيل عن ابن شهاب قال أخبرنى عروة بن الزبير أن المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن عبد القارىّ حدثاه أنهما سمعا عمر بن الخطاب يقول سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان فى حياة النبى ﷺ فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله ﷺ فكدت أساوره فى الصلاة ، فتصبرت حتى سلم فلببته بردائه فقلت من أقرأك هذه السورة التى سمعتك تقرأ ؟ قال أقرأنيها رسول الله ﷺ فقلت كذبت فان رسول الله ﷺ قد أقرأنيها على غير ما قرأت فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ فقلت إنى سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها ، فقال رسول الله ﷺ « اقرأ يا هشام » فقرأ عليه القراءة التى سمعته يقرأ فقال ﷺ « كذلك أنزلت » ثم قال « اقرأ يا عمر » فقرأت القراءة التى أقرأنى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كذلك أنزلت ، إن القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤا ما تيسر منه »

وقد رواه الإمام أحمد والبخارى أيضا ومسلم وأبو داود والنسائى والترمذى من طرق عن الزهرى ، ورواه الإمام أحمد أيضا عن ابن مهدى عن مالك عن الزهرى عن عروة عن عبد الرحمن بن عبد (القارى) عن عمر فذكر الحديث بنحوه

وقد قال الإمام أحمد ثنا عبد الصمد ثنا حرب بن ثابت ثنا إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة عن أبيه عن جده قال : قرأ رجل عند عمر فغير عليه ، فقال قرأت على رسول الله ﷺ فلم يغير على ، قال فاجتمعا عند النبى ﷺ فقرأ الرجل على النبى ﷺ فقال له « قد أحسنت » قال فكأن عمر وجد من ذلك ، فقال رسول الله ﷺ « يا عمر إن القرآن كله صواب مالم تجعل عذاب مغفرة ، ومغفرة عذاب »(٣) وهذا إسناد حسن . وحرب بن ثابت هذا يكنى بأبى ثابت لا نعرف أحدا جرحه

﴿ أقوال العلماء فى معنى السبعة الأحرف(٤) ﴾

وقد اختلف العلماء فى معنى هذه السبعة الأحرف وما أريد منها على أقوال ؟ قال أبو عبد الله محمد بن أبى بكر بن فرح الأنصارى القرطبى المالكى فى مقدمات تفسيره : وقد اختلف العلماء فى المراد بالأحرف السبعة على خمسة

---

(١) فى نسخة طبعة الخشاب لتفسيره : العلم (٢) اختصر هذا الجواب وأورده بالمعنى لا بلفظه .
(٣) كذا فى الأصل (٤) العنوان ليس من الأصل

وثلاثين قولا ذكرها أبو حاتم محمد بن حبان البستي ونحن نذكر منها خمسة أقوال ﴿قلت﴾ ثم سردها القرطبي وحاصلها ما أنا مورده ملخصا

﴿ فالأول ﴾ وهو قول أكثر أهل العلم منهم سفيان بن عيينة وعبدالله بن وهب وأبو جعفر محمد بن جرير والطحاوى أن المراد سبعة أوجه من المعانى المتقاربة بألفاظ مختلفة نحو أقبل وتعال وهلم . وقال الطحاوى وأبين ما ذكر فى ذلك حديث أبي بكرة قال جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ فقال :اقرأ على حرف ، فعال ميكائيل : استزده ، فقال اقرأ على حرفين ، فقال ميكائيل استزده . حتى بلغ سبعة أحرف فقال اقرأ فكل كاف شاف إلا أن تخلط آية رحمة بآية عذاب، أو آية عذاب بآية رحمة نحو هلم وتعال وأقبل واذهب وأسرع وعجل .

وروى ورقاء عن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس عن أبي بن كعب أنه كان يقرأ (يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم) : للذين آمنوا أمهلونا ، للذين آمنوا أخرونا ، للذين آمنوا ارقبونا ، وكان يقرأ (كلما أضاء لهم مشوا فيه) : مروا فيه ، سعوا فيه(١) قال الطحاوى وغيره وإنما كان ذلك رخصة أن يقرأ الناس القرآن على سبع لغات وذلك لما كان يتعسر على كثير من الناس التلاوة على لغة قريش وقراءة رسول الله ﷺ لعدم علمهم بالكتابة والضبط وإتقان الحفظ ، وقد ادعى الطحاوى والقاضى الباقلانى والشيخ أبو عمر بن عبد البر أن ذلك كان رخصة فى أول الأمر ثم نسخ بزوال العذر وتيسر الحفظ وكثرة الضبط وتعلم الكتابة .

﴿ قلت ﴾ وقال بعضهم إنما كان الذى جمعهم على قراءة واحدة أمير المؤمنين عثمان بن عفان أحد الخلفاء الراشدين المهديين المأمور باتباعهم . وإنما جمعهم عليها لما رأى من احتلافهم فى القراءة المفضية إلى تفرق الأمة وتكفير بعضهم بعضا . فرتب لهم المصاحف الأئمة على العرضة الأخيرة التى عارض بها جبريل رسول الله ﷺ فى آخر رمضان كان من عمره عليه السلام وعزم عليهم أن لايقرءوا بغيرها . وأن لا يتعاطوا الرخصة التى كانت لهم فيها سعة . ولكنها أدت إلى الفرقة والاختلاف كما ألزم عمر بن الخطاب الناس بالطلاق الثلاث المجموعة حتى تتابعوا فيها وأكثروا منها قال فلو أنا أمضيناه عليهم ، وأمضاه عليهم . وكذلك كان ينهى عن المتعة فى أشهر الحج لئلا تقطع زيارة البيت فى غير أشهر الحج . وقد كان أبو موسى يبيح التمتع فترك فتياه اتباعا لأمير المؤمنين ، وسمعا وطاعة للأئمة المهديين .

﴿ القول الثانى ﴾ أن القرآن نزل على سبعة أحرف ، وليس المراد أن جميعه يقرأ على سبعة أحرف ولكن وبعضه على حرف وبعضه على حرف آخر ، قال الخطابى وقد يقرأ بعضه بالسبع لغات كما فى قوله (وعبد الطاغوت) و (يرتع ويلعب) قال القرطبى ذهب إلى هذا القول أبو عبيد واختاره ابن عطية ، قال أبو عبيد : وبعض اللغات أسعد به من بعض ، وقال القاضى الباقلانى : ومعنى قول عثمان إنه نزل بلسان قريش أى معظمه ، ولم يقم دليل على أن جميعه بلغة قريش كله ، قال الله تعالى (قرآنا عربيا) ولم يقل قرشيا ، قال : واسم العرب يتناول جميع القبائل تناولا واحدا ، يعنى حجازها ويمنها ، وكذا قال الشيخ أبو عمر بن عبد البر ، قال لأن لغة غير قريش موجودة فى صحيح القراءات كتحقيق الهمزات فإن قريشا لا تهمز ،وقال ابن عطية :قال ابن عباس ما كنت أدرى معنى(فاطر السموات والأرض) حتى سمعت أعرابيا يقول لبئر ابتدأ حفرها : أنا فطرتها

﴿ القول الثالث ﴾ أن لغات القرآن السبع منحصرة فى مضر على اختلاف قبائلها خاصة لقول عثمان أن القرآن نزل بلغة قريش ، وقريش هم بنو النضر بن الحارث على الصحيح من أقوال أهل النسب ، كما ينطق به الحديث فى سنن ابن ماجه وغيره

---

(١) ويرى بعض العلماء أن بعضهم كان يقول مثل هذا تفسيراً فظنه بعض الرواة قرآنا .

﴿ القول الرابع ﴾ وحكاه الباقلانى عن بعض العلماء أن وجوه القراءات ترجع إلى سبعة أشياء . منها ما لا تتغير حركته ولا تتغير صورته ولا معناه ، مثل (ويضيق صدرى) ويضيق [1] ومنها مالا تتغير صورته ويختلف معناه ، مثل (فقالوا ربنا باعد - وباعد - (٢) بين أسفارنا) وقد يكون الاختلاف فى الصورة والمعنى بالحرف ، مثل ننشزها وننشرها (٣) أو بالكلمة مع بقاء المعنى مثل (كالعهن المنفوش - أو - كالصوف المنفوش (٤)) أو باختلاف الكلمة واختلاف المعانى ،مثل (وطلح منضود - وطلع منضود (٥)) أو بالتقدم والتأخر: مثل (وجاءت سكرة الموت بالحق - أو - سكرة الحق بالموت (٦)) أو بالزيادة،مثل (تسع وتسعون نعجة - أنثى (٧) - وأما الغلام فكان كافراً وكان أبواه مؤمنين - فإن الله من بعد إكراههن لهن غفور رحيم)

﴿ القول الخامس ﴾ أن المراد بالأحرف السبعة معانى القرآن ، وهى أمر ، ونهى ووعد ، ووعيد ، وقصص ، وجادلة ، وأمثال ، قال ابن عطية وهذا ضعيف ، لان هذه لاتسمى حروفا وأيضا فالإجماع أن التوسعة لم تقع فى تحليل حلال ، ولا فى تغيير شىء من المعانى ، وقد أورد القاضى الباقلانى فى هذا حديثا ، ثم قال : وليست هذه هى التى أجاز لهم القراءة بها

﴿ فصل ﴾

قال القرطبى : قال كثير من علمائنا كالمداوونى وابن أبى صفرة وغيرهما : هذه القراءات السبع ليست هى الأحرف السبعة التى اتسعت الصحابة فى القراءة بها وإنما هى راجعة إلى حرف واحد من السبعة وهو الذى جمع عليه عثمان للصحف ، ذكره ابن النحاس وغيره ، قال القرطبى وقد سوغ كل واحد من القراء السبعة قراءة الآخر وأجازها . وإنما اختار القراءة المنسوبة اليه لأنه رآها أحسن وأولى عنده ، قال وقد أجمع المسلمون فى هذه الأمصار على الاعتماد على ماصح عن هؤلاء الأئمة فيما رووه ورأوه من القراءات ، وكتبوا فى ذلك مصنفات ، واستمر الإجماع على الصواب ، وحصل ماوعد الله من حفظه الكتاب . قال البخارى رحمه الله :

﴿ تأليف القرآن ﴾ [8]

حدثنا إبراهيم بن موسى أنا هشام بن يوسف أن ابن جريج أخبرهم قال وأخبرنى (٩) يوسف بن ماهك قال إنى عند عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها إذ جاءها عراقى فقال: أى الكفن خير ؟ قالت: ويحك مايضرك ؟ قال يا أم المؤمنين أرينى مصحفك ، فقالت لم ؟ قال لعلى أؤلف القرآن عليه فانه يقرأ غير مؤلف ، قالت: وما يضرك أيه قرأت قبل ؟ إنما

(١) ويضيق بالرفع قراءة الجمهور وبالنصب قراءة يعقوب على أنه عطف على « يكذبون » قبله

(٢) باعد بصيغة الطلب والدعاء قراءة الجمهور ، وباعد بالفعل الماضى قراءة يعقوب وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وهشام (بعد) من التبعيد والكلمة فى المصحف بغير ألف فتحتمل القراءتين المشهورتين

(٣) الأولى بالزاى والثانية بالراء وهما قراءتان سبعيتان

(٤) العهن هو الصوف مطلقاً أو المصبوغ والقراءة به غير متواترة والأرجح فى مثلها أنها تفسير .

(٥) قراءة (طلع) بالعين شاذة لايثبت بها القرآن وتخالف رسم المصحف الإمام (٦) الثانية شاذة فهى كالتى قبلها

(٧) زيادة أنثى شاذة فهى تفسير لبيان الواقع فإن النعجة أنثى الضأن ويقال مثله فى المثلين بعده

(٨) حذف لفظ باب كعادته (٩) فى البخارى « وأخبرنى » قال الحافظ فى الفتح : كذا عندهم (أى رواة البخارى) وما عرفت ماذا عطف عليه ثم رأيت الواو ساقطة فى رواية النسفى وكذا ما وقفت عليه من طرق هذا الحديث اه يعنى أنها ذكرت عند سائر الرواة سهواً .

نزل أول مانزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار ، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ، ولو نزل أول شيء نزل :لاتشربوا الخمر لقالوا لاندع الخمر أبداً ، ولو نزل لاتزنوا لقالوا لاندع الزنا أبداً . لقد نزل بمكة على محمد ﷺ وإني لجارية ألعب (بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده قال فأخرجت له المصحف فأملت عليه آي السور

والمراد من التأليف ههنا (١) ترتيب سوره ، وهذا العراقي سأل أولا عن أي الكفن خير أو أفضل فأخبرته عائشة رضى الله عنها ان هذا مما لاينبغي أن يعتنى بالسؤال عنه ولا القصد له ولا الاستعداد ، فإن في هذا تكلفا لا طائل تحته ، وكانوا في ذلك الزمان يصفون أهل العراق بالتعنت في الأسئلة ، كما سأل بعضهم عبد الله بن عمر عن دم البعوض يصيب الثوب فقال ابن عمر انظروا إلى أهل العراق يسألون عن دم البعوض وقد قتلوا ابن بنت رسول الله ﷺ !! ولهذا لم تبالغ معه عائشة رضى الله عنها في الكلام لئلا يظن أن ذلك أمر مهم ، وإلا فقد روى أحمد وأهل السنن من حديث سمرة وابن عباس عن رسول الله ﷺ قال « البسوا من ثيابكم البياض وكفنوا فيها موتاكم فانها أطهر وأطيب » وصححه الترمذي من الوجهين ، وفي الصحيحين عن عائشة أنها قالت كفن رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب بيض سحولية ليس فيها قميص ولا عمامة ، وهذا محرر في باب الكفن من كتاب الجنائز . ثم سألها عن ترتيب القرآن ، فانتقل إلى سؤال كبير وأخبرها أنه يقرأ غير مؤلف أي مرتب السور ، وكان هذا قبل أن يبعث أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه إلى الآفاق بالمصاحف الأئمة المؤلفة على هذا الترتيب المشهور اليوم وقبل الإلزام به والله أعلم ، ولهذا أخبرته إنه لايضرك بأي سوره بدأت وإن أول سورة نزلت فيها ذكر الجنة والنار وهذه إن لم تكن (اقرأ) فقد يحتمل أنها أرادت اسم جنس لسور المفصل التي فيها الوعد والوعيد (٢) ثم لما انقاد الناس إلى التصديق أمروا ونهوا بالتدريج أولا فأولا ، وهذا من حكمة الله ورحمته ، ومعنى هذا الكلام ان هذه السورة أو السور التي فيها ذكر الجنة والنار ليست البداءة بها في أوائل المصاحف مع أنها من أول مانزلت ، وهذه البقرة والنساء من أوائل مافي المصحف وقد نزلت عليه في المدينة وأنا عنده

فأما ترتيب الآيات في السور فليس في ذلك رخصة بل هو أمر توقيفي عن رسول الله ﷺ كما تقدم تقرير ذلك ، ولهذا لم ترخص له في ذلك ، بل أخرجت له مصحفها فأملت عليه آي السور والله أعلم ، وقول عائشة لا يضرك بأي سورة بدأت يدل على أنه لو قدم بعض السور أو أخر (٣) كما دل عليه حديث حذيفة وهو في الصحيح أنه عليه السلام قرأ في قيام الليل البقرة ثم النساء ثم آل عمران

وقد حكى القرطبي عن أبي بكر بن الأنباري في كتاب الرد أنه قال : فمن أخر سورة مقدمة أو قدم أخرى مؤخرة كمن أفسد نظم الآيات ،وغير الحروف والآيات ،وكان مستنده اتباع مصحف عثمان رضى الله عنه فانه مرتب على هذا النحو المشهور

والظاهر أن ترتيب السور منه ماهو راجع إلى رأي عثمان رضى الله عنه وذلك ظاهر في سؤال ابن عباس له عن ترك البسملة في أول براءة وذكره الأنفال من الطول ، والحديث في الترمذي وغيره بإسناد جيد قوي (٤)

---

(١) هذا كلام المؤلف ابن كثير في بيان معنى رواية البخاري هذه

(٢) الأولى ان يكون مرادها سورة المدثر فانها أول سورة أنزلت بالأمر بالتبليغ وفيها ذكر الجنة والنار وإنما كان نزل قبلها خمس آيات من سورة العلق لا كلها وليس فيها أمر بالتبليغ

(٣) كذا في الأصل وقد سقط منه جواب لو والمراد أنه لو قدم أو أخر في الصلاة لا يكره

(٤) الصواب ما قدمنا في حاشية أخرى (ص١٨) من أنه لا يحتج به ولا سيما في مثل موضوعه وأن ترتيب السور توقيفي في المصحف ولكنه لا يجب في الصلاة

وقد ذكرنا عن علي أنه كان قد عزم على ترتيب القرآن بحسب نزوله (١) ولهذا حكى القاضي الباقلاني أن أول مصحفه كان (اقرأ باسم ربك الأكرم) وأول مصحف ابن مسعود (مالك يوم الدين) ثم البقرة ثم النساء على ترتيب مختلف ، وأول مصحف أبيّ (الحمد لله) ثم النساء ثم آل عمران ثم الأنعام ثم المائدة ثم كذا على اختلاف شديد (٢)

ثم قال القاضي ويحتمل أن ترتيب السور في المصحف على ما هو عليه اليوم من اجتهاد الصحابة رضي الله عنهم وكذا ذكر مكي في تفسير سورة براءة ، قال : فأما ترتيب الآيات والبسملة في الأوائل فهو من النبي ﷺ . وقال ابن وهب في طائفة : سمعت سليمان بن بلال يقول سئل ربيعة لم قدمت البقرة وآل عمران وقد نزل قبلهما بضع وثمانون سورة ؟ فقال قدمتا وألف القرآن على علم ممن ألفه ، وقد اجتمعوا على العلم بذلك فهذا ما ينتهي إليه ولا يسئل عنه ، قال ابن وهب وسمعت مالكا يقول إنما ألف القرآن على ما كانوا يسمعونه من النبي ﷺ قال أبو الحسن بن بطال إنا نجد تأليف سوره في الرسم والخط خاصة ولا نعلم أن أحداً قال إن ترتيب ذلك واجب في الصلاة وفي القرآن ودرسه وإنه لا يحل لأحد أن يتلقن الكهف قبل البقرة ولا الحج بعد الكهف ، ألا ترى إلى قول عائشة لا يضرك أيه قرأت قبل ؟ وقد كان النبي ﷺ يقرأ في الصلاة السورة في ركعة ثم يقرأ في الركعة الأخرى بغير السورة التي تليها ، قال : وأما ماروي عن ابن مسعود وابن عمر انهما كرها أن يقرأ القرآن منكوسا وقالا إنما ذلك منكوس القلب ، فإنما عنيا بذلك من يقرأ السورة منكوسة فيبتدىء بآخرها إلى أولها فان ذلك حرام محظور (٣)

﴿ ثم قال البخاري ﴾ : ثنا آدم عن شعبة عن أبي إسحاق قال سمعت عبد الرحمن بن يزيد قال سمعت ابن مسعود يقول في بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء إنهن من العتاق الأول وهن من تلادي .

انفرد بإخراجه البخاري ، والمراد منه ذكر ترتيب هذه السور في مصحف ابن مسعود كالمصاحف العثمانية ، وقوله من العتاق الأول أي من قديم ما نزل ، وقوله وهن من تلادي أي من قديم ما قنيت وحفظت ، والتالد في لغتهم قديم المال والمتاع ، والطارف حديثه وجديده ، والله أعلم

حدثنا أبو الوليد ثنا شعبة أنا أبو إسحق سمع البراء بن عازب رضي الله عنه يقول : تعلمت (سبح اسم ربك الأعلى) قبل أن يقدم النبي ﷺ وهذا متفق عليه وهو قطعة من حديث الهجرة . والمراد منه أن (سبح اسم ربك الأعلى) سورة مكية نزلت قبل الهجرة والله أعلم

﴿ ثم قال ﴾ ثنا عبدان عن أبي حمزة عن الأعمش عن شقيق قال : قال عبد الله : لقد علمت النظائر (٤) التي كان النبي ﷺ يقرؤهن اثنين اثنين في كل ركعة فقام عبد الله ودخل معه علقمة وخرج علقمة فسألناه فقال : عشرون سورة من أول المفصل على تأليف ابن مسعود ، آخرهن من الحواميم حم الدخان وعم يتساءلون (٥)

---

(١) إن صح هذا وما أراه يصح عنه فالمراد به ترتيب السور بعد تمام كل منها من مكي ومدني لا الآيات قبل اتمام سورها

(٢) المراد من قوليه في أول مصحف ابن مسعود وأبي واحد وهو سورة الفاتحة فذكر كل راو آية منها وإلا كان قولا باطلا بدليل الاجماع على أن الفاتحة هي التي ابتدؤا بها جميع المصاحف وهو المراد من اسمها ، وأما اختلافهم في ترتيب السور في مصاحفهم الشخصية فقد يكون بعض الروايات فيه من الدسائس ، وقد يكون سببه أن بعضهم يكمل عنده جمع سورة مما كانت متفرقة فيه من عظام الأكتاف واللخاف وغيرها قبل كمال سورة أخرى يعلم أنها نزلت قبلها فيقدمها كتقديم أبي لآل عمران المدنية بالاجماع على الأنعام المكيه بالاجماع

(٣) ومثله قراءة الختمة منكوسة وإنما تقرأ بترتيب المصحف لمن يريد قراءته كله ، وفرق بينه وبين قراءة بعضه في الصلاة أو للوعظ فانه يتخير فيه

(٤) وفي رواية لعلمت . والمراد بالنظائر السور المتشابهة في معانيها كالحواميم والمفصل

(٥) هذه رواية أبي ذر للصحيح وسقط من غيرها ذكر حم الدخان وعم يتساءلون

هذا التأليف الذى عن ابن مسعود غريب مخالف لتأليف عثمان رضى الله عنه ، فان المفصل فى مصحف عثمان رضى الله عنه من سورة الحجرات إلى آخره وسورة الدخان لا تدخل فيه بوجه ، والدليل على ذلك ما رواه الإمام أحمد ثنا عبد الرحمن بن مهدى ثنا عبد الله بن عبد الرحمن الطائفى عن عثمان بن عبد الله بن أوس الثقفى عن جده أوس بن حذيفة قال كنت فى الوفد الذين أتوا النبى ﷺ فذكر حديثا فيه أن النبى ﷺ كان معهم بعد العشاء فمكث عنا ليلة لم يأتنا حتى طال ذلك علينا بعد العشاء، قال: قلنا ما أمكثك عنا يا رسول الله ؟ قال « طرأ على حزب من القرآن فأردت أن لا أخرج حتى أقضيه » قال فسألنا أصحاب رسول الله ﷺ حين أصبحنا ، قال قلنا كيف تحزبون القرآن ؟ قالوا نحزبه ثلاث سور وخمس سور وسبع سور وتسع سور وإحدى عشرة سورة وثلاث عشرة سورة، وحزب المفصل من (ق) حتى يختم . ورواه أبو داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن عبد الرحمن بن يعلى الطائفى به وهذا إسناد حسن

﴿ فصل ﴾

فأما نقط المصحف وشكله فيقال إن أول من أمر به عبد الملك بن مروان فتصدى لذلك الحجاج وهو بواسط ، فأمر الحسن البصرى ويحيى بن يعمر ففعلا ذلك ، ويقال ان أول من نقط المصحف أبو الأسود الدؤلى، وذكروا أنه كان لمحمد ابن سيرين مصحف قد نقطه له يحيى بن يعمر والله أعلم

وأما كتابة الأعشار على الحواشى ، فينسب إلى الحجاج أيضا وقيل بل أول من فعله المأمون ، وحكى أبو عمرو الدانى عن ابن مسعود أنه كره التعشير فى المصحف وكان يحكه وكره مجاهد ذلك أيضا وقال مالك لا بأس به بالحبر . فأما بالالوان المصبغة فلا . وأكره تعداد آى السور فى أولها فى المصاحف الأمهات فأما ما يتعلم فيه الغلمان فلا أرى به بأسا (١) وقال قتادة : بدأوا فنقطوا ثم خمسوا ثم عشروا

وقال يحيى بن كثير أول ما أحدثوا النقط وقال هو نور له ثم أحدثوا النقط عند آخر الآى ثم أحدثوا الفواتح والخواتم ، ورأى إبراهيم النخعى فاتحة سورة كذا فأمر بمحوها وقال : قال ابن مسعود لا تخلطوا بكتاب الله ما ليس فيه. قال أبو عمرو :الدانى :ثم قد أطبق المسلمون فى ذلك فى سائر الآفاق على جواز ذلك فى الأمهات وغيرها .

﴿ معارضة جبريل النبى ﷺ القرآن (٢) ﴾

ثم قال البخارى رحمه الله : كان جبريل يعرض القرآن على النبى ﷺ ، قال مسروق عن فاطمة عن عائشة أسرّ إلىّ رسول الله ﷺ « إن جبريل كان يعارضنى بالقرآن كل سنة وإنه عارضنى العام مرتين ، ولا أراه إلا حضر أجلى » هكذا ذكره معلقا ، وقد أسنده فى مواضع أخر ، ثم قال ثنا يحيى بن قزعة ثنا إبراهيم بن سعد عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال : كان النبى ﷺ أجود الناس بالخير وأجود ما يكون فى رمضان، لأن جبريل كان يلقاه فى كل ليلة فى شهر رمضان حتى ينسلخ ، يعرض عليه رسول الله ﷺ القرآن فإذا لقيه جبريل كان أجود بالخير من الريح المرسلة . وهذا الحديث متفق عليه وقد تقدم الكلام عليه فى أول الصحيح وما فيه من الحكم والفوائد والله أعلم

ثم قال ثنا خالد بن يزيد ثنا أبو بكر عن أبى حصين عن أبى صالح عن أبى هريرة قال كان يعرض على النبى ﷺ القرآن كل عام مرة ، فعرض عليه مرتين فى العام الذى قبض فيه، وكان يعتكف كل عام عشرا فاعتكف عشرين فى العام الذى قبض

---

(١) ومثل هذا قوله بوجوب اتباع رسم الصحابة فى المصاحف التى تكتب للتلاوة وإباحة الرسم المستحدث فى مصاحف التعليم فقط لتسهيله . وغرضه أن مصاحف التلاوة يجب أن تكون كالمصحف الإمام الذى أجمع عليه الصحابة حفظا للأصل . وكلامه هنا يدل على أن التابعين ومن بعدهم أثبتوا عدد الآيات بالارقام فى مصاحفهم لأنها لا تقتضى اشتباها فى اللفظ ولا فى المعنى ، ووضعها فى كتب التفسير أولى لأنه يساعد على المراجعة والفهم

(٢) فى البخارى : باب كان جبريل الخ فترك المصنف كلمة باب كعادته

ورواه أبو داود والنسائى وابن ماجه من غير وجه عن أبى بكر - وهو ابن عياش - عن أبى حصين واسمه عثمان بن عاصم به ، والمراد من معارضته له بالقرآن كل سنة مقابلته على ما أوحاه إليه عن الله تعالى ليبقى ما بقى ويذهب ما نسخ توكيدا واستثباتا وحفظا . ولهذا عرضه فى السنة الأخيرة من عمره عليه السلام على جبريل مرتين وعارضه به جبريل كذلك ولهذا فهم عليه السلام اقتراب أجله

وعثمان رضى الله عنه جمع المصحف الإمام على العرضة الأخيرة رضى الله عنه وأرضاه وخص بذلك رمضان من بين الشهور لأن ابتداء الايحاء كان فيه . ولهذا يستحب دراسة القرآن وتكراره فيه ، ومن ثم كثر اجتهاد الأئمة فى تلاوة القرآن ، كما تقدم ذكرنا لذلك

﴿ القراء من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ﴾ (١)

حدثنا حفص بن عمر ثنا شعبة عن عمرو عن إبراهيم عن مسروق ذكر عبد الله بن عمرو عبد الله بن مسعود فقال لا أزال أحبه سمعت النبى ﷺ يقول « خذوا القرآن من أربعة : عبد الله بن مسعود وسالم ومعاذ بن جبل وأبى بن كعب رضى الله عنهم »

وقد أخرجه البخارى فى المناقب فى غير موضع ومسلم والنسائى من حديث الأعمش عن أبى وائل عن مسروق به . فهؤلاء أربعة : اثنان من المهاجرين الأولين : عبد الله بن مسعود وسالم مولى أبى حذيفة ، وقد كان سالم هذا من سادات المسلمين وكان يؤم الناس قبل مقدم النبى ﷺ المدينة ، واثنان من الأنصار معاذ بن جبل وأبى بن كعب وهما سيدان كبيران رضى الله عنهم أجمعين

ثم قال : حدثنا عمر بن حفص ثنا أبى ثنا الأعمش ثنا شقيق بن سلمة قال خطبنا عبد الله فقال : والله لقد أخذت من فى رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعا وسبعين سورة (٢) والله لقد علم أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم أنى من أعلمهم بكتاب الله وما أنا بخيرهم . قال شقيق فجلست فى الحلق أسمع ما يقولون فما سمعت رادا يقول غير ذلك .

حدثنا محمد بن كثير ثنا سفيان عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة قال كنا بحمص فقرأ ابن مسعود سورة يوسف فقال رجل ما هكذا أنزلت ، فقال قرأت على رسول الله ﷺ (٣) فقال « أحسنت » ووجد منه ريح الخمر فقال أتجترىء أن تكذب بكتاب الله وتشرب الخمر ؟ فجلده الحد .

حدثنا عمر بن حفص ثنا أبى ثنا الأعمش ثنا مسلم عن مسروق قال : قال عبد الله : والذى لا إله غيره ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين أنزلت ؟ ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيم أنزلت ؟ ولو أعلم أحدا أعلم منى بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه .

وهذا كله حق وصدق (٤) وهو من اخبار الرجل عما يعلم من نفسه مما قد يجهله غيره فيجوز ذلك للحاجة كما قال تعالى إخبارا عن يوسف لما قال لصاحب مصر (اجعلنى على خزائن الأرض إنى حفيظ عليم) ويكفيه مدحا وثناء قول رسول الله ﷺ « استقرئوا القرآن من أربعة » فبدأ به . وقال أبو عبيد ثنا مصعب بن المقدام عن سفيان عن

---

(١) الذى فى صحيح البخارى : باب القراء من أصحاب النبى ﷺ

(٢) قال الحافظ فى شرحه من الفتح : زاد عاصم عن بدر عن عبد الله . وأخذت بقية المصحف عن أصحابه

(٣) وفى رواية مسلم . والله لقد أقرأنيها رسول الله ﷺ ، وفيها فبينا أنا أكلمه إذ وجدت منه ريح الخمر الخ

(٤) قوله: وهذا الخ من كلام ابن كثير لا البخارى .

الأعمش عن إبراهيم عن عمر عن النبي ﷺ « من أحب أن يقرأ القرآن غضاً كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد » وهكذا رواه الإمام أحمد عن أبي معاوية عن الأعمش به مطولا وفيه قصة ، وأخرجه الترمذي والنسائي من حديث أبي معاوية به وصححه الدارقطني وقد ذكرته في مسند عمر ، وفي مسند الإمام أحمد أيضاً عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « من أحب أن يقرأ القرآن غضاً كما أنزل فليقرأ على قراءة ابن أم عبد » وابن أم عبد ، هو عبد الله بن مسعود كان يعرف بذلك .

ثم قال البخاري : ثنا حفص بن عمر ثنا همام ثنا قتادة قال سألت أنس بن مالك : من جمع القرآن على عهد النبي ﷺ ؟ قال أربعة كلهم من الأنصار : أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد ، ورواه مسلم من حديث همام . ثم قال البخاري تابعه الفضل عن حسين بن واقد عن ثمامة عن أنس بن مالك حدثنا معلى بن أسد ثنا عبد الله بن المثنى ثنا ثابت وثمامة عن أنس بن مالك قال : مات النبي ﷺ ولم يجمع القرآن غير أربعة أبو الدرداء ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد قال ونحن ورثناه

فهذا الحديث ظاهره أنه لم يجمع القرآن من الصحابة سوى هؤلاء الأربعة فقط وليس هذا هكذا بل الذي لا يشك فيه أنه جمعه غير واحد من المهاجرين أيضا ولعل مراده لم يجمع القرآن من الأنصار ولهذا ذكر الأربعة من الأنصار وهم أبي بن كعب في الرواية الأولى المتفق عليها وفي الثانية من أفراد البخاري أبو الدرداء ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد وكلهم مشهورون ، إلا أبا زيد هذا فانه غير معروف إلا في هذا الحديث وقد اختلف في اسمه فقال الواقدي واسمه قيس بن السكن بن قيس بن ذعورا بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار ، وقال ابن نمير اسمه سعد بن عبيد بن النعمان بن قيس بن عمرو بن زيد بن أمية من الأوس ، وقيل هما اثنان جمعا القرآن حكاه أبو عمر بن عبد البر وهذا بعيد ، وقول الواقدي أصح لأنه خزرجي لأن أنسا قال نحن ورثناه وهم من الخزرج وفي بعض الألفاظ : وكان أحد عمومتي ، وقال قتادة عن أنس قال : افتخر الحيان الأوس والخزرج فقالت الأوس منا غسيل الملائكة حنظلة بن أبي عامر ، ومنا الذي حمته الدبر عاصم بن ثابت ، ومنا الذي اهتز لموته العرش سعد بن معاذ ، ومنا من أجيزت شهادته بشهادة رجلين خزيمة بن ثابت ، فقالت الخزرج منا أربعة جمعوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد فهذا كله يدل على صحة قول الواقدي ، وقد شهد أبو زيد هذا بدراً فيما ذكره غير واحد ، وقال موسى بن عقبة عن الزهري : قتل أبو زيد قيس بن السكن يوم جسر أبي عبيد على رأس خمس عشرة سنة من الهجرة .

والدليل على أن من المهاجرين من جمع القرآن أن الصديق رضي الله عنه قدمه رسول الله ﷺ في مرضه إماما على المهاجرين والأنصار مع أنه قال « يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله » فلولا أنه كان أقرأهم لكتاب لما قدمه عليهم . هذا مضمون ما قرره الشيخ أبو الحسن علي ابن إسماعيل الأشعري ، وهذا التقرير لا يدفع ولا يشك فيه ، وقد جمع الحافظ ابن السمعاني في ذلك جزءاً ، وقد بسطت تقرير ذلك في مسند الشيخين رضي الله عنهما .

ومنهم عثمان بن عفان قد قرأه في ركعة كما سنذكره ، وعلي بن أبي طالب يقال إنه جمعه على ترتيب ما أنزل وقد قدمنا هذا .

ومنهم عبد الله بن مسعود وقد تقدم عنه أنه قال ما من آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت وفيم أنزلت ، ولو علمت أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلغه المطي لذهبت اليه

ومنهم سالم مولى أبي حذيفة كان من السادات النجباء ، والأئمة النقباء ، وقد قتل يوم اليمامة شهيداً .

ومنهم الحبر البحر عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ابن عم الرسول وترجمان القرآن ، قد تقدم عن مجاهد أنه قال عرضت القرآن على ابن عباس مرتين أقفه عند كل آية وأسأله عنها .

ومنهم عبدالله بن عمرو كما رواه النسائى وابن ماجه من حديث ابن جريج عن عبد الله بن أبى مليكة ، عن يحيى ابن حكيم بن صفوان ، عن عبد الله بن عمرو قال : جمعت القرآن فقرأت به كل ليلة فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: « اقرأه فى شهر » وذكر تمام الحديث (١) .

---

(١) الحصر المذكور خطأ قطعاً يجوز من أحد الرواة ولكنهم عنوا بالتماس وجه لصحته تبعا لصحة سنده وقد استوفى الحافظ ابن حجر فى الفتح ماقاله المحققون من الأجوبة عن قول أنس قال بعد إيراد الاحتمالات مانصه :

وقد أجاب القاضى أبو بكر الباقلانى وغيره عن حديث أنس هذا بأجوبة ﴿ أحدها ﴾ أنه لا مفهوم له فلا يلزم أن لا يكون غيرهم جمعه ﴿ ثانيها ﴾ المراد لم يجمعه على جميع الوجوه والقراءات التى نزل بها إلا أولئك ﴿ ثالثها ﴾ لم يجمع مانسخ منه بعد تلاوته ومالم ينسخ إلا أولئك وهو قريب من الثانى ﴿ رابعها ﴾ أن المراد بجمعه تلقيه من فى رسول الله ﷺ لا بواسطة بخلاف غيرهم فيحتمل أن يكون تلقى بعضه بالواسطة ﴿ خامسها ﴾ أنهم تصدوا لإلقائه وتعليمه فاشتهروا به وخفى حال غيرهم ممن عرف حالهم فحصر ذلك فيهم بحسب علمه وليس الأمر فى نفس الأمر كذلك أو يكون السبب فى خفائهم أنهم خافوا غائلة الرياء والعجب وأمن ذلك من أظهره ﴿ سادسها ﴾ المراد بالجمع الكتابة فلا ينفى أن يكون غيرهم جمعه حفظا عن ظهر قلب ، وأما هؤلاء فجمعوه كتابة وحفظوه عن ظهر قلب ﴿ سابعها ﴾ المراد أن أحداً لم يفصح بأنه جمعه بمعنى أكمل حفظه فى عهد رسول الله ﷺ إلا أولئك بخلاف غيرهم فلم يفصح بذلك لأن أحداً منهم لم يكمله إلا عند وفاة رسول الله ﷺ حين نزلت آخر آية منه فلعل هذه الآية الأخيرة وما أشبهها ماحضرها إلا أولئك الأربعة ممن جمع جميع القرآن قبلها ، وإن كان قد حضرها من لم يجمع غيرها الجمع البين ﴿ ثامنها ﴾ أن المراد بجمعه السمع والطاعة له والعمل بموجبه.

وقد أخرج أحمد فى الزهد من طريق أبى الزاهد به أن رجلا أتى أبا الدرداء فقال إن ابنى جمع القرآن فقال اللهم غفراً إنما جمع القرآن من سمع له وأطاع ، وفى غالب هذه الاحتمالات تكلف ولاسيما الأخير وقد أومأت قبل هذا إلى احتمال آخر وهو أن المراد إثبات ذلك للخزرج دون الأوس فقط فلا ينفى ذلك عن غير القبيلتين من المهاجرين ومن جاء بعدهم ، ويحتمل أن يقال إنما اقتصر عليهم أنس لتعلق غرضه بهم ولا يخفى بعده

والذى يظهر من كثير من الأحاديث أن أبا بكر كان يحفظ القرآن فى حياة رسول الله ﷺ فقد تقدم فى البعث أنه بنى مسجداً بفناء داره فكان يقرأ فيه القرآن وهو محمول على ما كان نزل منه إذ ذاك وهذا مما لا يرتاب فيه مع شدة حرص أبى بكر على تلقى القرآن من النبى ﷺ وفراغ باله له وهما بمكة وكثرة ملازمة كل منهما للآخر حتى قالت عائشة كما تقدم فى الهجرة إنه ﷺ كان يأتيهم بكرة وعشية ، وقد صح مسلم حديث يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله وتقدمت الإشارة اليه وتقدم أنه ﷺ أمر أبا بكر أن يؤم فى مكانه لما مرض فيدل على أنه كان أقرأهم وتقدم عن على أنه جمع القرآن على ترتيب النزول عقب موت النبى ﷺ

وأخرج النسائى باسناد صحيح عن عبد الله بن عمرو قال جمعت القرآن فقرأت به كل ليلة فبلغ النبى ﷺ فقال « اقرأه فى شهر » الحديث وأصله فى الصحيح وتقدم فى الحديث الذى مضى ذكر ابن مسعود وسالم مولى أبى حذيفة وكل هؤلاء من المهاجرين ، وقد ذكر أبو عبيد القراء من أصحاب النبى ﷺ فعد من المهاجرين الخلفاء الأربعة وطلحة وسعدا وابن مسعود وحذيفة وسالما وأبا هريرة وعبدالله بن السائب والعبادلة ، ومن النساء عائشة وحفصة وأم سلمة و لكن بعض هؤلاء إنما أكمله بعد النبى ﷺ فلا يرد على الحصر المذكور فى حديث أنس وعد ابن أبى داود فى كتاب الشريعة من المهاجرين أيضا تميم بن أوس الدارى وعقبة بن عامر ومن الأنصار عبادة بن الصامت ومعاذ الذى يكنى أبا حليمة ومجمع بن حارثة وفضالة بن عبيد ومسلمة بن مخلد وغيرهم وصرح بأن بعضهم إنما جمعه بعد النبى صلى الله عليه وسلم وممن جمعه أيضا أبو موسى الأشعرى ذكره أبو عمرو الدانى وعد بعض المتأخرين من القراء عمرو بن العاص وسعد بن عباد وأم ورقة اهـ .

ثم قال البخارى حدثنا صدقة بن الفضل ، أنا يحيى عن سفيان عن حبيب بن أبى ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال عمر : على أقضانا ، وأبىّ أقرؤنا ، وإنا لندع من لحن أبىّ . وأبى يقول أخذته من فى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا أتركه لشىء ، قال الله تعالى (ماننسخ من آية أوننسها نأت بخير منها أومثلها) وهذا يدل على ان الرجل الكبير قد يقول الشىء يظنه صوابا وهو خطأ فى نفس الأمر ولهذا قال الإمام مالك : مامن أحد إلا يؤخذ من قوله ويرد إلا قول صاحب هذا القبر . أى فكله مقبول صلوات الله وسلامه عليه . ثم ذكر البخارى فضل فاتحة الكتاب وغيرها وذكرنا فى تفسيرها فضل كل سورة عندها ليكون ذلك أنسب . ثم قال

﴿ نزول السكينة والملائكة عند القراءة ﴾ (١)

وقال الليث حدثنى زيد بن الهاد عن محمد بن إبراهيم عن أسيد بن الحضير قال : بينا هو يقرأ من الليل سورة البقرة وفرسه مربوطة عنده إذ جالت الفرس فسكت فسكنت ، فقرأ فجالت الفرس فسكت فسكنت ، ثم قرأ فجالت الفرس فانصرف وكان ابنه يحيى قريبا منها فأشفق أن يصيبه ، فلما اجتره (٢) رفع رأسه إلى السماء حتى ماير اها (٣) فلما أصبح حدث النبى ﷺ فقال « اقرأ يا ابن حضير ، اقرأ يا ابن حضير » قال فأشفقت ان تطأ يحيى وكان منها قريبا فرفعت رأسى وانصرفت اليه فرفعت رأسى إلى السماء فاذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح فخرجت حتى لاأراها ، قال « وتدرى ماذاك ؟ » قال لا ، قال « تلك الملائكة دنت لصوتك ، لوقرأت لأصبحت ينظر الناس اليها لا تتوارى منهم » قال ابن الهاد وحدثنى هذا الحديث عبدالله بن خباب عن أبى سعيد الخدرى عن أسيد بن الحضير (٤)

هكذا أورد البخارى هذا الحديث معلقا وفيه انقطاع فى الرواية الأولى فان محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى المدنى تابعى صغير لم يدرك أسيدا لأنه مات سنة عشرين وصلى عليه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ، ثم فيه غرابة من حيث إنه قال : وقال الليث حدثنى يزيد بن الهاد ، ولم أره بسند متصل عن الليث بذلك إلا ماذكره الحافظ أبو القاسم بن عساكر فى الأطراف أن يحيى بن عبدالله بن بكير رواه عن الليث كذلك

وقد رواه الإمام أبو عبيد فى فضائل القرآن فقال : وحدثنا عبد الله بن صالح ويحيى بن بكير عن الليث عن يزيد ابن عبدالله بن أسامة بن الهاد عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى عن أسيد بن حضير فذكر الحديث إلى آخره ، ثم قال : قال ابن الهاد وحدثنى عبد الله بن خباب عن أبى سعيد عن أسيد بن حضير بهذا

وقد رواه النسائى فى فضائل القرآن عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم عن شعيب بن الليث وعن على بن محمد بن على عن داود بن منصور كلاهما عن الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبى هلال عن يزيد بن عبد الله — وهو ابن الهاد — عن عبد الله بن خباب عن أبى سعيد عن أسيد به ورواه يحيى بن بكير عن الليث كذلك أيضا فجمع بين الإسنادين ، ورواه فى المناقب عن أحمد بن سعيد الرباطى عن يعقوب بن إبراهيم عن أبيه عن يزيد بن الهاد عن عبد الله بن خباب عن أبى سعيد أن أسيد بن حضير بينما هو ليلة يقرأ فى مربده الحديث ولم يقل عن أسيد ولكن ظاهره أنه عنه والله أعلم

وقال أبو عبيد حدثنى عبد الله بن صالح عن الليث عن ابن شهاب عن ابن كعب بن مالك عن أسيد بن حضير أنه كان يقرأ على ظهر بيته ، يقرأ القرآن وهو حسن الصوت . ثم ذكر مثل هذا الحديث أو نحوه

---

(١) فى البخارى باب نزول الخ

(٢) أى فلما جر أسيد ابنه يحيى من ذلك المكان وفى رواية أخره

(٣) ذكر الحافظ أن فيه اختصارا أصله كما رواه أبو عبيد . رفع رأسه إلى السماء فإذا هو بمثل الظلة فيها أمثال المصابيح عرجت إلى السماء حتى ما يراها اه وفى صحيح البخارى أشباه لهذا الحذف سببه أن بعض الرواة يختصر الرواية للعلم بما يتركه منها فيقتصر البخارى على لفظه وإن لم يفهمه من لم يعرف أصله كاملا وفى بقية هذه الرواية هنا مثل المحذوف منها

(٤) جاء فى نسخة هذا الكتاب اسم حضير فى أول هذا الحديث وآخره محلى بالألف واللام خلافا لما فى نسخ البخارى

وحدثنا قتيبة عن حماد بن سلمة عن ثابت البنانى عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن أسيد بن حضير قال : قلت يارسول الله بينا أنا اقرأ البارحة بسورة فلما انتهيت إلى آخرها سمعت وجبة من خلفى حتى ظننت أن فرسى تطلق فقال رسول الله « اقرأ أبا عتيك » مرتين قال فالتفت فرأيت إلى أمثال المصابيح ما بين السماء والأرض فقال رسول الله «اقرأ أبا عتيك » فقال والله ما استطعت أن أمضى فقال «تلك الملائكة تنزلت لقراءة القرآن ، أما إنك لو مضيت لرأيت الأعاجيب »

وقال أبو داود الطيالسى: ثنا شعبة عن أبى إسحق سمع البراء يقول : بينا رجل يقرأ سورة الكهف ليلة رأى دابته تركض ـ أو قال فرسه يركض ـ فنظر فإذا مثل الصابة أو مثل الغمامة ، فذكر ذلك لرسول الله فقال « تلك السكينة تنزلت للقرآن ـ أو تنزلت على القرآن ـ » وقد أخرجه صاحبا الصحيح من حديث شعبة

والظاهر أن هذا هو أسيد بن الحضير رضى الله عنه فهذا مما يتعلق بصناعة الإسناد وهذا من أغرب تعليقات البخارى رحمه الله ، ثم سياقه ظاهر فيما ترجم عليه من نزول السكينة والملائكة عند القراءة ، وقد اتفق نحو هذا الذى وقع لأسيد بن الحضير لثابت بن قيس بن شماس كما قال أبو عبيد ثنا عباد بن عباد عن جرير بن حازم عن عمه جرير بن يزيد أن أشياخ أهل المدينة حدثوه أن رسول الله قيل له ألم تر ثابت بن قيس بن شماس ؟ لم تزل داره البارحة تزهر مصابيح قال « فلعله قرأ سورة البقرة » قال فسئل ثابت . فقال قرأت سورة البقرة

وفى الحديث المشهور الصحيح « ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا تنزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده » رواه مسلم عن أبى هريرة ولهذا قال الله تعالى (وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا) جاء فى بعض التفاسير أن الملائكة تشهده

وقد جاء فى الصحيحين عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون فى صلاة الصبح وصلاة العصر فيعرج إليه الذين نزلوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بكم كيف تركتم عبادى ؟ فيقولون أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون »

(من قال لم يترك النبى ﷺ إلا ما بين الدفتين [1])

حدثنا قتيبة بن سعيد ثنا سفيان عن عبد العزيز بن رفيع قال دخلت أنا وشداد بن معقل على ابن عباس فقال له شداد بن معقل أترك النبى ﷺ من شىء ؟ قال ما ترك إلا ما بين الدفتين . قال ودخلنا على محمد بن الحنفية فسألناه فقال ما ترك إلا ما بين الدفتين

تفرد به البخارى ومعناه أنه عليه السلام ماترك مالا ولا شيئا يورث عنه كما قال عمرو بن الحارث أخو جويرية ماترك رسول الله ﷺ دينارا ولا درهما ولا عبدا ولا أمة ولا شيئا

وفى حديث أبى الدرداء « إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهما إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذه بحظ وافر » ولهذا قال ابن عباس وإنما ترك ما بين الدفتين يعنى القرآن ، والسنة مفسرة له ومبينة وموضحة أى تابعة له والمقصود الأعظم كتاب الله تعالى كما قال تعالى (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا) الآية

فالأنبياء عليهم السلام لم يخلقوا للدنيا يجمعونها ويورثونها وإنما خلقوا للآخرة يدعون إليها ويرغبون فيها ، ولهذا قال رسول الله ﷺ « ما تركنا فهو صدقة » وكان أول من أظهر هذه المحاسن من هذا الوجه أبو بكر الصديق رضى الله عنه لما سئل ميراث رسول الله ﷺ فأخبر عنه بذلك ووافقه على نقله عنه عليه السلام غير واحد من الصحابة منهم عمر وعثمان وعلى والعباس وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وأبو هريرة وعائشة وغيرهم وهذا ابن عباس يقوله أيضا عنه عليه السلام رضى الله عنهم أجمعين

---

(١) فى صحيح البخارى زيادة باب كما تقدم فى نظائره . والدفتان بالتشديد اللوحان والمراد ما بين جانبى المصحف

﴿ فضل القرآن على سائر الكلام[1] ﴾

حدثنا هدبة بن خالد أبو خالد ثنا همام ثنا أنس بن مالك عن أبي موسى رضي الله عنهما عن النبي ﷺ «مثل الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة طعمها طيب وريحها طيب، والذي لا يقرأ القرآن كالتمرة طعمها طيب ولا ريح لها. ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها» وهكذا رواه في مواضع أخر مع بقية الجماعة من طرق عن قتادة به، ووجه مناسبة الباب لهذا الحديث أن طيب الرائحة دار مع القرآن وجوداً وعدما فدل على شرفه على ما سواه من الكلام الصادر من البر والفاجر

﴿ ثم قال ﴾ ثنا مسدد ثنا يحيى عن سفيان حدثني عبد الله بن دينار قال سمعت ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال «إنما أجلكم في أجل من خلا من الأمم كما بين صلاة العصر ومغرب الشمس، ومثلكم ومثل اليهود والنصارى كمثل رجل استعمل عمالا فقال من يعمل لي إلى نصف النهار على قيراط؟ فعملت اليهود، فقال من يعمل لي من نصف النهار إلى العصر؟ فعملت النصارى، ثم أنتم تعملون من العصر إلى المغرب بقيراطين قيراطين، قالوا نحن أكثر عملا وأقل عطاء، قال هل ظلمتكم من حقكم شيئا؟ قالوا لا، قال فذاك فضلي أوتيه من شئت»

تفرد به من هذا الوجه ومناسبته للترجمة أن هذه الأمة مع قصر مدتها فضلت الأمم الماضية مع طول مدتها كما قال تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس)

وفي المسند والسنن عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ «أنتم توفون سبعين أمة، أنتم خيرها وأكرمها على الله»

وإنما فازوا بهذا ببركة الكتاب العظيم القرآن الذي شرفه الله على كل كتاب أنزله وجعله مهيمنا عليه وناسخاً له وخاتما له، لأن كل الكتب المتقدمة نزلت إلى الأرض جملة واحدة وهذا القرآن نزل منجما بحسب الوقائع لشدة الاعتناء به وبمن أنزل عليه فكل مرة كنزول كتاب من الكتب المتقدمة[2]

وأعظم الأمم المتقدمة هم اليهود والنصارى فاليهود استعملهم الله من لدن موسى إلى زمان عيسى، والنصارى من ثم إلى أن بعث محمداً ﷺ ثم استعمل أمته إلى قيام الساعة وهو المشبه بآخر النهار، وأعطى المتقدمين قيراطا قيراطا، وأعطى هؤلاء قيراطين قيراطين ضعفي ما أعطي أولئك فقالوا أي ربنا مالنا أكثر عملا وأقل أجراً؟ فقال هل ظلمتكم من أجركم شيئاً؟ قالوا لا قال فذاك فضلي ـ أي الزائد على ما أعطيتكم أوتيه من أشاء، كما قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم * لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم)

---

(١) في أصل صحيح البخاري زيادة باب كما تقدم في أمثاله وإنما نعيد ذكره لتنبيه الجمهور إلى النقل عن البخاري.

(٢) هذا التعليل لتفضيل القرآن عليها غير ظاهر بل فضله عليها ذاتي له بلفظه وأسلوبه ومعانيه وقد كان بهما معجزاً للخلق ومكملا للدين الالهي فيهم وبغير ذلك من خصائصه. وأهل الكتاب لا يسلمون أن التوراة نزلت على موسى جملة واحدة وإنما تلك الوصايا التي كتبها الله له في الألواح، وأما سائر خطابه له بشأن التبليغ لفرعون وقومه ولبني إسرائيل فكان تدريجياً

﴿ الوصاة بكتاب الله[1] ﴾

حدثنا محمد بن يوسف ثنا مالك بن مغول ثنا طلحة هو ابن مصرف سألت عبد الله بن أبي أوفى : أوصى النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال لا قال قلت فكيف كتب على الناس الوصية أمروا بها ولم يوص ؟ قال أوصى بكتاب الله عزوجل .

وقد رواه فى مواضع أخر مع بقية الجماعة إلا أباداود من طرق عن مالك بن مغول به ، وهذا نظير ماتقدم عن ابن عباس أنه ماترك إلا مابين الدفتين . وذلك ان الناس كتب عليهم الوصية فى أموالهم كما قال تعالى (كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين) وأما هو ﷺ فلم يترك شيئا يورث عنه ، وأما ترك ماله صدقة جارية من بعده فلم يحتج إلى وصية فى ذلك ، ولم يوص إلى خليفة يكون بعده على التنصيص لأن الأمر كان ظاهراً من إشاراته وإيما آته إلى الصديق ولهذا لما هم بالوصية إلى أبى بكر ثم عدل عن ذلك قال « يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر » وكان كذلك وإنما أوصى الناس باتباع كلام الله [2]

﴿ من لم يتغن بالقرآن ﴾[3]

وقول الله تعالى (أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم)

حدثنا يحيى بن بكير ثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب ، قال أخبرنى أبوسلمة بن عبد الرحمن عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه كان يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لم يأذن الله لشىء ما أذن لنبى يتغنى بالقرآن » وقال صاحب له يريد يجهر به فرد من هـذا الوجه ، ثم رواه عن على بن عبد الله بن المدينى عن سفيان بن عيينة عن الزهرى به قال سفيان : تفسيره يستغنى به

وقد أخرجه مسلم والنسائى من حديث سفيان بن عيينة به ، ومعناه ان الله تعالى ما استمع لشىء كاستماعه لقراءة نبى يجهر بقراءته ويحسنها وذلك انه يجتمع فى قراءة الأنبياء طيب الصوت لكمال خلقهم وتمام الخشية وذلك هو الغاية فى ذلك ، وهو سبحانه وتعالى يسمع أصوات العباد كلهم برهم وفاجرهم كما قالت عائشة رضى الله عنها : سبحان الذى وسع سمعه الأصوات . ولكن استماعه لقراءة عباده المؤمنين أعظم كما قال تعالى (وما تكون فى شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه) الآية ، ثم استماعه لقراءة أنبيائه أبلغ كما دل عليه هذا الحديث العظيم [4] ومنهم من فسر الاذن ههنا بالأمر والأول أولى لقوله « ما أذن الله لشىء ، ما أذن لنبى يتغنى بالقرآن » أى يجهر به والأذن الاستماع لدلالة السياق عليه وكما قال تعالى (إذا السماء انشقت * وأذنت لربها وحقت * وإذا الأرض مدت * وألقت مافيها وتخلت * وأذنت لربها وحقت) أى استمعت لربها وحقت أى وحق لها أن تستمع أمره وتطيعه ، فالأذن ههنا هو الاستماع . ولهذا جاء فى حديث رواه ابن ماجه بسند جيد عن فضالة بن عبيد قال : قال رسول الله ﷺ « لله أشد أذنا إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته »

وقول سفيان بن عيينة إن المراد بالتغنى يستغنى به ، فان أراد انه يستغنى به عن الدنيا وهو الظاهر من كلامه الذى

---

(١) أى باب الوصاة وفى نسخة من البخارى الوصية

(٢) وأوصى ﷺ أيضا بالنساء وبالرقيق وباخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب وأن لايبقى فيها دينان

(٣) حذف منه كلمة باب (٤) المراد بالأذن أى السمع فى الحديث سماع الرضاء والقبول ومثله فى ذكر الاعتدال من الركوع [سمع الله لمن حمده] وفعله من باب تعب وفرح

تابعه عليه أبوعبيد القاسم بن سلام وغيره ، فخلاف الظاهر من مراد الحديث لأنه قد فسره بعض رواته بالجهر وهو تحسين القراءة والتحزين بها قال حرملة سمعت ابن عيينة يقول معناه يستغنى به فقال لى الشافعى ليس هو هكذا ولو كان هكذا لكان يتغانى ، إنما هو يتحزن ويترنم به . قال حرملة وسمعت ابن وهب يقول يترنم به ، وهكذا نقل المزنى والربيع عن الشافعى رحمه الله

وعلى هذا فتصدير البخارى الباب بقوله تعالى (أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون) فيه نظر لان هذه الآية الكريمة ذكرت رداً على الذين سألوا آيات تدل على صدقه حيث قال (ويقولون لولا أنزل عليه آيات من ربه فقل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين * أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم) الآية ، ومعنى ذلك أولم يكفهم آية دالة على صدقك انزالنا القرآن عليك وأنت رجل أمى ؟ (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون) أى وقد جئت فيه بخبر الأولين والآخرين فأين هذا من التغنى بالقرآن وهو تحسين الصوت به أو الاستغناء به عما عداه من أمور الدنيا ؟ فعلى كل تقدير تصدير الباب بهذه الآية فيه نظر (١)

﴿ فصل ﴾

﴿ فى إيراد أحاديث فى معنى الباب وذكر أحكام التلاوة بالأصوات ﴾

قال أبوعبيد حدثنا عبدالله بن صالح عن قباث بن رزين عن على بن رباح اللخمى عن عقبة بن عامر قال : خرج علينا رسول الله ﷺ يوما ونحن فى المسجد نتدارس القرآن قال « تعلموا كتاب الله واقتنوه — قال وحسبت أنه قال وتغنوا به — فوالذى نفسى بيده لهو أشد تفلتا من المخاض من العقل »

وحدثنا عبد الله بن صالح عن موسى بن على عن أبيه عن عقبة عن رسول الله ﷺ مثل ذلك إلا أنه قال «واقتنوه وتغنوا به » ولم يشك . وهكذا رواه النسائى فى كتاب فضائل القرآن من حديث موسى بن على عن أبيه به ، ومن حديث عبدالله ابن المبارك عن قباث بن رزين عن على بن رباح عن عقبة ، وفى بعض ألفاظه خرج علينا ونحن نقرأ القرآن فسلم علينا وذكر الحديث ففيه دلالة على السلام على القارئ

وقال أبوعبيد ثنا أبواليمان عن أبى بكر بن عبدالله بن أبى مريم عن المهاجر بن حبيب قال : قال رسول الله ﷺ « يا أهل القرآن لاتوسدوا القرآن واتلوه حق تلاوته آناء الليل والنهار وتغنوه وتقنوه واذكروا مافيه لعلكم تفلحون » وهذا مرسل ، ثم قال أبوعبيد : قوله « تغنوه » أى اجعلوه غناءكم من الفقر ولا تعدوا الاقلال معه فقراً : وقوله « وتقنوه » يقول اقتنوه كما تقتنوا الأموال اجعلوه مالكم

وقال أبو عبيد حدثنى هشام بن عمار عن على بن حمزة عن الأوزاعى قال حدثنى إسماعيل بن عبيدالله بن أبى المهاجر عن فضالة بن عبيد عن النبى ﷺ قال « الله أشد أذنا إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته » قال أبو عبيد هذا الحديث بعضهم يزيد فى إسناده يقول عن إسماعيل بن عبيد الله عن مولى فضالة عن فضالة . وهكذا رواه ابن ماجه عن راشد بن سعيد بن أبى راشد عن الوليد عن الأوزاعى عن إسماعيل بن عبيد الله عن ميسرة مولى فضالة عن فضالة عن النبى ﷺ « لله أشد أذنا إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته » قال أبوعبيد يعنى الاستماع ، وقوله فى الحديث الآخر « ما أذن الله لشىء » أى ما استمع

وقال أبوالقاسم البغوى حدثنا محمد بن حميد ثنا سلمة بن الفضل ثنا عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى مليكة حدثنا

---

(١) لتصدير الباب بالآية على التقدير الثانى وجه ظاهر اعتمد عليه شراح البخارى وهو الاستغناء بالقرآن عن غيره باطلاق يدخل فيه كل ماينا سبه ، وذكروا من أسباب نزول الآية ما أخرجه الطبرى من مجىء ناس من المسلمين بكتب قد كتبوا فيها بعض ما سمعوا من أهل الكتاب فقال النبى صلى الله عليه وسلم « كفى بقوم ضلالة أن يرغبوا عما جاء به نبيهم إلى ماجاء به غيره إلى غيرهم » فنزلت الآية

القاسم بن محمد حدثنى السائب قال : قال لى سعد يا ابن أخى هل قرأت القرآن ؟ قلت نعم ، قال غن به فانى سمعت رسول الله ﷺ يقول « غنوا بالقرآن ، ليس منا من لم يغن بالقرآن ، وابكوا فان لم تقدروا على البكاء فتباكوا »

وقد روى أبوداود من حديث الليث عن عبد الله بن أبي مليكة عن عبدالله بن أبي نهيك عن سعد بن أبي وقاص قال : قال رسول الله ﷺ « إن هذا القرآن نزل بحزن فاذا قرأتموه فابكوا فان لم تبكوا فتباكوا ، وتغنوا به فمن لم يتغن به فليس منا » وفى هذا الحديث كلام طويل يتعلق بسنده ليس هذا موضعه والله أعلم

وقال أبوداود ثنا عبد الأعلى بن حماد ثنا عبد الجبار بن الورد قال سمعت ابن أبي مليكة يقول قال عبيد الله بن أبي زيد : مر بنا أبو لبابة فاتبعناه حتى دخل بيته فدخلنا عليه فاذا رجل رث البيت رث الهيئة فانتسبناله فقال : تجار كسبة فسمعته يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول « ليس منا من لم يتغن بالقرآن » قال فقلت لابن أبي مليكة يا أبا محمد أرأيت إذا لم يكن حسن الصوت، قال يحسنه ما استطاع . تفرد به أبوداود ، فقد فهم من هذا أن السلف رضى الله عنهم إنما فهموا من التغنى بالقرآن إنما هو تحسين الصوت به وتحزينه كما قاله الأئمة رحمهم الله

ويدل على ذلك أيضا ما رواه أبوداود حيث قال ثنا عثمان بن أبي شيبة ثنا جرير عن الأعمش عن طلحة عن عبدالرحمن ابن عوسجة عن البراء بن عازب قال : قال رسول الله ﷺ « زينوا القرآن بأصواتكم » وأخرجه النسائى وابن ماجه من حديث شعبة عن طلحة وهذا إسناد جيد . وقد وثق النسائى وابن حبان عبدالرحمن بن عوسجة هذا . ونقل الأزدى عن يحيى بن سعيد القطان أنه قال سألت عنه بالمدينة فلم أرهم يحمدونه

وقال أبوعبيد القاسم بن سلام حدثنا يحيى بن سعيد عن شعبة قال: نهانى أيوب أن أحدث بهذا الحديث « زينوا القرآن بأصواتكم » قال أبوعبيد وإنما كره أيوب فيما نرى أن يتأول الناس بهذا الحديث الرخصة من رسول الله ﷺ فى الألحان المبتدعة ، فلهذا نهاه أن يحدث به ﴿ قلت ﴾ ثم ان شعبة رحمه الله ، روى الحديث متوكلا على الله كما روى له ، ولو ترك كل حديث يتأوله مبطل لترك من السنة شىء كثير بل قد تطرقوا إلى تأويل آيات كثيرة من القرآن وحملوها على غير محاملها الشرعية المرادة وبالله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله

والمراد من تحسين الصوت بالقرآن تطريبه وتحزينه والتخشع به كما رواه الحافظ الكبير تقى بن مخلد رحمه الله حيث قال : ثنا أحمد بن إبراهيم عن أبى موسى عن أبيه قال: قال لى رسول الله ﷺ ذات يوم « يا أبا موسى لو رأيتنى وأنا أستمع قراءتك البارحة » قلت أما والله لو علمت أنك تسمع قراءتى لحبرتها لك تحبيرا .

ورواه مسلم من حديث طلحة به . وزاد « لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود » وسيأتى هذا فى بابه حيث يذكره البخارى . والغرض أن أبا موسى قال: لو أعلم أنك تسمعه لحبرته لك تحبيرا ، فدل على جواز تعاطى ذلك وتكلفة وقد كان أبو موسى كما قال عليه السلام قد أعطى صوتا حسنا كما سأذكره إن شاء الله مع خشية تامة ورقة أهل اليمن ، فدل على أن هذا من الأمور الشرعية .

قال أبو عبيد وحدثنا عبد الله بن صالح عن الليث عن يونس عن ابن شهاب عن أبى سلمة قال : كان عمر إذا رأى أبا موسى قال ذكرنا ربنا يا أبا موسى ، فيقرأ عنده

قال أبو عبيد : ثنا سليمان التيمى أو نبئت عنه ثنا أبو عثمان النهدى قال كان أبو موسى يصلى بنا فلو قلت إنى لم أسمع صوت صنج قط ولا بربط قط ولا شيئا قط أحسن من صوته . وقال ابن ماجه حدثنا العباس بن عثمان الدمشقى ثنا الوليد بن مسلم حدثنى حنظلة بن أبى سفيان أنه سمع عبد الرحمن بن سابط الجمحى يحدث عن عائشة قالت أبطأت على رسول الله ﷺ ليلة بعد العشاء ثم جئت فقال « أين كنت ؟ » قلت كنت أسمع قراءة رجل من أصحابك لم أسمع مثل قراءته وصوته من أحد ، قالت فقام فقمت معه حتى أستمع له ثم التفت إلى فقال « هذا سالم مولى أبى حذيفة ، الحمد لله الذى جعل فى أمتى مثل هذا » إسناد جيد .

وفى الصحيحين عن جبير بن مطعم قال سمعت رسول الله ﷺ يقرأ فى المغرب بالطور فما سمعت أحداً أحسن صوتاً أو قراءة منه ، وفى بعض ألفاظه فلما سمعته قرأ (أم خلقوا من غير شىء أم هم الخالقون ؟) خلت أن فؤادى قد انصدع[1] وكان جبير لما سمع هذا بعد مشركا على دين قومه وإنما كان قدم فى فداء الأسارى بعد بدر ، وناهيك بمن تؤثر قراءته فى المشرك المصر على الكفر ، فكان هذا سبب هدايته ، ولهذا كان أحسن القراءات ما كان عن خشوع من القلب كما قال أبو عبيد ثنا إسماعيل بن إبراهيم عن ليث عن طاوس قال : أحسن الناس صوتا بالقرآن أخشاهم لله . وحدثنا قبيصة عن سفيان عن ابن جريج عن ابن طاوس عن أبيه قال : أحسن الناس صوتا بالقرآن أخشاهم لله ، وحدثنا قبيصة عن سفيان عن ابن جريج عن ابن طاوس عن أبيه ، وعن الحسن بن مسلم عن طاوس قال سئل رسول الله ﷺ أى الناس أحسن صوتا بالقرآن ؟ فقال « الذى إذا سمعته رؤيته يخشى الله » [2]

وقد روى هذا متصلا من وجه آخر فقال ابن ماجه حدثنا بشر بن معاذ الضرير ثنا عبد الله بن جعفر المدينى ثنا إبراهيم بن إسماعيل عن مجمع عن أبى الزبير عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ « ان من أحسن الناس صوتا بالقرآن الذى إذا سمعتموه يقرأ حسبتموه يخشى الله » ولكن عبد الله بن جعفر هذا — وهو والد على بن المدينى — وشيخه ضعيفان والله أعلم

والغرض أن المطلوب شرعا إنما هو التحسين بالصوت الباعث على تدبر القرآن وتفهمه والخشوع والخضوع والانقياد للطاعة

فأما الأصوات بالنغمات المحدثة المركبة على الأوزان والاوضاع الملهية والقانون الموسيقائى فالقرآن ينزه عن هذا ويجل ويعظم أن يسلك فى أدائه هذا المذهب . وقد جاءت السنة بالزجر عن ذلك كما قال الإمام العلم أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله حدثنا نعيم بن حماد عن بقية بن الوليد عن حصين بن مالك الفزارى قال سمعت شيخا يكنى أبا محمد يحدث عن حذيفة بن اليمان قال : قال رسول الله ﷺ « اقرؤا القرآن بلحون العرب وأصواتها ، وإياكم ولحون أهل الفسق وأهل الكتابين ، وسيجىء قوم من بعدى يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنوح ، لا يجاوز حناجرهم ، مفتونة قلوبهم وقلوب الذين يعجبهم شأنهم » وحدثنا يزيد عن شريك عن أبى اليقظان عثمان بن عمير عن زاذان أبى عمر عن عليم قال : كنا على سطح ومعنا رجل من أصحاب النبى ﷺ قال يزيد لا أعلمه إلا قال عابس الغفارى فرأى الناس يخرجون فى الطاعون قال ما هؤلاء؟ قال يفرون من الطاعون فقال : يا طاعون خذنى ، فقالوا أتتمنى الموت وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول « لا يتمنين أحدكم الموت » فقال إنى أبادر خصالا سمعت رسول الله ﷺ يتخوفهن على أمته — بيع الحكم والا [3] بالدم وقطيعة الرحم وقوم يتخذون القرآن مزامير ، يقدمون أحدهم ليس بأفقههم ولا أفضلهم إلا ليغنيهم به غناء ، وذكر خلتين آخرتين

وحدثنا يعقوب بن إبراهيم عن ليث بن أبى سليم عن عثمان بن عمير عن زاذان عن عابس الغفارى عن النبى ﷺ مثل فى ذلك أو نحوه ، وحدثنا يعقوب عن إبراهيم عن الأعمش عن رجل عن أنس أنه سمع رجلا يقرأ القرآن بهذه الألحان التى أحدث الناس فأنكر ذلك ونهى عنه . وهذه طرق حسنة فى باب الترهيب[4]

---

(١) فى تفسير سورة الطور من البخارى أنه قال : كاد قلبى أن يطير ، وفيه أنه ذكر ثلاث آيات من السورة أولها ما هنا

(٢) كذا فى الأصل ويوضح معناه الرواية الأخرى بعده

(٣) موضع البياض مقطوع من الأصل

(٤) معنى هذه الروايات صحيح ولكن لا يصح سند شىء منها وحسنها المؤلف بتأييد بعضها لبعض على القاعدة عند المحدثين . والمعنى الجامع أن قراءة القرآن بالنغم المحمودة شرعاً هى ما تكون به القراءة أشد تأثيراً فى النفس وخشوعاً فى القلب واعتباراً فى العقل ، وأن المحظور منها التطريب المتكلف الذى يشغل السامع بلذة الصوت وحسن النظم عن المعنى المراد والخشوع المطلوب ، وما من أحد سمع قراءة المجودين أولى الأصوات الحسنة إلا وشعر بالتأثير العظيم فى قلبه بقراءتهم =

وهذا يدل على أنه محذور كبير وهو قراءة القرآن بالألحان التى يسلك بها مذاهب الغناء ، وقد نص الأئمة

= والسبب فى تأويل التغنى بالقرآن وكراهة بعض العلماء له أن الغناء صار شعار أهل اللهو والمسرفين فى الشهوات ، ولذلك حرم المتشددون من الفقهاء الغناء والمعازف مطلقاً مع العلم بأن مزامير نبى الله داود أنزلت لأجل الترنم بها وكانت الطير تحشر وتجتمع لصوته ترجع ترنيمه بتسبيح الله تعالى كما قال تعالى (والطير محشورة كل له أواب) وقد عهد اقبال الطير على سماع المغنين الحسن الصوت كالبلبل والهزار فى كل عصر بل نقل علماء الحيوان والتجارب أن بعض الحشرات كالنحل ترقص لسماع الصوت الحسن ، وأن بعضهم رأى حية ترقص عند سماع الغناء . وكان داود عليه السلام يسبح الله ويترنم له بزبوره على آلات الطرب والمعازف الوترية وغيرها ، ولا يوجد فى كتب أنبياء بنى إسرائيل شىء من الصلوات والتسبيح للرب والثناء عليه كمزامير داود التى لم يطرأ عليها من التحريف مثل الذى طرأ على غيرها وجاء فى آخرها الأمر بذلك وإننا كثيراً مارأينا بعض أدباء النصارى يرغبون فى سماع القرآن من القراء المجودين ويعترفون بقوة تأثيره فى القلوب ، وفى الصحيح أن المشركين كانوا يؤذون أبا بكر رضى الله عنه ويمنعونه من الصلاة فى المسجد الحرام ثم حاولوا منعه من رفع صوته بالقرآن فى بيته لما رأوا من اقبال الناس ولا سيما النساء والأولاد المدركين عليه وتأثير قراءته فى أنفسهم

وقد أدرك بعض علماء الافرنج ما كان لتلاوة رسول الله ﷺ للقرآن من التأثير العظيم فى جذب العرب إلى الإسلام واعترف بأنه كان أشد تأثيراً من جميع معجزات الأنبياء فى هداية الناس

وإننا لاستيفاء مباحث هذه المسألة التى تتم بها فائدة هذا الكتاب نذكر هنا ما أورده الحافظ ابن حجر فى شرحه لهذا الحديث من فتح البارى فقد جمع ما قاله جميع العلماء فى تأويل التغنى فى بيتين من نظمه ثم قفى عليهما بخلاصة أقوال أشهر فقهاء المذاهب أما البيتان فهما قوله :

تغن بالقرآن حسن به الصـــــوت حزينا جاهزاً رنم
واستغن عن كتب الألى طالباً غنى يد والنفس ثم الزم

[ثم قال] وسيأتى ما يتعلق بحسن الصوت بالقرآن فى ترجمة مفردة ولا شك أن النفوس تميل إلى سماع القراءة بالترنم أكثر من ميلها لمن لا يترنم لأن للتطريب تأثيراً فى رقة القلب وإجراء الدمع وكان بين السلف اختلاف فى جواز القرآن بالألحان

أما تحسين الصوت وتقديم حسن الصوت على غيره فلا نزاع فى ذلك ، فحكى عبد الوهاب المالكى عن مالك تحريم القراءة بالألحان ، وحكاه أبو الطيب الطبرى والماوردى وابن حمدان الحنبلى عن جماعة من أهل العلم

وحكى ابن بطال وعياض والقرطبى من المالكية والماوردى والبندنيجى والغزالى من الشافعية وصاحب الذخيرة من الحنفية الكراهة واختاره أبو يعلى وابن عقيل من الحنابلة

وحكى ابن بطال عن جماعة من الصحابة والتابعين الجواز وهو المنصوص للشافعى ونقله الطحاوى عن الحنفية ، وقال الفورانى من الشافعية فى الابانة يجوز بل يستحب ومحل هذا الاختلاف إذا لم تختل بشىء من الحروف عن مخرجه فلو تغير قال النووى فى التبيان أجمعوا على تحريمه ، ولفظه أجمع العلماء على استحباب تحسين الصوت بالقرآن مالم يخرج عن حد القراءة بالتمطيط فإن خرج حتى زاد حرفاً أو أخفاه حرم قال وأما القراءة بالألحان فقد نص الشافعى فى موضع على كراهته وقال فى موضع آخر لا بأس به ، فقال أصحابه: ليس على اختلاف قولين بل على اختلاف حالين فإن لم يخرج بالألحان عن المنهج القويم جاز وإلا حرم

وحكى الماوردى عن الشافعى أن القراءة بالألحان إذا انتهت إلى إخراج بعض الألفاظ عن مخارجها حرم، وكذا =

رحمهم الله على النهى عنه ، فأما إن خرج به إلى التمطيط الفاحش الذى يزيد بسببه حرفاً أو ينقص حرفاً فقد اتفق العلماء على تحريمه والله أعلم

وقال الحافظ أبو بكر البزار ثنا محمد بن معمر ثنا روح ثنا عبيد الله بن الأخنس عن ابن أبى مليكة عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « ليس منا من لم يتغن بالقرآن » ثم قال ولنا ما ذكرناه لأنهم اختلفوا على ابن أبى مليكة فيه فرواه عبد الجبار بن الورد عنه عن ابن أبى مليكة عن أبى لبابة ورواه عمرو بن دينار والليث عنه عن ابن أبى نهيك عن سعد ، ورواه عمر بن سفيان عنه عن عائشة ورواه نافع مولى ابن عمر عنه عن ابن الزبير

﴿ اغتباط صاحب القرآن(١) ﴾

حدثنا أبو اليمان أنا شعيب عن الزهرى حدثنى سالم بن عبد الله أن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « لا حسد إلا على اثنتين : رجل آتاه الله الكتاب فهو يقوم به آناء الليل والنهار ، ورجل أعطاه الله مالا فهو يتصدق به آناء الليل والنهار »

انفرد به البخارى من هذا الوجه واتفقا على إخراجه من رواية سفيان عن الزهرى

ثم قال البخارى ثنا على بن إبراهيم ثنا روح ثنا شعبة عن سليمان قال سمعت ذكوان عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال « لا حسد إلا فى اثنين : رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل والنهار فسمعه جار له فقال ليتنى أوتيت ما أوتى فلان فعملت مثل ما يعمل ، ورجل آتاه الله مالا فهو يهلكه فى الحق فقال رجل ليتنى أوتيت مثل ما أوتى فلان فعملت مثل ما يعمل »

ومظمون هذين الحديثين أن صاحب القرآن فى غبطة وهى حسن الحال فينبغى أن يكون شديد الاغتباط بما هو فيه ، ويستحب تغبيطه بذلك ، يقال غبطه يغبطه بالكسر غبطاً إذا تمنى مثل ما هو فيه من النعمة ، وهذا بخلاف الحسد المذموم ، وهو تمنى زوال نعمة المحسود عنه سواء حصلت لذلك الحاسد أولا ، وهذا مذموم شرعاً مهلك ، وهو أول معاصى إبليس حين حسد آدم ما منحه الله تعالى من الكرامة والاحترام والاعظام . والحسد الشرعى الممدوح هو تمنى حال مثل ذاك الذى هو على حالة سارة ، ولهذا قال عليه السلام « لا حسد إلا فى اثنين » فذكر النعمة القاصرة وهو تلاوة القرآن آناء الليل والنهار والنعمة المتعدية وهى انفاق المال بالليل والنهار كما قال تعالى (إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانيه يرجون تجارة لن تبور)

= حكى ابن حمدان الحنبلى فى الرعاية وقال الغزالى والبندنيجى وصاحب الذخيرة من الحنفية : إن لم يفرط فى التمطيط الذى يشوش النظم استحب وإلا فلا .

وأغرب الرافعى فحكى عن أمالى السرخسى أنه لا يضر التمطيط مطلقاً وحكاه ابن حمدان رواية عن الحنابلة وهذا شذوذ لا يعرج عليه ، والذى يتحصل من الأدلة أن حسن الصوت بالقرآن مطلوب فإن لم يكن حسناً فليحسنه ما استطاع كما قال ابن أبى مليكة أحد رواة الحديث

وقد أخرج ذلك عنه أبو داود بإسناد صحيح ، ومن جملة تحسينه أن تراعى فيه قوانين النغم فإن الحسن الصوت يزداد حسناً بذلك ، وإن خرج عنها أثر ذلك فى حسنه ، وغير الحسن ربما انجبر بمراعاتها مالم يخرج عن شرط الأداء المعتبر عند أهل القراءات ، فإن خرج عنها لم يف تحسين الصوت بقبح الأداء ولعل هذا مستند من كره القراءة بالألحان لأن الغالب على من راعى الألحان أن لا يراعى الأداء فإن وجد من يراعيهما معاً فلا شك فى أنه أرجح من غيره لأنه يأتى بالمطلوب من تحسين الصوت ويجتنب الممنوع من حرمة الأداء والله أعلم، اهـ.

(١) فى البخارى زيادة باب كما سبق فى أمثاله .

وقد روى نحو هذا من وجه آخر فقال عبد الله بن الإمام أحمد وجدت فى كتاب أبى بخط يده : كتب إلى أبو توبة الربيع بن نافع فكان فى كتابه حدثنا الهيثم بن حميد عن زيد بن واقد عن سليم بن موسى عن كثير ابن مرة عن يزيد بن الأخنس أن رسول الله ﷺ قال « لا تنافس بينكم إلا فى اثنتين : رجل أعطاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل والنهار ، ويتبع ما فيه فيقول رجل لو أن الله أعطانى مثل ما أعطى فلانا فأقوم به كما يقوم به ورجل أعطاه الله مالا فهو ينفق ويتصدق فيقول رجل لو أن الله أعطانى مثل ما أعطى فلانا فأتصدق به » وقريب من هذا ما قال الإمام أحمد : ثنا عبد الله بن نمير ثنا عبادة بن مسلم وحدثنى يونس بن حباب عن سعيد أبى البحترى الطائى عن أبى كبشة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول « ثلاث أقسم عليهن وأحدثكم حديثا فاحفظوه ، فاما الثلاث التى أقسم عليهن فانه ما نقص مال عبد من صدقة ، ولا ظلم أحد مظلمة فيصبر عليها إلا زاده الله بها عزاً ، ولا يفتح عبد باب مسألة إلا فتح الله له باب فقر — وأما الذى أحدثكم حديثا فاحفظوه فانه قال — إنما الدنيا لأربعة نفر : عبد رزقه الله مالا وعلما فهو يتقى فيه ربه ويصل رحمه ويعلم فيه حقه — قال — فهذا بأفضل المنازل ، وعبد رزقه الله علما ولم يرزقه مالا فهو يقول لو كان لى مال عملت بعمل فلان — قال — فأجرهما سواء ، وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علما فهو يخبط فى ماله بغير علم ، لا يتقى فيه ربه ، ولا يصل فيه رحمه ، ولا يعلم لله فيه حقه ، فهذا بأخبث المنازل ، وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علما فهو يقول لو كان لى مال لفعلت بعمل فلان — قال — هى نيته فوزرهما فيه سواء »

وقال أيضا حدثنا وكيع ثنا الأعمش عن سالم بن أبى الجعد عن أبى كبشة الأنمارى قال : قال رسول الله ﷺ « مثل هذه الأمة مثل أربعة نفر : رجل آتاه الله مالا وعلما فهو يعمل به فى ماله ينفقه فى حقه ، ورجل آتاه الله علما ولم يؤته مالا فهو يقول لو كان لى مثل هذا عملت فيه مثل الذى يعمل — قال : قال رسول الله — فهما فى الأجر سواء ، ورجل آتاه الله مالا ولم يؤته علما فهو يخبط فيه ينفقه فى غير حقه ، ورجل لم يؤته الله مالا ولا علما فهو يقول لو كان لى مثل مال هذا عملت فيه مثل الذى يعمل — قال : قال رسول الله — فهما فى الوزر سواء » إسناد صحيح ولله الحمد والمنة .

﴿ خيركم من تعلم القرآن وعلمه ﴾ (١)

حدثنا حجاج بن منهال ثنا شعبة أخبرنى علقمة بن مرثد سمعت سعد بن عبيدة عن أبى عبد الرحمن عن عثمان ابن عفان رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » وأقرأ أبو عبد الرحمن فى إمرة عثمان رضى الله عنه حتى كان الحجاج ، قال وذلك الذى أقعدنى مقعدى هذا .

وقد أخرج الجماعة هذا الحديث سوى مسلم من رواية شعبة عن علقمة بن مرثد عن سعد بن عبيدة عن أبى عبد الرحمن وهو عبد الله بن حبيب السلمى رحمه الله

وحدثنا أبو نعيم ثنا سفيان عن علقمة بن مرثد عن أبى عبد الرحمن السلمى عن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال : قال النبى ﷺ « إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه » وهكذا رواه الترمذى والنسائى وابن ماجه من طرق عن سفيان عن علقمة عن أبى عبد الرحمن من غير ذكر سعد بن عبيدة ، كما رواه شعبة ولم يختلف عليه فيه ، وهذا المقام مما حكم لسفيان الثورى فيه على شعبة . وخطأ بندار يحيى بن سعيد فى روايته ذلك عن سفيان عن علقمة عن سعد ابن عبيدة عن أبى عبد الرحمن ، وقال رواه الجماعة من أصحاب سفيان عنه باسقاط سعد بن عبيدة ورواية سفيان أصح . وفى هذا المقام المتعلق بصناعة الإسناد طول لولا الملالة لذكرناه . وفيما ذكر كفاية وارشاد إلى ما ترك ، والله أعلم .

---

(١) فى البخارى ﴿ باب خيركم ﴾ الخ .

والغرض أنه عليه الصلاة والسلام قال « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » وهذه صفات المؤمنين المتبعين للرسل وهم الكمل فى أنفسهم المكملين لغيرهم ، وذلك جمع بين النفع القاصر والمتعدى ، وهذا بخلاف صفة الكفار الجبارين الذين لا ينفعون ولا يتركون أحداً ممن أمكنهم أن ينتفع كما قال تعالى (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب) وكما قال تعالى (وهم ينهون عنه وينأون عنه) فى أصح قولى المفسرين فى هذا هو أنهم ينهون الناس عن اتباع القرآن مع نأيهم وبعدهم عنه أيضا فجمعوا بين التكذيب والصد كما قال تعالى (فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها) فهذا شأن شرار الكفار ، كما أن شأن الأخيار الأبرار أن يتكمل فى نفسه وأن يسعى فى تكميل غيره كما قال عليه السلام « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » وكما قال تعالى (ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين) فجمع بين الدعوة إلى الله سواء كان بالأذان أو بغيره من أنواع الدعوة إلى الله تعالى من تعليم القرآن والحديث والفقه وغير ذلك مما يبتغى به وجه الله ، وعمل هو فى نفسه صالحا وقال قولا صالحا أيضاً فلا أحد أحسن حالا من هذا . وقد كان أبو عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السلمى الكوفى أحد أئمة الإسلام ومشايخهم ممن رغب فى هذا المقام فقعد يعلم الناس من إمارة عثمان إلى أيام الحجاج. قالوا وكان مقدار ذلك الذى مكث يعلم فيه القرآن سبعين سنة رحمه الله وأثابه، وآتاه ما طلبه ورامه آمين

قال البخارى حدثنا عمرو بن عون ثنا حماد بن أبى حازم عن سهل بن سعد قال : أتت النبى ﷺ امرأة فقالت انها قد وهبت نفسها لله ولرسوله فقال « مالى فى النساء من حاجة » فقال رجل زوجنيها ؟ قال « أعطها ثوبا » قال لا أجد، قال « أعطها ولو خاتما من حديد » فاعتل له فقال « ما معك من القرآن ؟ » قال كذا وكذا فقال « قد زوجتها بما معك من القرآن » وهذا الحديث متفق على صحة إخراجه من طرق عديدة ، والغرض منه الذى قصده البخارى أن هذا الرجل تعلم الذى تعلمه من القرآن وأمره النبى ﷺ أن يعلم تلك المرأة ويكون ذلك صداقا لها على ذلك ، وهذا فيه نزاع بين العلماء هل يجوز أن يجعل صداقا ؟ أو هل يجوز أخذ الأجرة على تعليم القرآن ؟ وهل هذا كان خاصا بذلك الرجل ؟ وما معنى قوله عليه السلام « زوجتكها بما معك من القرآن » أى بسبب ما معك كما قاله أحمد بن حنبل : نكرمك بذلك أو بعوض ما معك ، وهذا أقوى لقوله فى صحيح مسلم « فعلمها » وهذا هو الذى أراده البخارى ههنا وتحرير باقى الخلاف مذكور فى باب النكاح والاجارات وبالله المستعان

﴿ القراءة عن ظهر قلب ﴾ (١)

إنما أورد البخارى فى هذه الترجمة حديث أبى حازم بن سهل بن سعد الحديث الذى تقدم الآن وفيه أنه عليه السلام قال للرجل « فما معك من القرآن ؟ » قال معى سورة كذا وسورة كذا لسور عدها قال « أتقرأهن عن ظهر قلب ؟ » قال نعم قال « اذهب فقد ملكتكها بما معك من القرآن » وهذه الترجمة من البخارى رحمه الله مشعرة بأن قراءة القرآن عن ظهر قلب أفضل والله أعلم . ولكن الذى صرح به كثيرون من العلماء أن قراءة القرآن من المصحف أفضل لأنه يشتمل على التلاوة والنظر فى المصحف وهو عبادة كما صرح به غير واحد من السلف وكرهوا أن يمضى على الرجل يوم لا ينظر فى مصحفه

واستدلوا على أفضلية التلاوة فى المصحف بما رواه الإمام العلم أبو عبيد رحمه الله فى كتابه ﴿ فضائل القرآن ﴾ حدثنا نعيم بن حماد عن بقية بن الوليد عن معاوية بن يحيى عن سليم بن مسلم عن عبد الله بن عبد الرحمن عن بعض أصحاب النبى ﷺ قال : قال النبى ﷺ « فضل قراءة القرآن نظراً على من يقرؤه ظهراً كفضل الفريضة على النافلة » وهذا الإسناد فيه ضعف فان معاوية بن يحيى هذا هو الصدفى أو الأطرابلسى وأيا ما كان فهو ضعيف . وقال الثورى عن عاصم عن زر عن ابن مسعود قال أديموا النظر فى المصحف . وقال حماد بن سلمة عن على بن زيد عن يوسف بن ماهك عن ابن عباس عن عمر أنه كان إذا دخل بيته نشر المصحف فقرأ فيه . وقال حماد أيضا عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبى ليلى

(١) فى البخارى زيادة كلمة باب كنظائره ولا نعيد التنبيه لهذا بعد فقد صار معلوما باطراد

عن ابن مسعود أنه كان إذا اجتمع إليه إخوانه نشروا المصحف فقرأ أو فسر لهم . إسناد صحيح ، وقال حماد بن سلمة عن حجاج بن أرطاة عن ثوير بن أبي فاختة عن ابن عمر قال إذا رجع أحدكم من سوقه فلينشر المصحف وليقرأ . وقال الأعمش عن خيثمة دخلت على ابن عمر وهو يقرأ في المصحف فقال هذا جزئي الذي اقرأ به الليلة

فهذه الآثار تدل على أن هذا أمر مطلوب لئلا يعطل المصحف فلا يقرأ منه (١) ولعله قد يقع لبعض الحفظة نسيان فيستذكر منه ، أو تحريف كلمة أو آية أو تقديم أو تأخير فالاستثبات أولى والرجوع إلى المصحف أثبت من أفواه الرجال.

فأما تلقين القرآن فمن فم الملقن أحسن لأن الكتابة لا تدل على الأداء كما أن المشاهد من كثير ممن يحفظ من الكتابة فقط يكثر تصحيفه وغلطه وإذا أدى الحال إلى هذا منع منه إذا وجد شيخا يوقفه على ألفاظ القرآن . فأما عند العجز عما يلقن فلا يكلف الله نفسا إلا وسعها، فيجوز عند الضرورة مالا يجوز عند الرفاهية ، فإذا قرأ في المصحف والحالة هذه فلا حرج عليه ولو فرض أنه قد يحرف بعض الكلمات عن لفظها على لغته ولفظه ، فقد قال الإمام أبو عبيد حدثني هشام بن إسماعيل الدمشقي عن محمد بن شعيب عن الأوزاعي أن رجلا صحبهم في سفر قال فحدثنا حديثا ما أعلمه إلا رفعه إلى رسول الله ﷺ قال « إن العبد إذا قرأ فحرف أو أخطأ كتبه الملك كما أنزل » وحدثنا حفص بن أبي غياث عن الشيباني عن بكير بن الاخنس قال كان يقال إذا قرأ الأعجمي والذي لا يقيم القرآن كتبه الملك كما أنزل . وقال بعض العلماء المدار في هذه المسئلة على الخشوع فان كان الخشوع أكثر عند القراءة عن ظهر قلب فهو أفضل وإن كان عند النظر في المصحف أكثر فهو أفضل . فان استويا فالقراءة نظرا أولى لأنها أثبت وتمتاز بالنظر إلى المصحف . قال الشيخ أبو زكريا النواوي رحمه الله في التبيان : والظاهر أن كلام السلف وفعلهم محمول على هذا التفصيل

﴿ تنبيه ﴾

إن كان البخاري رحمه الله أراد بذكره حديث سهل الدلالة على أن تلاوة القرآن عن ظهر قلب أفضل منها في المصحف ففيه نظر (٢) لانها قضية عين فيحتمل أن ذلك الرجل كان لا يحسن الكتابة ويعلم ذلك رسول الله ﷺ منه فلا يدل على أن التلاوة عن ظهر قلب أفضل مطلقا في حق من يحسن ومن لا يحسن إذ لو دل على هذا لكان ذكر حال رسول الله وتلاوته عن ظهر قلب ـ لأنه أمي لا يدري الكتابة ـ أولى من ذكر هذا الحديث بمفرده . الثاني ان سياق الحديث إنما هو لأجل استثبات أنه يحفظ تلك السور عن ظهر قلب ليمكنه تعليمها لزوجته ، وليس المراد ههنا أن هذا أفضل من التلاوة نظراً ولا عدمه والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ استذكار القرآن وتعاهده ﴾

حدثنا عبد الله بن يوسف أنا مالك عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال « إنما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المعقلة . إن عاهد عليها أمسكها . وإن أطلقها ذهبت »

هكذا رواه مسلم والنسائي من حديث مالك به . وقال الإمام أحمد ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن أيوب عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مثل القرآن إذا عاهد عليه صاحبه فقرأه بالليل والنهار كمثل رجل له إبل فان عقلها حفظها وإن أطلق عقالها ذهبت فكذلك صاحب القرآن » أخرجاه ، قاله ابن الجوزي في جامع المسانيد وإنما هو من أفراد مسلم من حديث عبد الرزاق به

(١) وتدل أيضا على ما كان من كثرة المصاحف عند الصحابة رضي الله عنهم وهو ما يجهله كثير من الناس

(٢) هذه الشرطية لا وجه لها فموضوع الحديث الحفظ التام لما معه من القرآن بحيث يستطيع قراءته عن ظهر قلب وليس فيه أدنى إشارة إلى تفضيل هذه القراءة على غيرها ولا إلى مقابله . وحفظ القرآن أمر عظيم وله مزايا من أعظمها فائدة تمكن الحافظ من التلاوة في الأوقات والحالات التي لا يتمكن فيها من نظر المصحف أو لا يجده فيها وهي كثيرة

حدثنا محمد بن عرعرة (١) ثنا شعبة عن منصور عن أبي وائل عن عبد الله قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم « بئس ما لأحدهم أن يقول نسيت آية كيت وكيت بل نسي ، واستذكروا القرآن فانه أشد تفصيا من صدور الرجال من النعم »

تابعه بشر هو ابن محمد السختياني عن ابن المبارك عن شعبة وقد رواه الترمذي عن محمود بن غيلان عن أبي داود الطيالسي عن شعبة به وقال حسن صحيح

وأخرجه النسائي من رواية شعبة وحدثنا عثمان بن جرير عن منصور مثله . وهكذا رواه مسلم عن عثمان وزهير ابن حرب وإسحاق بن إبراهيم عن جرير به ، وستأتي رواية البخاري له عن أبي نعيم عن سفيان الثوري عن منصور به ، والنسائي من رواية ابن عيينة عن منصور به فقد رواه هؤلاء عن منصور به مرفوعا في رواية هؤلاء كلهم وقد رواه النسائي عن قتيبة عن حماد بن زيد عن منصور عن أبي وائل عن عبد الله موقوفا وهذا غريب . وفي مسند أبي يعلى « فانما هو نسي » بالتخفيف وتابعه ابن جريج عن عبدة عن شقيق قال سمعت عبدالله قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم ، وهكذا أسنده مسلم من حديث ابن جريج به . ورواه النسائي في اليوم والليلة من حديث محمد بن جحادة عن عبدة وهو ابن أبي لبابة به حدثنا محمد بن العلاء حدثنا أبو أسامة عن يزيد عن أبي بردة عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « تعاهدوا القرآن فو الذي نفسي بيده لهو أشد تفصيا من الإبل في عقلها »

وهكذا رواه مسلم عن أبي كريب محمد بن العلاء وعبد الله بن براد الأشعري كلاهما عن أبي أسامة حماد بن أسامة به

وقال الامام أحمد ثنا علي بن إسحاق أنا عبد الله بن المبارك أنا موسى بن علي سمعت أبي يقول سمعت عقبة بن عامر يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تعلموا كتاب الله وتعاهدوه وتغنوا به ، فو الذي نفسي بيده لهو أشد تفلتا من المخاض في العقل »

ومضمون هذه الأحاديث الترغيب في كثرة تلاوة القرآن واستذكاره وتعاهده لئلا يعرضه حافظه للنسيان فان ذلك خطأ كبير نسأل الله العافية منه ، فانه قال الامام أحمد حدثنا خلف بن الوليد ثنا خالد عن يزيد بن أبي زياد عن عيسى ابن فايد عن رجل عن سعد بن عبادة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « مامن أمير عشرة إلا يؤتى به يوم القيامة مغلولا لا يفكه من ذلك الغل إلا العدل » وهكذا رواه جرير بن عبد الحميد ومحمد بن فضيل عن يزيد بن أبي زياد كما رواه خالد بن عبد الله ، وقد أخرجه أبوداود عن محمد بن العلاء عن ابن إدريس عن يزيد بن أبي زياد عن عيسى بن فايد عن سعد بن عبادة عن النبي ﷺ بقصة نسيان القرآن ولم يذكر الرجل المبهم ، وكذا رواه أبوبكر ابن عياش عن يزيد بن أبي زياد ، وقد رواه سعيد عن زيد ووهم في إسناده ، ورواه وكيع عن أصحابه عن زيد بن عيسى بن فايد عن النبي ﷺ مرسلا ، وقد رواه الإمام أحمد في مسند عبادة بن الصامت فقال : ثنا عبد الصمد ثنا عبد العزيز بن مسلم ثنا يزيد بن أبي زياد عن عيسى بن فايد عن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله صلى الله عليه « مامن أمير عشرة إلا يؤتى به يوم القيامة مغلولا لا يفكه منها إلا عدله ، وما من رجل تعلم القرآن ثم نسيه إلا لقي الله يوم القيامة أجذم » وكذا رواه أبو عوانة عن يزيد بن أبي زياد ففيه اختلاف لكن هذا في باب الترهيب مقبول والله أعلم ، لاسيما إن كان له شاهد من وجه آخر كما قال أبو عبيد ثنا حجاج عن ابن جريج قال حدثت عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « عرضت علي أجور أمتي حتى القذاة والبعرة يخرجها الرجل من المسجد ، وعرضت علي ذنوب أمتي فلم أر ذنبا أكبر من آية أو سورة من كتاب الله أوتيها رجل فنسيها » قال ابن جريج وحدثت عن سلمان الفارسي قال : قال رسول الله ﷺ « من أكبر ذنوب توافى به أمتي يوم القيامة سورة من كتاب الله كانت

(١) هذا هو الحديث الثاني في الباب عند البخاري . ولولا وضعنا له في أول السطر لظن الكثيرون أنه لعبد الرزاق

مع أحدهم فنسيها » وقد روى أبوداود والترمذى وأبويعلى والبزار وغيرهم من حديث ابن أبى داود عن ابن جريج عن المطلب بن عبد الله بن حنطب عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « عرضت على أجور أمتى حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد ، وعرضت على ذنوب أمتى فلم أر ذنبا أعظم من سورة من القرآن أو آية أوتيها رجل ثم نسيها » قال الترمذى غريب لانعرفه إلا من هذا الوجه وذاكرت به البخارى فاستغربه

وحكى الوالبى عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى أنه أنكر سماع المطلب من أنس بن مالك ﴿ قلت ﴾ وقد رواه محمد بن يزيد الأدمى عن ابن أبى داود عن ابن جريج عن الزهرى عن أنس عن النبى ﷺ به فالله أعلم.

وقد أدخل بعض المفسرين هذا المعنى فى قوله تعالى (ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى * قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيراً * قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) وهذا الذى قاله هذا وإن لم يكن هو المراد جميعه فهو بعضه ، فان الإعراض عن تلاوة القرآن وتعريضه للنسيان وعدم الاعتناء به فيه تهاون كبير وتفريط شديد نعوذ بالله منه ، ولهذا قال عليه السلام « تعاهدوا القرآن » وفى لفظ « استذكروا القرآن فانه أشد تفصيا من صدور الرجال من النعم » التفصى التخلص يقال تفصى فلان من البلية إذا تخلص منها ، ومنه تفصى النوى من التمرة إذا تخلص منها أى إن القرآن أشد تفلتا من الصدور من النعم إذا أرسلت من غير عقال .

وقال أبوعبيد ثنا أبومعاوية عن الأعمش عن إبراهيم قال : قال عبد الله — يعنى ابن مسعود — إنى لأمقت القارىء إن أراه ممينا نسيا للقرآن . وحديث عبد الله بن المبارك عن عبد العزيز بن أبى داود قال سمعت الضحاك بن مزاحم يقول مامن أحد تعلم القرآن فنسيه إلا بذنب يحدثه لان الله تعالى يقول (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) وان نسيان القرآن من أعظم المصائب . ولهذا قال إسحاق بن راهويه وغيره يكره للرجل أن يمر عليه أربعون يوما لايقرأ فيها القرآن كما انه يكره له ان يقرأه فى أقل من ثلاثة أيام كما سيأتى هذا حيث يذكره البخارى بعد هذا وكان الأليق أن يتبعه هذا الباب ولكن ذكر بعد هذا قوله

﴿ القراءة على الدابة ﴾

حدثنا حجاج أنا شعبة أنا أبو إياس قال سمعت عبد الله بن مغفل رضى الله عنه قال رأيت رسول الله ﷺ يوم فتح مكة وهو يقرأ على راحلته سورة الفتح .

وهذا الحديث قد خرجه الجماعة سوى ابن ماجه من طرق عن شعبة عن أبى إياس وهو معاوية بن قرة به ، وهذا أيضا له تعلق بما تقدم من تعاهد القرآن وتلاوته سفراً وحضراً ، ولا يكره ذلك عند أكثر العلماء إذا لم يلته القارىء فى الطريق ، وقد نقله ابن أبى داود عن أبى الدرداء انه كان يقرأ فى الطريق ، وقد روى عن عمر بن عبد العزيز أنه أذن فى ذلك ، وعن الامام مالك انه كره ذلك كما قال ابن أبى داود حدثنى أبوالربيع أنا ابن وهب قال سألت مالكا عن الرجل يصلى من آخر الليل فخرج إلى المسجد وقد بقى من السورة التى كان يقرأ منها شىء فقال ما أعلم القراءة تكون فى الطريق ، وقال الشعبى تكره قراءة القرآن فى ثلاثة مواضع فى الحمام وفى الحشوش وفى بيت الرحى وهى تدور ، وخالفه فى القراءة فى الحمام كثير من السلف انها لاتكره وهو مذهب مالك والشافعى وإبراهيم النخعى وغيرهم ، وروى ابن أبى داود عن على بن أبى طالب انه كره ذلك ونقله ابن المنذر عن أبى وائل شقيق بن سلمة والشعبى والحسن البصرى ومكحول وقبيصة بن ذؤيب وهو رواية عن إبراهيم النخعى

ويحكى عن أبى حنيفة رحمه الله أن القراءة فى الحمام تكره ، وأما القراءة فى الحش فكراهتها ظاهرة ولو قيل بتحريم ذلك صيانة لشرف القرآن لكان مذهبا . وأما القراءة فى بيت الرحى وهى تدور فلئلا يعلو غير القرآن عليه والحق يعلو ولا يعلى والله أعلم

﴿ تعلم الصبيان القرآن ﴾

حدثنا موسى بن إسماعيل ثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير قال إن الذى تدعونه المفصل هو المحكم قال وقال ابن عباس توفى رسول الله ﷺ وأنا ابن عشر سنين وقد قرأت المحكم ، حدثنا يعقوب بن إبراهيم ثنا هشيم أنا أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال جمعت المحكم فى عهد النبى ﷺ فقلت له وما المحكم ؟ قال المفصل انفرد باخراجه البخارى ، وفيه دلالة على جواز تعلم الصبيان القرآن لأن ابن عباس أخبر عن سنه حين موت رسول الله ﷺ وقد كان جمع المفصل وهو من الحجرات كما تقدم ذلك وعمره إذ ذاك عشر سنين

وقد روى البخارى أنه قال توفى رسول الله ﷺ وأنا مختون وكانوا لا يختنون حتى يحتلم فيحتمل أنه احتلم لعشر سنين جمعا بين هذه الرواية وتلك ويحتمل أنه تجوز فى هذه الرواية بذكر العشر وترك ما زاد عليها من الكسر والله أعلم

وعلى كل تقدير ففيه دلالة على جواز تعليم القرآن فى الصبا وهو ظاهر بل قد يكون مستحبا أو واجبا لأن الصبى إذا تعلم القرآن بلغ وهو يعرف ما يصلى به ، وحفظه فى الصغر أولى من حفظه كبيرا وأشد علوقا بخاطره وأرسخ وأثبت كما هو المعهود من حال الناس .

وقد استحب بعض السلف أن يترك الصبى فى ابتداء عمره قليلا للعب ثم توفر همته على القراءة لئلا يلزم أولا بالقراءة فيملها ويعدل عنها إلى اللعب ، وكره بعضهم تعليمه القرآن وهو لا يعقل ما يقال له ولكن يترك حتى إذا عقل وميز علم قليلا قليلا بحسب همته ونهمته وحفظه وجودة ذهنه . واستحب عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن يلقن خمس آيات خمس آيات رويناه عنه بسند جيد

﴿ نسيان القرآن وهل يقول نسيت آية كذا وكذا ؟ ﴾

وقول الله (سنقرئك فلا تنسى إلا ماشاء الله)

حدثنا الربيع بن يحيى ثنا زائدة ثنا هشام بن عروة عن عائشة قالت لقد سمع النبى ﷺ رجلا يقرأ فى المسجد فقال « رحمه الله لقد أذكرنى آية كذا وكذا من سورة كذا » انفرد به ، وحدثنا محمد بن عبيد بن ميمون ثنا عيسى ابن يونس عن هشام وقال « اسقطتهن من سورة كذا وكذا » انفرد به أيضا ، تابعه على بن مسهر وعبدة عن هشام وقد أسندهما البخارى فى موضع آخر ومسلم معه فى عبدة .

حدثنا أحمد بن أبى رجاء ثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت سمع رسول الله ﷺ رجلا يقرأ فى سورة بالليل فقال « يرحمه الله لقد أذكرنى كذا وكذا آية كنت أنسيتها من سورة كذا وكذا » ورواه مسلم من حديث أبى أسامة حماد بن أسامة(١)

---

(١) تستدل الفقهاء بمثل هذا على جواز النسيان على النبى ﷺ ولكن قيدوه إجماعا بما ليس سبيله التبليغ فلا يجوز نسيانه كما لا يجوز كتمانه ونتيجتهما واحدة وإن كان حكمهما فى الناس مختلفا من حيث يكون النسيان عن غير تقصير أمراً طبيعياً لا يؤاخذ صاحبه عليه . ولكن الله عصم رسله من نسيان ما أمرهم بتبليغه لئلا تبطل به حكمة الرسالة فيه ، والراجح فى قوله تعالى (فلا تنسى إلا ما شاء الله) أن الأستثناء فيه منقطع لتأكيد النفى بمعنى أن النسيان لما تقرئك إياه ممتنع لا يمكن وقوعه منك بمقتضى الطبع كغيرك ولا فى أى حال من الأحوال لكن إذا أراد الله =

﴿ الحديث الثانى ﴾ حدثنا أبو نعيم ثنا سفيان عن منصور عن أبى وائل عن عبد الله رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « بئس ما لأحدهم أن يقول نسيت كيت وكيت بل هو نسى »

ورواه مسلم والنسائى من حديث منصور به وقد تقدم . وفى مسند أبى يعلى إنما هو نسى » بالتخفيف هذا لفظه . وفى هذا الحديث والذى قبله دليل على أن حصول النسيان للشخص ليس بنقص له إذا كان بعد الاجتهاد والحرص

وفى حديث ابن مسعود أدب فى التعبير عن حصول ذلك فلا يقول نسيت كذا فان النسيان ليس من فعل العبد ، وقد تصدر عنه أسبابه من التناسى والتغافل والتهاون المفضى إلى ذلك ، فأما النسيان نفسه فليس بفعله ، ولهذا قال بل هو نسى مبنى لما لم يسم فاعله ، وأدب أيضا فى ترك اضافة ذلك إلى الله تعالى وقد أسند النسيان إلى العبد فى قوله تعالى (واذكر ربك إذا نسيت) وهو والله أعلم من باب المجاز الشائع بذكر المسبب وإرادة السبب لأن النسيان إنما يكون عن سبب قد يكون ذنبا كما تقدم عن الضحاك بن مزاحم فأمر الله تعالى بذكره ليذهب الشيطان عن القلب كما يذهب عند النداء بالأذان ، والحسنة تذهب السيئة ، فإذا زال السبب للنسيان انزاح فحصل الذكر للشىء بسبب ذكر الله تعالى والله علم

﴿ من لم ير بأساً أن يقول سورة البقرة وسورة كذا وكذا ﴾

حدثنا عمر بن حفص بن غياث ثنا أبى ثنا الأعمش حدثنى إبراهيم عن علقمة وعبد الرحمن بن يزيد عن أبى مسعود الأنصارى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأ بهما فى ليلة كفتاه »

وهذا الحديث قد أخرجه الجماعة من حديث عبد الرحمن بن يزيد وصاحبا الصحيح والنسائى وابن ماجه من حديث علقمة كلاهما عن أبى مسعود عتبة بن عمرو الأنصارى البدرى

﴿ الحديث الثانى ﴾ ما رواه من حديث الزهرى عن عروة عن المسور وعبد الرحمن بن عبد القارى كلاهما عن عمر قال سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان وذكر الحديث بطوله كما تقدم وكما سيأتى(١)

﴿ الحديث الثالث ﴾ ما رواه من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة سمع رسول الله ﷺ قارئا يقرأ من الليل فى المسجد فقال « رحمه الله أذكرنى كذا وكذا آية كنت أسقطتهن من سورة كذا وكذا »

وهكذا فى الصحيحين عن ابن مسعود أنه كان يرمى الجمرة من الوادى ويقول هذا مقام الذى أنزلت عليه سورة البقر .

= وحده أن ينسيك شيئا فلا راد لمشيئته . وهذا لا يدل على وقوع هذه المشيئة فهو كقوله تعالى حكاية عن خليله إبراهيم ﷺ فى خطاب قومه المشركين (ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربى شيئا) الآية وفى معناه قول الفراء هو للتبرك وليس هنالك شىء استثنى . وقيل المراد بالنسيان المنفى العمل به وهو مجاز مستعمل فصيح والنسيان المذكور فى الحديث موضوعه شىء كان وقع التبليغ به ، والذى أراه أنه كان نسياناً عارضاً بحيث لو قرأ ﷺ السورة بعده لقرأها تامة ، وإلا كانت الرواية مردودة وإن صح سندها عند البخارى فانه كغيره لم يكن يعلم من حال الرواة إلا الظاهر وهو كاف فى قبول روايتهم إلا إذا عارضها مثل هذا المانع ، وهو قد انفرد برواية هذا الحديث كما رأيت . ونسيان القرآن من الكبائر لما ورد فيه

(١) قوله : وذكر الحديث الخ من كلام المؤلف يعنى وذكر البخارى الحديث بطوله

وكره بعض السلف ذلك ولم يروا أن يقال إلا السورة التى يذكر فيها كذا وكذا كما جاء وتقدم من رواية يزيد الفارسى عن ابن عباس عن عثمان أنه قال إذا نزل من القرآن شىء يقول رسول الله ﷺ « اجعلوا هذا فى السورة التى يذكر فيها كذا وكذا » ولا شك أن هذا أحوط وأولى ، ولكن قد صحت الأحاديث بالرخصة فى الآخر وعليه عمل الناس اليوم فى ترجمة السور فى مصاحفهم وبالله التوفيق

﴿ الترتيل فى القراءة ﴾

وقوله عزوجل (ورتل القرآن ترتيلا) وقوله (وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث) وما يكره أن يهذ كهذ الشعر . (يفرق فيها) يفصل ، قال ابن عباس (فرقناه) فصلناه . حدثنا أبو النعمان ثنا مهدى بن ميمون ثنا واصل عن أبى وائل عن عبد الله قال غدونا على عبد الله فقال رجل قرأت المفصل البارحة فقال : هذا كهذ الشعر إنا قد سمعنا القراءة وإنى لأحفظ القرناء اللاتى كان يقرأ بهن النبى ﷺ ثمانى عشرة سورة من المفصل وسورتين من آل حم(١)

ورواه مسلم عن شيبان بن فروخ عن مهدى بن ميمون عن واصل وهو ابن حبان الأحدب عن أبى وائل شقيق ابن سلمة عن ابن مسعود به

وقال الإمام أحمد ثنا قتيبة ثنا ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد عن زياد بن نعيم عن مسلم بن مخراق عن عائشة أنه ذكر لها أن ناساً يقرءون القرآن فى الليل مرة أو مرتين ، فقالت أولئك قرأوا ولم يقرأوا : كنت أقوم مع النبى ﷺ ليلة التمام فكان يقرأ سورة البقرة وآل عمران والنساء فلا يمر بآية فيها تخوف إلا دعا الله واستعاذ ، ولا يمر بآية فيها استبشار إلا دعا الله ورغب إليه .

﴿ الحديث الثانى ﴾ ثنا قتيبة ثنا جرير عن موسى بن أبى عائشة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله تعالى (لا تحرك به لسانك لتعجل به) كان رسول الله ﷺ إذا نزل جبريل بالوحى كان مما يحرك به لسانه وشفتيه فيشتد عليه، وذكر تمام الحديث كما سيأتى وهو متفق عليه ، وفيه وفى الذى قبله دليل على استحباب ترتيل القراءة والترسل فيها من غير هذرمة ولا بسرعة مفرطة بل بتأمل وتفكر قال الله تعالى (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب)

وقال الإمام أحمد ثنا عبد الرحمن عن سفيان عن عاصم عن زر عن عبد الله بن عمرو عن النبى ﷺ قال « يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا فان منزلك عند آخر آية تقرؤها »

وقال أبو عبيد ثنا جرير عن مغيرة عن إبراهيم قال : قرأ علقمة على عبد الله فكأنه عجل فقال عبد الله فداك أبى وأمى ، رتل فانه زين القرآن . قال وكان علقمة حسن الصوت بالقرآن . وحدثنا إسماعيل بن إبراهيم عن أيوب عن أبى حمزة قال : قلت لابن عباس إنى سريع القراءة وإنى اقرأ القرآن فى ثلاث ، فقال لأن أقرأ البقرة فى ليلة فأدبرها وأرتلها أحب إلى من أن أقرأ كما تقول . وحدثنا حجاج عن شعبة وحماد بن سلمة عن أبى حمزة عن ابن عباس نحو ذلك إلا أن فى حديث حماد أحب إلى من أن أقرأ القرآن أجمع هذرمة

ثم قال البخارى رحمه الله:

---

(١) ويرسمها بعضهم هنا « حاميم » ويعنى بالسورتين المضافتين إلى المفصل هنا : الدخان والتى تليها ، ويقال إنها كانت كذلك فى مصحف ابن مسعود والحديث تقدم

(مد القراءة)

حدثنا مسلم بن إبراهيم ثنا جرير بن حازم الأزدى ثنا قتادة قال سألت أنس بن مالك عن قراءة النبي ﷺ فقال كان يمد مداً . وهكذا رواه أهل السنن من حديث جرير بن حازم به حدثنا عمرو بن عاصم ثنا همام عن قتادة قال سئل أنس بن مالك كيف كان قراءة النبي ﷺ ؟ فقال كانت مداً ثم قرأ (بسم الله الرحمن الرحيم) يمد ببسم الله (١) ويمد بالرحمن ويمد بالرحيم

انفرد به البخارى من هذا الوجه . وفى معناه الحديث الذى رواه الإمام أبو عبيد ثنا أحمد بن عثمان عن عبدالله بن المبارك عن الليث بن سعد عن ابن أبى مليكة عن يعلى بن مملك عن أم سلمة أنها نعتت قراءة رسول الله ﷺ مفسرة حرفا حرفا . وهكذا رواه الإمام أحمد بن حنبل عن يحيى بن إسحق وأبو داود عن يزيد بن خالد الرملى والترمذى والنسائى كلاهما عن قتيبة كلهم عن الليث بن سعد به وقال الترمذى حسن صحيح

ثم قال أبو عبيد وحدثنا يحيى بن سعيد الأموى عن ابن جريج عن ابن أبى مليكة عن أم سلمة قالت كان رسول الله ﷺ يقطع قراءته (بسم الله الرحمن الرحيم * الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين) وهكذا رواه أبو داود من حديث ابن جريج وقال الترمذى غريب وليس إسناده بمتصل يعنى أن عبد الله بن عبيد الله بن أبى مليكة لم يسمعه من أم سلمة إنما رواه عن يعلى بن مملك كما تقدم والله تعالى أعلم

(الترجيع)

حدثنا آدم بن أبى إياس حدثنا شعبة حدثنا أبو إياس قال سمعت عبد الله بن مغفل قال رأيت النبي ﷺ وهو على ناقته أو جمله تسير به وهو يقرأ سورة الفتح أو من سورة الفتح قراءة لينة وهو يرجع . وقد تقدم هذا الحديث فى القراءة على الدابة وأنه من المتفق عليه ، وفيه أن ذلك كان يوم الفتح ، وأما الترجيع فهو الترديد فى الصوت كما جاء أيضاً فى البخارى أنه جعل يقول آآآ وكأن ذلك صدر من حركة الدابة تحته فدل على جواز التلاوة عليه وإن افضى إلى ذلك. ولا يكون ذلك من باب الزيادة فى الحروف بل ذلك مغتفر للحاجة كما يصلى على الدابة حيث توجهت به مع امكان تأخير ذلك والصلاة إلى القبلة والله أعلم

(حسن الصوت بالقراءة)

حدثنا محمد بن خلف أبو بكر حدثنا يحيى الحمانى ثنا يزيد بن عبد الله بن أبى بردة عن جده أبى بردة عن أبى موسى أن رسول الله ﷺ قال « يا أبا موسى لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود»

وهكذا رواه الترمذى عن موسى بن عبد الرحمن الكندى عن أبى يحيى الحمانى واسمه عبد الحميد بن عبد الرحمن وقال حسن صحيح . وقد رواه مسلم من حديث طلحة بن يحيى بن طلحة عن أبى بردة عن أبى موسى وفيه قصة ، وقد تقدم الكلام على تحسين الصوت عند قول البخارى من لم يتغن بالقرآن وذكرت هناك أحكاما أغنى عن إعادتها ههنا والله تعالى أعلم

---

(١) أى لام لفظ الجلالة والمد فى أسماء البسملة هو الذى يسميه القراء المد الطبيعى الذى لا يتحقق حرف المد بدونه وحروف المد هى الألف والواو والياء الساكنة

﴿ من أحب أن يسمع القراءة من غيره ﴾

حدثنا عمر بن حفص بن غياث ثنا أبي ثنا الأعمش عن إبراهيم عن عبيدة عن عبد الله قال : قال لي النبي ﷺ « اقرأ علي القرآن » قلت أقرأ عليك وعليك أنزل ! قال « إني أحب أن أسمعه من غيري »

وقد رواه الجماعة إلا ابن ماجه من طرق عن الأعمش ، وله طرق يطول بسطها ، وقد تقدم فيما رواه مسلم من حديث طلحة بن يحيى بن طلحة عن أبي بردة عن أبي موسى أن رسول الله ﷺ قال له « يا أبا موسى لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة » فقال أما والله لو أعلم أنك تستمع قراءتي لحبرتها لك تحبيرا . وقال الزهري عن أبي سلمة كان عمر إذا رأى أبا موسى قال : ذكرنا ربنا يا أبا موسى ، فيقرأ عنده ، وقال أبو عثمان النهدي كان أبو موسى يصلي بنا فلو قلت إني لم أسمع صوت صنج قط ولا بربط قط ولا شيئا قط أحسن من صوته .

﴿ قول المقرىء للقارىء حسبك ﴾

حدثنا محمد بن يوسف ثنا سفيان عن الأعمش عن إبراهيم عن عبيدة عن عبد الله قال : قال لي رسول الله ﷺ « اقرأ علي » فقلت يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل ؟ قال « نعم » فقرأت عليه سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً) قال « حسبك الآن » فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان ، أخرجه الجماعة إلا ابن ماجه من رواية الأعمش به ، ووجه الدلالة ظاهر وكذا الحديث الآخر « اقرءوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم فإذا اختلفتم فقوموا »

﴿ في كم يقرأ القرآن ﴾

وقول الله تعالى (فاقرءوا ما تيسر منه)

حدثنا علي حدثنا سفيان قال : قال لي ابن شبرمة نظرت كم يكفي الرجل من القرآن ؟ فلم أجد سورة أقل من ثلاث آيات ، فقلت لا ينبغي لأحد أن يقرأ أقل من ثلاث آيات . قال سفيان[1] أخبرنا منصور عن إبراهيم عن عبد الرحمن بن يزيد أخبره علقمة عن أبي مسعود فلقيته[2] وهو يطوف بالبيت فذكر النبي ﷺ أن « من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه »

وقد تقدم أن هذا الحديث متفق عليه وقد جمع البخاري فيما بين عبد الرحمن بن يزيد وعلقمة عن أبي مسعود وهو صحيح لأن عبد الرحمن سمعه أولا من علقمة ثم لقي أبا مسعود وهو يطوف فسمعه منه وعلي هذا هو ابن المديني وشيخه سفيان بن عيينة وما قاله عبد الله ابن الكوفة فقيه الكوفة في زمانه استنباط حسن

وقد جاء في حديث في السنن « لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب وثلاث آيات » ولكن هذا الحديث أعني حديث أبي مسعود أصح وأشهر وأخص ولكن وجه مناسبته للترجمة التي ذكرها البخاري فيه نظر . والله أعلم[3] والحديث الثاني أظهر في المناسبة وهو قوله:

---

(١) هذا لفظ رواية أبي ذر للبخاري وفيها اختصار وسائر الروايات : قال علي حدثنا سفيان الخ

(٢) في نسخة البخاري التي شرح عليها الحافظ والقسطلاني : ولقيته الخ . يعني أن عبد الرحمن كان سمع هذا الحديث من علقمة بن قيس عن أبي مسعود البدري رضي الله عنه ثم لقي أبا مسعود وهو يطوف فأخبره به

(٣) قال الحافظ في الرد على المؤلف في قوله هذا : وقد خفيت مناسبة حديث أبي مسعود بالترجمة على ابن كثير =

حدثنا موسى بن إسماعيل ثنا أبو عوانة عن مغيرة عن مجاهد عن عبدالله بن عمرو قال : أنكحني أبي امرأة ذات حسب فكان يتعاهد كنته فيسألها عن بعلها فتقول : نعم الرجل من رجل لم يطأ لنا فراشاً ولم يفتش لنا كنفاً(١) منذ أتيناه . فلما طال ذلك عليه ذكر للنبي ﷺ فقال « القني به » فلقيته بعد فقال « كيف تصوم ؟ » قال كل يوم قال « كيف تختم ؟ » قال كل ليلة ، قال « صم كل شهر ثلاثة ، واقرأ القرآن في كل شهر » قال قلت إني أطيق أكثر من ذلك قال « صم ثلاثة أيام في الجمعة » قلت أطيق أكثر من ذلك قال « أفطر يومين وصم يوماً » قلت أطيق أكثر من ذلك قال « صم، أفضل الصوم صوم داود صيام يوم وافطار يوم ، واقرأ في كل سبع ليال مرة » فليتني قبلت رخصة رسول الله ﷺ وذلك أني كبرت وضعفت ، فكان يقرأ على بعض أهله السبع من القرآن بالنهار والذي يقرأ يعرضه بالنهار ليكون أخف عليه بالليل ، وإذا أراد أن يتقوى أفطر أياماً وأحصى وصام مثلهن كراهية أن يترك شيئاً فارق عليه النبي ﷺ وقال بعضهم في ثلاث وفي خمس وأكثرهم على سبع

وقد رواه في الصوم والنسائي أيضاً عن بندار عن غندر عن شعبة عن مغيرة ، والنسائي من حديث حصين كلاهما عن مجاهد به

ثم روى البخاري ومسلم وأبو داود من حديث يحيى بن أبي كثير عن محمد بن عبد الرحمن مولى أبي هريرة عن أبي سلمة قال وأحسبني سمعت أنا من أبي سلمة عن عبد الله بن عمرو قال : قال النبي ﷺ « اقرأ القرآن في شهر » قلت إني أجد قوة قال « فاقرأه في سبع ولا تزد على ذلك » فهذا السياق ظاهره يقتضي المنع من قراءة القرآن في أقل من سبع ، وهكذا الحديث الذي رواه أبو عبيد : ثنا حجاج وعمر بن طارق ويحيى بن بكير كلهم عن ابن لهيعة عن حبان بن واسع عن أبيه عن قيس بن صعصعة أنه قال للنبي ﷺ يا رسول الله في كم أقرأ القرآن ؟ قال « في كل خمس عشرة » قال إني أجدني أقوى من ذلك قال « ففي كل جمعة »

وحدثنا حجاج عن شعبة عن محمد بن ذكوان رجل من أهل الكوفة قال سمعت عبد الرحمن بن عبد الله ابن مسعود يقول كان عبد الله بن مسعود يقرأ القرآن في غير رمضان من الجمعة إلى الجمعة . وعن حجاج عن شعبة عن أيوب سمعت أبا قلابة عن أبي المهلب قال كان أبيّ بن كعب يختم القرآن في كل ثمان وكان تميم الداري يختمه في كل سبع وحدثنا هشيم عن الأعمش عن إبراهيم قال كان الأسود يختم القرآن في كل ست وكان علقمة يختمه في كل خمس ، فلو تركنا ومجرد هذا لكان الأمر في ذلك جلياً ، ولكن دلت أحاديث أخر على جواز قراءته فيما دون ذلك كما رواه الإمام أحمد في مسنده حدثنا حسن ثنا ابن لهيعة حدثنا حبان بن واسع عن أبيه عن سعد بن المنذر الأنصاري أنه قال يا رسول الله أقرأ القرآن في ثلاث ؟ قال « نعم » قال فكان يقرؤه حتى توفي . وهذا إسناد جيد قوي حسن فإن حسن بن موسى الأشيب ثقة متفق على جلالته روى له الجماعة وابن لهيعة ، إنما يخشى من تدليسه أو سوء حفظه ، وقد صرح ههنا بالسماع ، وهو من أئمة العلماء بالديار المصرية في زمانه ، وشيخه حبان بن واسع ابن حبان وأبوه كلاهما من رجال مسلم والصحابي لم يخرج له أحد من أهل الكتب الستة وهذا على شرط كثير منهم والله أعلم .

= والذي يظهر أنها من جهة أن الآية المترجم بها تناسب ما استدل به ابن عيينة من حديث أبي مسعود ، والجامع بينهما أن كلا من الآية والحديث يدل على الاكتفاء بخلاف ما قال ابن شبرمة اهـ .

يقول محمد رشيد رضا صاحب هذه التعليقات يريد البخاري أن آية المزمل ترد على ابن شبرمة في قوله: لا ينبغي لأحد أن يقرأ أقل من ثلاث آيات يعني في الصلاة أو في قيام الليل ، وكذا حديث أبي مسعود المرفوع الصريح في الاكتفاء بآيتين وهما آخر سورة البقرة.

(١) وفي رواية ولم يغش من الغشيان . وهو كناية عن عدم مضاجعتها. والكنف : الستر والجانب

وقد رواه أبو عبيد رحمه الله عن ابن بكير عن ابن لهيعة عن حبان بن واسع عن أبيه عن سعد بن المنذر الأنصاري أنه قال يارسول الله أقرأ القرآن فى ثلاث ؟ قال « نعم إن استطعت » قال فكان يقرؤه كذلك حتى توفى

﴿ حديث آخر ﴾ قال أبو عبيد ثنا يزيد عن همام عن قتادة عن يزيد بن عبد الله بن الشخير عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ « لاتفقه فى قراءة فى أقل من ثلاث » وهكذا أخرجه أحمد وأصحاب السنن الأربعة من حديث قتادة به وقال الترمذى حسن صحيح

﴿ حديث آخر ﴾ قال أبوعبيد ثنا يوسف بن العرف عن الطيب بن سليمان قال حدثتنا عمرة بنت عبدالرحمن أنها سمعت عائشة تقول : كان رسول الله ﷺ لايختم القرآن فى أقل من ثلاث . هذا حديث غريب جدا وفيه ضعف فان الطيب بن سلمان هذا يصرى ضعفه الدارقطنى وليس هو بذاك المشهور والله أعلم .

وقد كره غير واحد من السلف قراءة القرآن فى أقل من ثلاث كما هو مذهب أبى عبيد وإسحاق بن راهويه وغيرهما من الخلف أيضا

قال أبو عبيد ثنا يزيد عن هشام بن حسان عن حفصة عن أبى العالية عن معاذ بن جبل أنه كان يكره أن يقرأ القرآن فى أقل من ثلاث ، صحيح

وحدثنا يزيد عن سفيان عن على بن بذيمة عن أبى عبيدة قال عبدالله : من قرأ القرآن فى أقل من ثلاث فهو راجز وحدثنا حجاج عن شعبة عن على بن بذيمة عن أبى عبيدة عن عبد الله مثله ، وحدثنا حجاج عن شعبة عن محمد بن ذكوان عن عبد الله بن مسعود عن أبيه أنه كان يقرأ القرآن فى رمضان فى ثلاث . إسناد صحيح

﴿ فصل ﴾

وقد ترخص جماعات من السلف فى تلاوة القرآن فى أقل من ذلك، منهم أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه قال أبوعبيد رحمه الله حدثنا حجاج عن ابن جريج أخبرنى ابن خصيفة عن السائب بن يزيد أن رجلا سأل عبدالرحمن ابن عثمان التيمى عن صلاة طلحة بن عبيد الله فقال إن شئت أخبرتك عن صلاة عثمان رضى الله عنه فقال نعم قال : قلت لأغلبن الليلة على الحجر فقمت فلما قمت إذا أنا برجل مقنع يزحمنى فنظرت فاذا عثمان بن عفان رضى الله عنه فتأخرت عنه فصلى فاذا هو يسجد سجود القرآن حتى إذا قلت هذه هوادى الفجر أوتر بركعة لم يصل غيرها . وهذا إسناد صحيح ثم قال ثنا هشيم أنا منصور عن ابن سيرين قال : قالت نائلة بنت الفرافصة الكلبية حيث دخلوا على عثمان ليقتلوه : ان تقتلوه أوتدعوه فقد كان يحيى الليل كله بركعة يجمع فيها القرآن . وهذا حسن

وقال أيضا حدثنا أبو معاوية عاصم عن ابن سليمان عن ابن سيرين أن تميما الدارى قرأ القرآن فى ركعة . حدثنا حجاج عن شعبة عن حماد عن سعيد بن جبير أنه قال: قرأت القرآن فى ركعة فى البيت ، يعنى الكعبة .

وحدثنا جرير عن منصور عن إبراهيم عن علقمة أنه قرأ القرآن فى ليلة : طاف بالبيت أسبوعا ثم أتى المقام فصلى عنده فقرأ بالمئين ، ثم طاف أسبوعا ثم أتى المقام فصلى عنده فقرأ بالمثانى ، ثم طاف بالبيت أسبوعا ثم أتى المقام فصلى عنده فقرأ بقية القرآن . وهذه كلها أسانيد صحيحة .

ومن أغرب ماههنا مارواه أبوعبيد رحمه الله حدثنا سعيد بن عفير عن بكر بن مضر أن سليم بن عتر التجيبى كان يقرأ القرآن فى ليلة ثلاث مرات ويجامع ثلاث مرات ، قال فلما مات قالت امرأته رحمك الله إن كنت لترضى ربك وترضى أهلك ، قالوا وكيف ذلك ؟ قالت كان يقوم من الليل فيختم بالقرآن ثم يلم بأهله ، ثم يغتسل ويعود فيقرأ حتى يختم ثم يلم بأهله ، ثم يغتسل ويعود فيقرأ حتى يختم ، ثم يلم بأهله ثم يغتسل ويخرج إلى صلاة الصبح .

قلت كان سليم بن عتر تابعيا جليلا ثقة نبيلا وكان قاضيا بمصر أيام معاوية وقاصها ، قال أبو حاتم روى عن أبى الدرداء وعنه ابن زحر ثم قال حدثنى محمد بن عون عن أبى صالح كاتب الليث حدثنى حرملة بن عمران عن كعب بن علقمة قال كان سليم بن عتر من خير التابعين — وذكره ابن يونس فى تاريخ مصر — وقد روى ابن أبى داود عن مجاهد أنه كان

يختم القرآن فيما بين المغرب والعشاء ، وعن منصور قال كان على الأزدى يختم فيما بين المغرب والعشاء كل ليلة من رمضان (١) وعن ابراهيم بن سعد قال كان أبي يحتبي فما يحل حبوته حتى يختم القرآن .

قلت وروى عن منصور بن زاذان أنه كان يختم فيما بين الظهر والعصر ويختم أخرى فيما بين المغرب والعشاء وكانوا يؤخرونها قليلا ، وعن الامام الشافعي رحمه الله أنه كان يختم في اليوم والليلة من شهر رمضان ختمتين وفي غيره ختمة . وعن أبي عبد الله البخاري صاحب الصحيح أنه كان يختم في الليلة ويومها من رمضان ختمة .

ومن غريب هذا وبديعه ما ذكره الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي الصوفي قال سمعت الشيخ أبا عثمان المغربي يقول كان ابن الكاتب يختم بالنهار أربع ختمات ، وبالليل أربع ختمات وهذا نادر جدا ، فهذا وأمثاله من الصحيح عن السلف محمول إما على أنه ما بلغهم في ذلك حديث مما تقدم أو أنهم كانوا يفهمون ويتفكرون فيما يقرءونه مع هذه السرعة والله سبحانه وتعالى أعلم .

قال الشيخ أبو زكريا النواوي في كتابه ﴿ البيان ﴾ (٢) بعد ذكر طرف مما تقدم ، والاختيار أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص فمن كان له بدقيق الفكر لطائف ومعارف فليقتصر على قدر يحصل له كمال فهم ما يقرؤه وكذا من كان مشغولا بنشر العلم وغيره من مهمات الدين ومصالح المسلمين العامة فليقتصر على قدر لا يحصل بسببه إخلال بما هو مرصد له ، وإن لم يكن من هؤلاء فليستكثر ما أمكنه من غير خروج إلى حد الملل والهذرمة . ثم قال البخاري رحمه الله

﴿ البكاء عند قراءة القرآن ﴾

وأورد فيه من رواية الأعمش عن إبراهيم بن عبيدة عن عبد الله — هو ابن مسعود — قال : قال رسول الله ﷺ « اقرأ علي » قلت أقرأ عليك وعليك أنزل ؟ قال « إني أشتهي أن أسمعه من غيري » قال فقرأت النساء حتى إذا بلغت (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ؟) قال لي « كف أو أمسك » فاذا عيناه تذرفان وهذا من المتفق عليه كما تقدم وكما سيأتي إن شاء الله

﴿ من راءى بقراءة القرآن أو تأكل به أو فخر به ﴾

حدثنا محمد بن كثير أنا سفيان ثنا الأعمش عن خيثمة عن سويد بن عفلة عن علي رضي الله عنه قال سمعت النبي ﷺ يقول « يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من خير قول البرية ، يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية ، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم ، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم ، فان قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة » وقد روى في موضعين آخرين ومسلم وأبو داود والنسائي من طرق عن الأعمش به

حدثنا عبد الله بن يوسف ثنا مالك عن يحيى بن سعيد عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم ، وصيامكم مع صيامهم ، وعملكم مع عملهم ، ويقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من

---

(١) هذا محمول على أنه كان يقرأ آخر القرآن في هذا الوقت فيتم به ما بدأه في عامة يومه وليلته السابقة ، فمن المعلوم بالضرورة أن ما بين المغرب والعشاء لا يكفي لقراءة ربع ختمة إلا بالهذرمة المنهي عنها لمنافاتها التدبر كما تقدم في موضعه . إلا أن تكون القراءة روحية لا لسانية وللصوفية غرائب يتناقلونها في هذه الكرامات الروحية حتى ذكر الشعراني عن بعضهم قراءة القرآن مئات الألوف وألوف الألوف ، وأكثر ما تيسر لكاتب هذه التعليقات في أيام الفراغ أنه كان يقرأ في بعض أيام رمضان ختمة كاملة والذي تربينا عليه منذ سن التمييز أننا كنا نتدارس القرآن مع كبير أهل بيتنا السيد أحمد أبو الكمال عم والدي فنقرأ معه كل يوم من أيام رمضان نصف ختمة كل واحد منا يقرأ ربع حزب بالتجويد المعتدل

(٢) كذا وتقدم في مبحث القراءة في المصحف أنه التبيان

الرمية ، ينظر فى النصل فلا يرى شيئا ، وينظر فى القدح فلا يرى شيئا ، وينظر فى الريش فلا يرى شيئا ، ويتمارى فى الفوق »

ورواه فى موضع آخر ومسلم أيضا والنسائى من طرق عن الزهرى عن أبى سلمة به وابن ماجه من رواية محمد بن عمرو بن علقمة عن أبى سلمة به

حدثنا مسدد بن مسرهد حدثنا يحيى بن سعيد عن شعبة عن قتادة عن أنس بن مالك عن أبى موسى رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال « المؤمن الذى يقرأ القرآن ويعمل به كالأترجة طعمها طيب وريحها طيب ، والمؤمن الذى لا يقرأ القرآن ويعمل به كالتمرة طعمها طيب ولا ريح لها ، ومثل المنافق الذى يقرأ القرآن كالريحانة ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل المنافق الذى لا يقرأ القرآن كالحنظلة طعمها مر — أو خبيث — وريحها مر »

ورواه فى مواضع أخر مع بقية الجماعة من طرق عن قتادة به

ومضمون هذه الأحاديث التحذير من المراءاة بتلاوة القرآن التى هى من أعظم القرب كما جاء فى الحديث « واعلم أنك لن تتقرب إلى الله بأعظم مما خرج منه » يعنى القرآن . والمذكورون فى حديث على وأبى سعيد هم الخوارج وهم الذين لا يجاوز إيمانهم حناجرهم وقد قال فى الرواية الأخرى « يحقر أحدكم قراءته مع قراءتهم وصلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم » ومع هذا أمر بقتلهم لأنهم مراءون فى أعمالهم فى نفس الأمر وإن كان بعضهم قد لا يقصد ذلك إلا أنهم أسسوا أعمالهم على اعتقاد غير صالح فكانوا فى ذلك كالمذمومين فى قوله (أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أمن أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به فى نار جهنم والله لا يهدى القوم الظالمين) وقد اختلف العلماء فى تكفير الخوارج وتفسيقهم ورد رواياتهم كما سيأتى تفصيله فى موضعه إن شاء الله تعالى .

والمنافق المشبه بالريحانة التى لها ريح ظاهر وطعمها مر هو المرائى بتلاوته كما قال تعالى (إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا) ثم قال البخارى

﴿ اقرءوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم ﴾

حدثنا أبو النعمان محمد بن الفضيل عارم (١) ثنا حماد بن زيد عن أبى عمران الجونى عن جندب بن عبد الله رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال « اقرءوا القرآن ما ائتلفت قلوبكم فإذا اختلفتم فقوموا عنه » حدثنا عمرو بن على بن بحر الفلاس ثنا عبد الرحمن بن مهدى ثنا سلام بن أبى مطيع عن أبى عمران الجونى عن جندب قال : قال رسول الله ﷺ « اقرءوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم فإذا اختلفتم فقوموا » تابعه الحارث بن عبيد وسعيد بن زيد عن أبى عمران ولم يرفعه حماد بن سلمة وأبان . وقال غندر عن شعبة عن أبى عمران قال سمعت جندبا قوله (٢) وقال ابن عون عن أبى عمران عن عبد الله بن الصامت عن عمر قوله ، وجندب أكثر وأصح

وقد رواه فى مواضع آخر ومسلم كلاهما عن إسحق بن منصور عن عبد الصمد عن همام عن أبى عمران به ، ومسلم أيضا عن يحيى بن يحيى عن الحارث بن عبيد أبى قدامة عن أبى عمران ورواه مسلم أيضا عن أحمد بن سعيد بن حبان ابن هلال عن أبان العطار عن أبى عمران به مرفوعا ، وقد حكى البخارى أن أبانا وحماد بن سلمة لم يرفعاه فالله أعلم ، ورواه النسائى والطبرانى من حديث مسلم بن إبراهيم عن هارون بن موسى الأعور النحوى عن أبى عمران به .

---

(١) كذا فى النسخة وفى نسخة ابن حجر والقسطلانى وغيرهما ذكر أبى النعمان بكنيته فقط واسمه محمد بن الفضل السدوسى ويلقب بعارم ولم يكن عارما . وابن كثير يكثر فيما ينقله من صحيح البخارى فى هذا الكتاب من مثل هذه الزيادة للايضاح ويحتمل أن يكون لبعضها رواية عنه

(٢) قوله : قوله يعنى به حديثا وقع أنه من قوله غير مرفوع إلى النبى ﷺ .

ورواه النسائى أيضا من طرق عن سفيان عن الحجاج بن قرافصة عن أبى عمران به مرفوعا ، وفى رواية عن هارون ابن زيد بن أبى الزرقاء عن أبيه عن سفيان عن حجاج عن أبى عمران عن جندب موقوفا . ورواه عن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم عن إسحق بن الأزرق عن عبد الله بن عون عن أبى عمران عن عبد الله بن الصامت عن عمر قوله . قال أبو بكر بن أبى داود لم يخطىء ابن عون فى حديث قط إلا فى هذا ، والصواب عن جندب . ورواه الطبرانى عن على بن عبد العزيز عن مسلم بن إبراهيم وسعيد بن منصور قالا : ثنا الحارث بن عبيد عن أبى عمران عن جندب مرفوعا . فهذا ما تيسر من ذكر طرق هذا الحديث على سبيل الاختصار . والصحيح منها ما أرشد إليه شيخ هذه الصناعة أبو عبد الله البخارى من الأكثر والأصح أنه عن جندب بن عبد الله مرفوعا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

ومعنى الحديث أنه عليه السلام أرشد وحض أمته على تلاوة القرآن إذا كانت القلوب مجتمعة على تلاوته متفكرة متدبرة له لا فى حال شغلها وملالها فانه لا يحصل المقصود من التلاوة بذلك كما ثبت فى الحديث أنه قال عليه السلام « اكلفوا من العمل ما تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا » وقال « أحب الأعمال إلى الله ما دام عليه صاحبه — وفى اللفظ الآخر — أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل »

ثم قال البخارى : ثنا سليمان بن حرب ثنا شعبة عن عبد الملك بن ميسرة عن النزال بن سبرة عن عبد الله — هو ابن مسعود — أنه سمع رجلا يقرأ آية سمع من النبى ﷺ خلافها ، فأخذت بيده فانطلقت إلى النبى ﷺ فقال « كلا كما محسن فاقرآ — أكبر على قال — فان من قبلكم اختلفوا فيه فأهلكهم الله عز وجل » (١)

وأخرجه النسائى من رواية شعبة به . وهذا فى معنى الحديث الذى تقدمه وأنه ينهى عن الاختلاف فى القراءة والمنازعة فى ذلك والمراء فيه كما تقدم فى النهى عن ذلك والله أعلم .

وقريب من هذا ما رواه عبد الله بن الإمام أحمد فى مسند أبيه ثنا أبو محمد سعيد بن محمد الجرمى ثنا يحيى بن سعيد الأموى عن الأعمش عن عاصم عن زر بن حبيش قال : قال عبد الله بن مسعود : تمارينا فى سورة من القرآن فقلنا خمس وثلاثون آية ، ست وثلاثون آية ، قال فانطلقنا إلى رسول الله ﷺ فوجدنا علياً يناجيه فقلنا له اختلفنا فى القراءة فاحمر وجه رسول الله ﷺ فقال على : إن رسول الله ﷺ يأمركم أن تقرءوا كما علمتم . وهذا (٢) آخر ما أورده البخارى رحمه الله فى كتاب فضائل القرآن ولله الحمد والمنة

﴿ كتاب الجامع لأحاديث شتى ﴾

﴿ متعلق بتلاوة القرآن وفضائله وفضل أهله ﴾

﴿ فصل ﴾ قال أحمد ثنا معاوية بن هشام ثنا شيبان عن فراس عن عطية عن أبى سعيد قال : قال نبى الله ﷺ « يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة اقرأ وارق واصعد ، فيقرأ ويصعد بكل آية درجة حتى يقرأ آخر شىء معه »

وقال أحمد ثنا أبو عبد الرحمن حدثنا حيوة حدثنى بشير بن أبى عمرو الخولانى أن الوليد بن قيس التجيبى حدثه أنه سمع أبا سعيد الخدرى يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول « يكون خلف من بعد الستين سنة ، أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً ، ثم يكون خلف يقرءون القرآن لا يعدو تراقيهم ، ويقرأ القرآن ثلاثة : مؤمن ومنافق وفاجر » قال بشير فقلت للوليد ما هؤلاء الثلاثة ؟ قال المنافق كافر به ، والفاجر يتأكل به ، والمؤمن يؤمن به

---

(١) الذى فى نسخ البخارى « فان من كان قبلكم اختلفوا فأهلكهم » أى فأهلكهم الله ، كما قال القسطلانى أو المعنى فأهلكهم الاختلاف . قال الحافظ فى شرحه من الفتح وفى رواية المستملى « فأهلكوا » بضم أوله ولم يذكر ما أورد ابن كثير هنا

(٢) أى هذا الباب الذى وضعنا الحاشية الأولى هنا لآخر كلمة منه

وقال أحمد ثنا حجاج ثنا ليث حدثنى يزيد بن أبى حبيب عن أبى الخير عن أبى الخطاب عن أبى سعيد أنه قال إن رسول الله عام تبوك خطب الناس وهو مسند ظهره إلى نخلة فقال « ألا أخبركم بخير الناس وشر الناس ؟ إن خير الناس رجل عمل فى سبيل الله على ظهر فرسه أوعلى ظهر بعيره أو على قدميه حتى يأتيه الموت ، وإن من شر الناس رجلا فاجراً يقرأ كتاب الله لا يرعوى إلى شىء منه »

وقال الحافظ أبو بكر البزار ثنا محمد بن عمر بن هياج الكوفى ثنا الحسين بن عبد الأعلى ثنا محمد بن الحسن الهمدانى عن عمرو بن قيس عن عطية عن أبى سعيد قال : قال رسول الله ﷺ « يقول الله تعالى من شغله قراءة القرآن عن دعائى أعطيته أفضل ثواب الشاكرين » وقال رسول الله ﷺ « إن فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه » ثم قال تفرد به محمد بن الحسن ولم يتابع عليه .

وقال الإمام أحمد ثنا أبو عبيدة الحداد حدثنى عبد الرحمن بن بديل بن ميسرة حدثنى أبى عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « إن لله أهلين من الناس » قيل من هم يا رسول الله ؟ قال « أهل القرآن هم أهل الله وخاصته »

وقال أبو القاسم الطبرانى ثنا محمد بن على بن شعيب السمسار ثنا خالد بن خداش ثنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس بن مالك رضى الله عنه كان إذا ختم القرآن جمع أهله وولده فدعا لهم . وقال الحافظ أبو القاسم الطبرانى ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ثنا محمد بن عباد المكى ثنا حاتم بن إسماعيل عن شريك عن الأعمش عن زيد ابن أبان عن الحسن عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « القرآن غنى لا فقر بعده ولا غنى دونه »

وقال الحافظ أبو بكر البزار ثنا سلمة بن شبيب ثنا عبد الرزاق ثنا عبد الله بن المحرر عن قتادة عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لكل شىء حلية ، وحلية القرآن الصوت الحسن » ابن المحرر ضعيف .

وقال الإمام أحمد حدثنا حسن ثنا ابن لهيعة ثنا بكر بن سوادة عن وفاء الحولانى عن أنس ابن مالك قال : بينما نحن نفر فينا العربى والعجمى والأسود والأبيض إذ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « أنتم فى خير تقرءون كتاب الله وفيكم رسول الله وسيأتى على الناس زمان يثقفونه كما يثقف القدح يتعجلون أجورهم ولا يتأجلونها » .

وقال الحافظ أبو بكر البزار ثنا يوسف بن موسى ثنا عبد الله بن الجهم ثنا عمرو بن أبى قيس عن عبد ربه ابن عبد الله عن عمر بن نبهان عن الحسن عن أنس أن النبى ﷺ قال « إن البيت الذى يقرأ فيه القرآن يكثر خيره والبيت الذى لا يقرأ فيه القرآن يقل خيره » .

وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا الفضل بن الصبح حدثنا أبو عبيدة حدثنى يزيد الرقاشى عن أنس قال قعد أبو موسى فى بيت واجتمع إليه ناس فأنشأ يقرأ عليهم القرآن قال فأتى رسول الله ﷺ رجل فقال يا رسول الله ألا أعجبك من أبى موسى انه قعد فى بيت واجتمع إليه ناس فأنشأ فقرأ عليهم القرآن قال : فقال رسول الله ﷺ « أتستطيع أن تقعدنى حيث لا يرانى منهم أحد ؟ » قال نعم قال فخرج رسول الله ﷺ فأقعده الرجل حيث لا يراه منهم أحد فسمع قراءة أبى موسى فقال « إنه ليقرأ على مزمار من مزامير داود عليه السلام» هذا حديث غريب ويزيد الرقاشى ضعيف .

وقال الإمام أحمد حدثنا مصعب بن سلام ثنا جعفر هو ابن محمد بن على بن الحسين عن أبيه عن جابر ابن عبد الله قال خطبنا لرسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : « أما بعد فان أصدق الحديث كتاب الله ، وإن أفضل الهدى هدى محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة » ثم يرفع صوته وتحمر

وجنتاه ويشتد غضبه إذا ذكر الساعة كأنه منذر جيش قال ثم يقول « أتتكم الساعة بعثت أنا والساعة هكذا ـ وأشار باصبعيه السبابة والوسطى ـ صبحتكم الساعة ومستكم ، من ترك ما لا فلأهله ومن ترك دينا أو ضياعا فالي وعلي » .

وقال الإمام أحمد ثنا عبد الوهاب ـ يعني ابن عطاء ـ أنا أسامة بن زيد الليثي عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال دخل رسول الله ﷺ المسجد فإذا قوم يقرءون القرآن قال « اقرءوا القرآن وابتغوا به الله عزوجل من قبل أن يأتي قوم يقيمونه إقامة القدح يتعجلونه ولا يتأجلونه »

وقال أحمد أيضاً ثنا خلف بن الوليد ثنا خالد عن حميد الأعرج عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نقرأ القرآن وفينا العجمي والأعرابي قال فاستمع قال: فقال « اقرءوا فكل حسن وسيأتي قوم يقيمونه كما يقام القدح يتعجلونه ولا يتأجلونه »

وقال أبو بكر البزار ثنا أبو كريب محمد بن العلاء ثنا عبد الله بن الأجلح عن الأعمش على المعلى الكندي عن عبد الله بن مسعود قال : إن هذا القرآن شافع مشفع من اتبعه قاده إلى الجنة ومن تركه أو أعرض عنه ـ أو كلمة نحوها ـ دح[1] في قفاه إلى النار . وحدثنا أبو كريب ثنا عبد الله بن الأجلح عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر عن عبد الله عن النبي ﷺ بنحوه .

وقال الحافظ أبو يعلى : ثنا أحمد بن عبد العزيز بن مروان أبو صخر حدثني بكير بن يونس عن موسى بن علي عن أبيه عن يحيى بن كثير[2] اليمامي عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال « من قرأ ألف آية كتب له قنطاراً ، والقنطار مائة رطل والرطل ثنتا عشرة أوقية والأوقية ستة دنانير والدينار أربعة وعشرون قيراطا والقيراط مثل أحد ، ومن قرأ ثلا ثمائة قال الله للملائكته نصب عبدي كي أشهدكم يا ملائكتي إني قد غفرت له ، ومن بلغه عن الله فضيلة فعمل بها إيماناً به ورجاء ثوابه أعطاه الله ذلك وإن لم يكن ذلك كذلك »

وقال أحمد ثنا جرير عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الرجل ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب » قال البزار لا نعلمه يروى عن ابن عباس إلا من هذا الوجه

وقال الطبراني ثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة حدثني أبي قال وجدت في كتاب أبي بخطه عن عمران بن أبي عمران عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « من اتبع كتاب الله هداه الله من الضلالة ووقاه سواء الحساب يوم القيامة وذلك أن الله عز وجل يقول (فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى) »

وقال الطبراني ثنا يحيى بن عثمان بن صالح ثنا أبي ثنا ابن لهيعة عن عمرو بن دينار عن طاوس عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال « إن أحسن الناس قراءة من قرأ القرآن يتحزن به » .

وقال أيضا حدثنا أبو يزيد القراطيسي ثنا نعيم بن حماد ثنا عبد الله بن سليمان عن سعيد أبي سعد البقال عن الضحاك عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « أحسنوا الأصوات بالقرآن » وروى أيضا بسنده الى الضحاك عن ابن عباس مرفوعا « أشراف أمتي حملة القرآن » .

وقال الطبراني ثنا معاذ بن المثنى ثنا ابراهيم بن أبي سويد الذارع ثنا صالح المري عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن ابن عباس قال سأل رجل رسول الله ﷺ فقال أي الأعمال أحب الى الله ؟ فقال « الحال المرتحل » قال يا رسول الله ما الحال المرتحل ؟ قال « صاحب القرآن يضرب في أوله حتى يبلغ آخره وفي آخره حتى يبلغ أوله »

---

(١) الدح والدع : الدفع بعنف (٢) في تقرير التهذيب أنه يحيى بن أبي كثير

﴿ ذكر الدعاء المأثور لتحفظ القرآن وطرد النسيان ﴾

قال أبو القاسم الطبرانى فى معجمه الكبير ثنا الحسين بن اسحاق التسترى ثنا هشام بن عمار ثنا محمد بن ابراهيم القرشى حدثنى أبو صالح وعكرمة عن ابن عباس قال : قال على بن أبى طالب يا رسول الله القرآن يتفلت من صدرى فقال النبى ﷺ « أعلمك كلمات ينفعك الله بهن وينفع من علمته ؟ — قال نعم بأبى أنت وأمى قال — صل ليلة الجمعة أربع ركعات تقرأ فى الركعة الأولى بفاتحة الكتاب ويس ، وفى الثانية بفاتحة الكتاب وبحم الدخان . وفى الثالثة بفاتحة الكتاب وبحم تنزيل السجدة ، وفى الرابعة بفاتحة الكتاب وتبارك المفصل ، فاذا فرغت من التشهد فاحمد الله وأثن عليه وصل على النبيين واستغفر للمؤمنين ثم قل اللهم ارحمنى بترك المعاصى أبدا ما أبقيتنى ، وارحمنى من أن أتكلف مالا يعنينى ، وارزقنى حسن النظر فيما يرضيك عنى ، اللهم بديع السموات والأرض ذا الجلال والاكرام ، والعزة التى لا ترام أسألك يا ألله يا رحمن بجلالك ونور وجهك أن تلزم قلبى حب كتابك كما علمتنى ، وارزقنى أن أتلوه على النحو الذى يرضيك عنى ، وأسألك أن تنور بالكتاب بصرى ، وتطلق به لسانى ، وتفرج به عن قلبى ، وتشرح به صدرى ، وتستعمل به بدنى ، وتقوينى على ذلك وتعيننى عليه ، فانه لا يعيننى على الخير غيرك ولا موفق له إلا أنت ، فافعل ذلك ثلاث جمع أو خمسا أو سبعا تحفظه باذن الله وما أخطأ مؤمنا قط » فأتى النبى ﷺ بعد ذلك بسبع جمع فأخبره بحفظ القرآن والحديث فقال النبى ﷺ « مؤمن ورب الكعبة ، علم أبا الحسن علم أبا الحسن » هذا سياق الطبرانى .

وقال أبو عيسى الترمذى فى كتاب الدعوات من جامعه : حدثنا أحمد بن الحسن ثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقى ثنا الوليد بن مسلم ثنا ابن جريج عن عطاء بن أبى رباح وعكرمة مولى ابن عباس عن ابن عباس أنه قال : بينا نحن عند رسول الله ﷺ إذ جاءه على بن أبى طالب فقال بأبى أنت وأمى تفلت هذا القرآن من صدرى فما أجدنى أقدر عليه فقال له رسول الله ﷺ « يا أبا الحسن أفلا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن وتنفع بهن من علمته ويثبت ما تعلمت فى صدرك ؟ — ، قال أجل يا رسول الله فعلمنى قال — إذا كانت ليلة الجمعة فان استطعت أن تقوم فى ثلث الليل الآخر فانها ساعة مشهودة والدعاء فيها مستجاب ، وقال أخى يعقوب لبنيه (سوف أستغفر لكم ربى) يقول حتى تأتى ليلة الجمعة فان لم تستطع فقم فى وسطها فان لم تستطع فقم فى أولها فصل أربع ركعات تقرأ فى الأولى بفاتحة الكتاب وسورة يس ، وفى الركعة الثانية بفاتحة الكتاب وحم الدخان ؛ وفى الركعة الثالثة بفاتحة الكتاب والم تنزيل السجدة ، وفى الركعة الرابعة بفاتحة الكتاب وتبارك المفصل ، فاذا فرغت من التشهد فاحمد الله وأحسن الثناء على الله وصل على وأحسن وعلى سائر النبيين ، واستغفر للمؤمنين والمؤمنات ولاخوانك الذين سبقوك بالإيمان ، ثم قل فى آخر ذلك اللهم ارحمنى بترك المعاصى أبدا ما أبقيتنى ، وارحمنى أن أتكلف ما لا يعنينى ، وارزقنى حسن النظر فيما يرضيك عنى ، اللهم بديع السموات والارض ذا الجلال والاكرام ، والعزة التى لا ترام ، أسألك يا ألله يا رحمن بجلالك ونور وجهك أن تنور بكتابك بصرى ، وأن تطلق به لسانى ، وأن تفرج به عن قلبى ، وأن تشرح به صدرى ، وأن تغسل به بدنى ، فانه لا يعيننى على الخير غيرك ولا يؤتيه إلا أنت ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، يا أبا الحسن تفعل ذلك ثلاث جمع أو خمسا أو سبعا تجاب باذن الله ، والذى بعثنى بالحق ما أخطأ مؤمنا قط » قال ابن عباس فوالله ما لبث على إلا خمسا أو سبعا حتى جاء رسول الله ﷺ فى ذلك المجلس فقال يا رسول الله والله إنى كنت فيما خلا لا آخذ إلا أربع آيات أو نحوهن فاذا قرأتهن على نفسى تفلتن وأنا أتعلم اليوم أربعين آية أو نحوها فاذا قرأتها على نفسى فكأنما كتاب الله بين عينى ولقد كنت أسمع الحديث فاذا رددته تفلت وأنا اليوم أسمع الأحاديث فاذا تحدثت بها لم أخرم منها حرفا . فقال له رسول الله ﷺ عند ذلك « مؤمن ورب الكعبة أبا الحسن » ثم قال الترمذى : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث الوليد بن مسلم . كذا قال وقد تقدم من غير طريقه . ورواه الحاكم فى مستدركه من طريق الوليد ثم قال على

شرط الشيخين ولا شك أن سنده من الوليد على شرط الشيخين حيث صرح الوليد بالسماع من ابن جريج فالله أعلم فانه من البين غرابته بل نكارته (١) والله أعلم .

وقال الامام أحمد حدثنا وكيع ثنا العمرى عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ «مثل القرآن مثل الابل المعقلة إن تعاهدها صاحبها أمسكها وان تركها ذهبت » ورواه أيضا عن محمد بن عبيد ويحيى بن سعيد عن عبيد الله العمرى به ، ورواه أيضا عن عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن نافع عن ابن عمر مرفوعا بنحوه .

وقال البزار ثنا محمد بن معمر ثنا حميد بن حماد بن أبى الحوار ثنا مسعر عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال: سئل رسول الله أى الناس أحسن قراءة ؟ قال « من اذا سمعته يقرأ رؤيت أنه يخشى الله عز وجل »

قال الامام احمد ثنا عبد الرحمن عن سفيان عن عاصم عن زر عن عبد الله بن عمرو عن النبى ﷺ قال « يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا فان منزلتك عند آخر آية تقرؤها »

وقال أحمد ثنا حسن ثنا ابن لهيعة حدثنى حيى بن عبد الله عن أبى عبد الرحمن الحبلى عن عبد الله بن عمرو قال جاء رجل الى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله إنى أقرأ القرآن فلا أجد قلبى يعقل عليه فقال رسول الله ﷺ « ان قلبك حشى الايمان وان العبد يعطى الايمان قبل القرآن » وبهذا الاسناد أن رجلا جاء بابن له فقال يا رسول الله ان ابنى يقرأ المصحف بالنهار ويبيت بالليل فقال رسول الله ﷺ « ماتنقم ؟ ان ابنك يظل ذاكرا ويبيت سالما » .

وقال أحمد ثنا موسى بن داود ثنا ابن لهيعة عن حيى عن أبى عبد الرحمن عن عبد الله بن عمرو أن النبى ﷺ قال «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة ، يقول الصيام أى رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعنى فيه ، ويقول القرآن منعته النوم بالليل فشفعنى فيه — قال — فيشفعان »

وقال أحمد ثنا حسن ثنا ابن لهيعة عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو سمعت رسول الله ﷺ يقول « أكثر منافقى أمتى قراؤها »

وقال أحمد ثنا وكيع حدثنى همام عن قتادة عن يزيد بن عبد الله بن الشخير عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ « من قرأ القرآن فى أقل من ثلاث لم يفقهه » ورواه أيضا عن غندر عن شعبة عن قتادة به وقال الترمذى حسن صحيح

وقال أبو القاسم الطبرانى ثنا محمد بن اسحاق بن راهويه ثنا أبى ثنا عيسى بن يونس ويحيى بن أبى حجاج التميمى عن اسماعيل بن رافع عن اسماعيل بن عبد الله بن أبى المهاجر عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله ﷺ قال «من قرأ القرآن فكأنما استدرجت النبوة بين جنبيه غير أنه لا يوحى اليه . ومن قرأ القرآن فرأى أن أحدا أعطى أفضل مما أعطى فقد عظم ما صغر الله وصغر ما عظم الله ، وليس ينبغى لحامل القرآن أن يسفه فيمن يسفه أو يغضب فيمن يغضب أو يحتد فيمن يحتد ولكن يعفو ويصفح لفضل القرآن »

وقال الامام أحمد ثنا أبو سعيد مولى بنى هاشم ثنا عباد بن ميسرة عن الحسن عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال « من استمع إلى آية من كتاب الله كتبت له حسنة مضاعفة ومن تلاها كانت له نورا يوم القيامة »

وقال البزار حدثنا محمد بن حرب ثنا يحيى بن المتوكل ثنا عنبسة بن مهران عن الزهرى عن شعبة وأبى سلمة عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال « مراء فى القرآن كفر » ثم قال عنبسة هذا ليس بالقوى وعنده فيه إسناد آخر .

وقال الحافظ أبو يعلى ثنا أبو بكر بن أبى أدريس ثنا المقبرى عن جده عن أبى هريرة قال :قال رسول الله ﷺ قال « أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه »

---

(١) بل أسلوبه أسلوب الموضوعات لا أسلوب أفصح البشر محمد ﷺ وعلى رضى الله عنه ولا أسلوب عصرهما .

وقال الطبرانى ثنا موسى بن حازم الاصبهانى ثنا محمد بن بكير الحضرمى ثنا اسماعيل ابن عباس عن يحيى بن الحارث الذمارى عن القاسم أبى عبد الرحمن عن فضالة بن عبيد وتميم الدارى عن النبى ﷺ قال « من قرأ عشر آيات فى ليلة كتب له قنطار والقنطار خير من الدنيا وما فيها ، فاذا كان يوم القيامة يقول ربك عز وجل اقرأ وارق بكل آية درجة حتى ينتهى إلى آخر آية معه يقول ربك اقبض فيقول العبد بيده يارب أنت أعلم فيقول بهذه الخلد وبهذه النعيم» آخر فضائل القرآن وبه تم التفسير .

للحافظ العلامة الرحلة الجهبذ مفيد الطالبين الشيخ عماد الدين اسماعيل الشهير
بابن كثير كثر الله فوائده ، على يد أفقر العباد إلى الله الغنى محمد بن
معمر المقرىء البغدادى عفا الله عنه ونفعه بالعلم ووفقه للعمل
به آمين ، وحرس الله مجد مالكه آمين — بتاريخ
يوم الجمعة عاشر جمادى الآخرة من سنة تسع وخمسين
وسبعمائة هلالية هجرية صلوات الله وسلامه
على مشرفها ، والحمد لله أولا وآخرا وباطنا
وظاهراً وصلى الله على سيدنا محمد
النبي الأمى وعلى آله وصحبه
وسلم تسليما كثيرا

﴿ تم طبع الكتاب والحمد لله ﴾

obeikandl.com

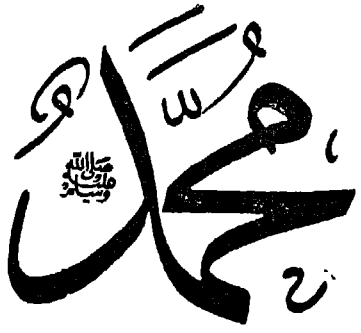

للأستاذ محمد رضا ، أمين مكتبة جامعة فؤاد الأول سابقا

خير ما كتب فى سيرة النبي صلى الله عليه وسلم .

استقصى فيه أطوار حياته منذ ولادته ، قبل النبوة وبعدها ، وماحدث له فى أسفاره وإقامته ومابذل من جهد فى نشردعوته ، وما لاقاه من أهل مكة من عنت وإيذاء .

يجد القارئ فى هذا الكتاب صورة لرجولة محمد وصبره ، ومثابرته على إظهار دعوته بالحجة ، ويجد فيه قدوة صالحة للثبات على المبدأ الحق ، ووقوفه أمام الكثرة من أعدائه ، وكيف استهان بهذه الكثرة فى سبيل امتثال أوامر الله وتنفيذ رسالته .

وفوق هذا يجد فيه غزواته مفصلة تفصيلا وافيا فى أسلوب شيق مفهوم مع صحة النقل والتحرى فى الإسناد .

ويجد فيه ماجرى بينه وبين اليهود ، وما عاناه من خيانتهم ونقضهم للعهد ، وما بذله لهم من حلم ، وحسن معاملة ، ويجد فيه من الأسباب المعقوله المبررة لطردهم من المدينة مالايدع مجالا للشك فى أن اليهود من شر ماخلق الله على وجه الأرض .

وقد أقبل المسلمون على اقتنائه إقبالا استنفد طبعاته الثلاث . وهاهى دار إحياء الكتب العربية تقدمه إلى أبناء المسلمين فى طبعته الرابعة مصححا تصحيحا متقناً .

obeikandl.com